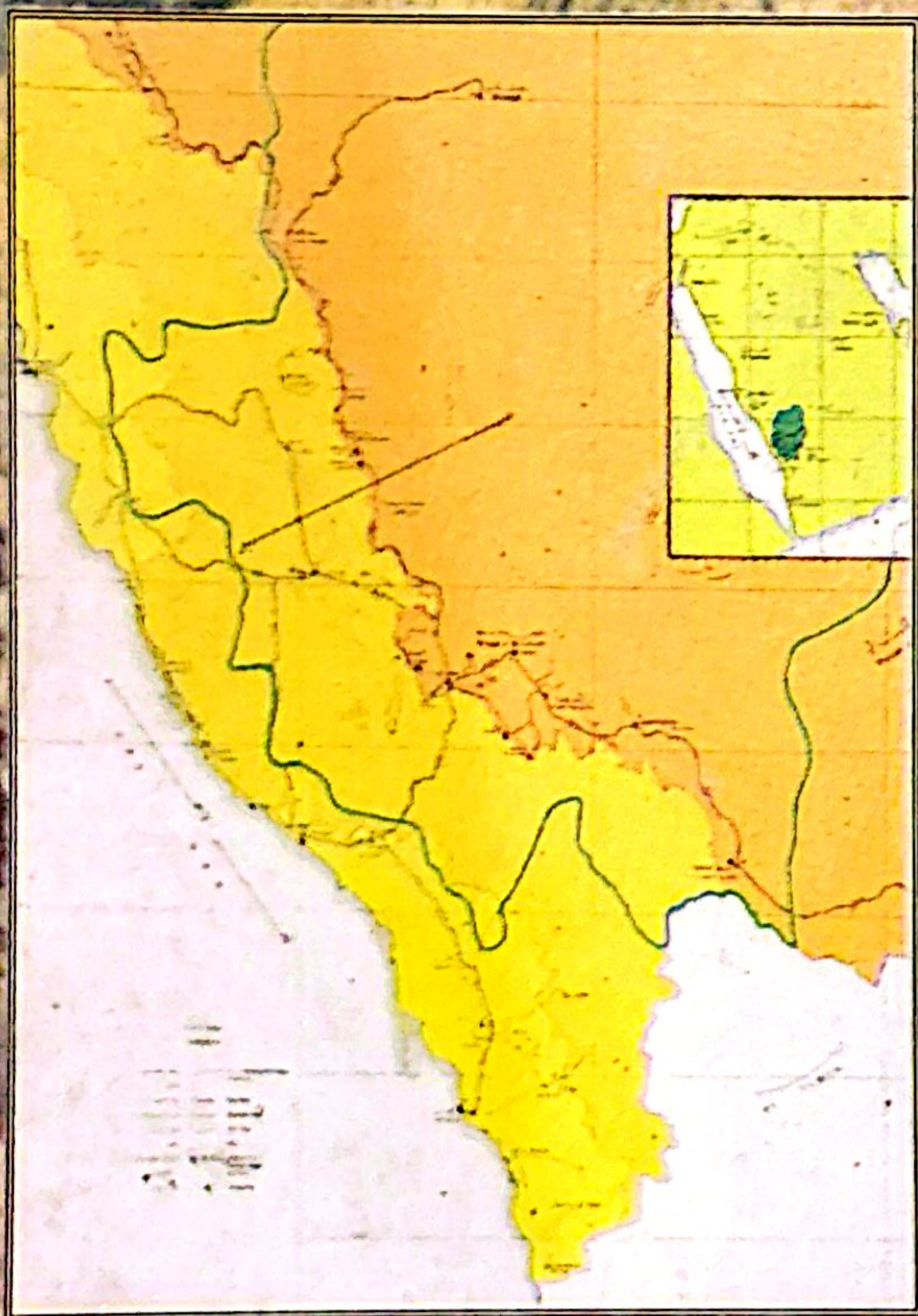
العثمانيون وحكومة الأدارسة في عسير



تأليف الدكتور
يوسف حسن محمد العارف

جدة ١٤١٥ - ١٩٩٥


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

العثمانيون وحكومة الأدارسة في عسير

١٣٢٥ - ١٣٣٧هـ

١٩٠٧ - ١٩١٨م

تأليف الدكتور

يوسف حسن محمد العارف

الطبعة الأولى

جدة ١٤١٥هـ /١٩٩٥م

دار ابو المجد للطباعة

ت : ٢٨٤٣٢٤٢

الإهـــــــداء

إلى أبى وأمّى
أهــدى
باكورة إنتاجى العلمى

هذا الكتاب قدم أصلاً كرسالة ماجستير فى التاريخ العربى الحديث الى قسم التاريخ بكلية الآداب فى جامعة الملك عبد العزيز بجدة . وقد تمت مناقشة الباحث مساء يوم الأربعاء ٢٥ شعبان ١٤٠٥ هـ الموافق ١٥ مايو ١٩٨٥ م .

وكانت لجنة المناقشة تتكون من :ــ

أ . د/ محمود حسن صالح منسى مشرفا

د/ عبد اللطيف ناصر الحميدان ــ ممتحنا خارجيا

د/ أحمد حسين العقبى ــ ممتحنا داخليا

وقد اجيزت الرسالة وحصل الباحث على تقدير " ممتاز "

تقديم

(الدكتور / محمود حسن صالح منسى)

خضعت أقطار العالم العربى - باستثناء - مراكش - للحكم العثمانى منذ بداية العصور الحديثة وتباينت الآراء فى تقويم الحكم العثمانى للبلاد العربية فمن قائل بأنه كان استعماراً بغيضاً عانت البلاد خلاله من الفوضى والإضطراب والتأخر والجمود في شتى نواحي الحياة ، ومن قائل بانه لم يكن يخلو من فوائد وحسنات فى مقدمتها دعم الترابط بين الاقطار العربية وتأخر خضوعها للإستعمار الأوربى .

ومن ثم كان لابد من ان يقوم الباحثون بدراسة احوال اقطار المشرق العربى فى ظل الحكم العثمانى قطرا قطرا ، وفى فترات مختلفة حتى يمكن تكوين رأى سليم يستند الى دراسة موضوعية لا تتأثر بالعواطف سواء الوطنية او القومية .

ومن هؤلاء الباحثين الباحث السعودى / يوسف حسن العارف ...... الذى تناول فترة من تاريخ اقليم عسير تحت الحكم العثمانى فى بحثه بعنوان :

« العثمانيون وحكومة الادارسة فى عسير ١٣٢٥ - ١٣٣٧هـ/ ١٩٠٧ - ١٩١٨ م » .

وذلك للحصول على درجة الماجستير فى التاريخ الحديث من قسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الانسانية جامعة الملك عبد العزيز بجدة .

والباحث يوسف العارف باحث ممتاز ويشهد بذلك بحثه ، ولا اريد ان اقرظه وامتدح بحثه وانما اترك ذلك للقارئ ، ولكننى منذ تعاملت معه كمشرف على رسالته لمست فيه صفات الباحث من صبر ورغبة صادقة فى الوصول الى الحقيقة او ما يقرب منها ، لا يترك مكانا يعلم ان فيه مادة علمية تفيد بحثه الا ويذهب اليه مهما بعدت الشقة وكثرت الشواغل ولذلك سافر الى اليمن اكثر من مرة وقابل العديد من الشخصيات التى عاصرت الاحداث وتوصل الى ما سمحت به الظروف من مخطوطات ، وحصل على الكثير من الوثائق البريطانية ولا شك فى ان هذا كلفه الكثير من الوقت والجهد والمال ، ولكنه فعل ذلك باحساس الباحث الصادق مع نفسه ومع قارئه .

وبعد ان حصل على مادته العلمية المستقاة من مظانها الاصلية عكف عليها يحلل ويقارن حتى يقترب من الحقيقة ثم صاغ اطروحته باسلوب عربى شيق والحقيقة التى اقرها هنا ان الباحث / يوسف العارف لم يسبب لى تعبا فى الاشراف وكان يستجيب بسرعة للملاحظات والارشادات والتوجيهات ولو انه كان - فى بعض الاحيان - اذا آمن بفكرة لا يتزحزح عنها مهما كانت حجج الرأى الآخر .

وفى الحقيقة فان البحث فى موضوع هذه الاطروحة ... « العثمانيون وحكومة الادارسة فى عسير ١٣٢٥ - ١٣٣٧هـ/١٩٠٧ - ١٩١٨ م » . شأنه شأن البحوث التى تناولت العلاقة بين الحكومة العثمانية واى من الاقاليم العربية الاخرى تكشف عن امور لابد وان انوه بها فى هذا التقديم واول هذه الامور انه كانت هناك ما يمكن ان نسميه « ازمة ثقة » فى العلاقات العثمانية العربية ، فالاقطار العربية وبخاصة فى القرن التاسع عشر للميلاد ، قرن اليقظة تحاول ان يكون لها شخصيتها العربية داخل نطاق الدولة العثمانية حفاظا على الرابطة الدينية واعتبر العرب ان العصر الذى كانت حكومة الآستانة ترسل فيه الى الولايات العربية الباشوات الولاة وكبار الموظفين الترك التى لا يفهمون لغتها ولا يعرفون مصالحها وعاداتها قد انتهى ، ولابد ان تمنح هذه الاقطار قدرا من الصلاحيات حتى تستطيع ان تسير فى طريق التقدم الذى سار فيه العالم فى الوقت الذى كانت فيه الحكومة العثمانية المركزية تخشى ان يؤدى هذا القدر من الصلاحيات الى استقلال الاقطار العربية وانفصالها عن الدولة وبذلك تتفسخ وتنهار .... ومن هنا تمسكت بتشديد قبضتها على اقاليمها العربية وجردت الحملات العسكرية التى كلفت الدولة ولم تفلح فى تحقيق سيادتها بل زادت من الفجوة وازمة الثقة بينها وبين العرب واقرب دليل على هذا ما حصل فى عسير واليمن والحجاز ونجد والشام والعراق وقد كان هذا الصدع فى العلاقات العربية التركية سببا لا يستهان به فى انهيار الدولة العثمانية فى اعقاب الحرب العالمية الاولى .

اما الامر الثانى الذى يجدر ان ننوه به فانه يتمثل فى استغلال الدول الاوربية الاستعمارية لتلك الفجوة بين عرب المشرق والدولة العثمانية والتصدع فى العلاقات بينهما وذلك لكى تحقق هذه الدول الاوربية اطماعها الاستعمارية التى كانت تخطط لها قبل فترة

طويلة فى هذا او ذاك من اقطار المشرق العربى ، ولذلك فان الحرب العالمية الاولى لم تنته الا وقد سيطرت بعض الدول الاوربية على معظم اقطار المشرق العربى ولم ينج منها سوى اليمن والحجاز ونجد لاسباب معينة وليس لزهد الاستعمار فيها .

وليس القصد من هذا التقديم عرض محتويات البحث الذى يقدمه الباحث / يوسف العارف بين دفتى هذا الكتاب وانما اترك ذلك للباحث نفسه بطريقته واسلوبه . وقبل أن أختم هذا التقديم لابد من كلمة أقولها بكل صراحة وبدون أى تحيز وهى : إن الباحث / يوسف العارف شخصية تبشر بمستقبل زاهر في الدراسات التاريخية وإننى لارجو ان يكون هذا العمل باكورة لأعمال علمية فى مجال الابحاث التاريخية ، ليس فقط من اجل الحصول على درجة علمية ولكن من اجل اثراء المكتبة التاريخية ببحوث موضوعية جادة رصينه والحق ان الباحث / يوسف العارف يشرف اى قسم من اقسام التاريخ بجامعات المملكة العربية السعودية واننى ادعوا له بالتوفيق ... والله من وراء القصد فهو نعم المولى ونعم النصير

جدة ١٤٠٦/٤/٣هـ

١٩٨٥/١٢/١٥م

د. محمود حسن صالح منسى

استاذ التاريخ الحديث

كلية الآداب

جامعة الملك عبد العزيز

المقدمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فان فى ثنايا تاريخنا العربى الحديث ، حكومات سادت ثم بادت ، ولم تلق نصيبها من الدراسات التاريخية . الا أن يجيئ ذكرها عرضا ، كباب فى كتاب ، أو فصل فى أطروحه ، أو إشارة عابره فى مخطوطة معاصرة أو دوريه ، وهذا كله لا يعطيها البعد الكافى من الطرح والتوضيح .

ولقد كان من ضمن هذه الحكومات ، حكومة الأدارسة فى عسير ، التى تأسست فى جنوب غرب الجزيره العربية فى عام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م ، وكان لها أكبر الأثر فى مسار المنطقة التاريخى حتى عام ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣ م ،عندما انتهت على يد الدولة السعودية ، فأصبحت منطقة عسير والمخلاف السليمانى ضمن المقاطعات السعودية .

والذى يهمنا من هذه الفتره الطويله ـ التى هى عمر الحكومة الادريسيه ـ هى الفترة التى تأسست فيها هذه الحكومة ، وما تخللها من حروب وثورات ضد الدولة العثمانية ـ ، التى كانت تحكم منطقة عسير والمخلاف السليمانى كمتصرفية تابعة لها ـ حتى تم إخراجها فى نهاية الحرب العالمية الأولى . أى الفترة من ١٣٢٥ ـ ١٣٣٧هـ / ١٩٠٧ ـ ١٩١٨م ، وهى الفترة التى حكم فيها السيد محمد بن على الادريسى ، مؤسس هذه الحكومة . ومن هنا تتضح أهمية البحث فى هذا الموضوع .

ولقد كان اختيارى لدراسة هذه الحكومة وعلاقة العثمانيين بها ، نابعا من عدة اعتبارات ، أهمها :

أن الموضوع ما يزال بكرا من ناحية الطرح الأكاديمى كموضوع مستقل ، لحدث تاريخى معين ، حصل فى منطقة معينة ، وارتبط بحكومة معينة .

وثانياً : أننى من ابناء المنطقة التى ظهرت فيها هذه الحكومة ، وقد عاش آبائى وأجدادى وأقاربى على ثراها ، وعاصر بعضهم أيام هذه الحكومة ، وتأثروا بأحداثها بل وشاركوا فيها ، ومازال المعمرون منهم يروون الشئ الكثير عنها مما جعل لها فى النفس موقعاً .

وعندما التحقت بالدراسات العليا كانت ـ هذه الحكومة ـ هاجسا يراودنى حب الاطلاع على أكثر أخبارها ، ثم خاطرة سعيت لبلورتها ، وأخيرا أصبحت فكرة عزمت على تحقيقها ، لتكون بحثا أكاديميا أقدمه لنيل درجة (الماجستير) فى التاريخ العربى الحديث ، فرحت أقرأ عنها ، وأجمع من المراجع ما يفيدنى فى استقصاء المعلومات عنها ، فلما استقامت لدى الأمور عقدت العزم ، وتوكلت على الله .

والفكرة التى تدور عليها هذه الدراسة هى محاولة للقيام بدراسة تاريخية خاصة ومستقلة لمنطقة عسير والمخلاف السليمانى وقيام حكومة الأدراسة فيها ، والعلاقة بين هذه الحكومة وبين الدولة العثمانية التى كانت أنذاك مسيطرة على هذه المنطقة ، وذلك خلال الفترة من ١٣٢٥ ـ ١٣٣٧ هـ / ١٩٠٧ ـ ١٩١٨ م .

ولا شك فى ان هذه الدراسة تستوجب من الباحث أن يتناول العلاقات التى كانت قائمة بين هذه الحكومة وبين القوى ذات الاهتمام بمنطقة عسير والمخلاف السليمانى ، سواء أكانت قوى خارجية ـ مثل ايطاليا وبريطانيا ـ أم قوى داخلية ـ كالامامه في اليمن ، وشرافة الحجاز ـ ، وهذا يتطلب ابراز الدور الذى لعبته كل من هذه القوى ، وأثر ذلك على الحكومة الادريسيه .

ومن هنا كان لابد للباحث أن يواجه الكثير من الصعوبات للحصول على المعلومات التاريخية والمادة العلمية التى يمكن أن تكون قاعدة للانطلاق في انتاج دراسة تاريخية جديدة ، ولعل مكمن الصعوبة فى ذلك هو نقص المصادر والمراجع التى فى يدى ولذلك قمت بالبحث فى مكتبات جامعاتنا السعودية ، ثم فى المكتبات العامة ، ثم فى المكتبات الخاصة ولما وجدت أن ما اجتمع منها لا يكفى ، قمت بزيارة الى القاهرة حيث استفدت من دار الكتب ومكتبة معهد الدراسات العربية ، وبعض مكتبات الجامعات المصرية فى القاهرة ، ثم الى اليمن حيث استفدت من مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ولا سيما فيما يخص المخطوطات ، ومن مكتبة مركز الدراسات اليمنيه ، وكذلك مكتبة جامعة صنعاء .

وبعد هذه الجولات العلمية تحصلت على أغلب المصادر والمراجع التى ساعدتنى فى اخراج هذا البحث الى حيز الموجود . أما المصادر التى استعنت بها فى هذه الدراسة فانه يمكن تقسيمها الى ما يلى :

أولاً : المصادر العربية :

وهى تنقسم الى قسمين : مصادر أولية ، ومصادر ثانوية . فالأولية : تتمثل فى المخطوطات والوثائق . فأما المخطوطات : فلقد حصلت على مجموعة لا بأس بها ، ولعل فى مقدمتها مخطوطة الوشلى : نشر الثناء الحسن ... ، فمؤلفها معاصر لفترة السيد محمد الادريسى وقد تولى الكثير من المناصب فى حكومته ، وكان أهمها القضاء فى الحديدة (١) . ثم مخطوطتا : أحمد بن عبد الله الضمدي : الذهب المسبوك فى ذكر من ظهر فى المخلاف السليمانى من الملوك ، وحسن بن أحمد (عاكش) : عقود الدرر بتراجم علماء القرن الرابع عشر . والمؤلفان من رجال المخلاف السليمانى ومؤرخيه المشهورين ، وقد عاصر الأخير السيد أحمد الادريسى وأورد له ترجمات وافيه عن حياته وانتقاله من المغرب الى مكه ثم الى زبيد ، وأخيرا صبيا ـ حيث استقر به المقام فيها حتى مات ـ رحمه الله ـ ، وقد استفدت منها فيما يخص ذلك كله

أما باقى المخطوطات ، فهى تمثل وجهة النظر اليمنيه لا نها تؤرخ للامام يحى . وكان لابد لى من الرجوع اليها لأتعرف على آراء اصحابها وأفكارهم ، ولا سيما فيما يخص علاقات الامام يحيى بالأدراسة قبل صلح دعان وبعده ، وعلاقته كذلك بالدولة العثمانية . وجدير بالذكر أن هذه المخطوطات لم يسبق لأحد نشرها أو استخدامها على حد علمي ومن هنا تأتى أهمية الإعتماد عليها ، وقد حاولت قدر الامكان الاقتصار على تلك المعاصرة لاحداث هذه الفترة التاريخية .

أما الوثائق : فقد استفدت من الوثائق العثمانية التى نشرها الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم فى المجلد الأول من كتابة (من وثائق شبه الجزيرة العربية فى عصر محمد على) ، ولا سيما فى الفصل الاول عندما تعرضت للعلاقات العثمانية العسيرية قبل سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م . وكذلك استفدت من الوثائق المحليه الإدريسيه ، والتى نشرها مؤرخ المخلاف السليمانى . محمد أحمد العقيلى فى كتابه (المخلاف السليمانى) ، وهـى عباره عن مراسلات الادريسى ومنشوراتة ، كما أهدانى بعضها والتى لم يسبق

---

(١) فى رحلتى الثانية الى اليمن فى شهر ربيع الثانى سنة ١٤٠٤ هـ عثرت على هذه المخطوطة محققة ولاسيما الجزء الثالث منها . وقد قام بالتحقيق محمد بن محمد الشعيبى . ولكن الشيئ الملفت للنظر أن المحقق لم يعط المخطوطة حقها من التحقيق . وأعتقد أنها فى حاجة الى يد جديدة تعيد تحقيقها على الوجة المطلوب .

نشرها . وقد أوردت بعضها فى الملحق ، وأحلت الباقى الى نفس المصدر الذى أوردها . كما استفدت من الوثائق اليمنيه التى نشرها الدكتور السيد مصطفى سالم فى كتابة (وثائق يمنيه) ، وذلك فيما يخص علاقات الامام يحى بالأدارسه قبل صلح دعان وبعده ، وموقف الامام يحيى من العثمانين وقبائله اليمنيه خلال الفترة من القرن السادس عشر الميلادى وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ م .

وأما الوثائق العثمانية ـ والتى كان من المفروض أن يكون لها في بحثى أكبر نصيب ـ فقد حاولت جهدى أن أعثر على شيئ منها ، ولكن بدون نتيجة ، فقد كتبت الى الملحق السعودى التعليمى فى تركيا ، كتابا بتاريخ ١٦/١/١٤٠٣هـ /٢ نوفمبر ١٩٨٢ م ، أطلب فيه تصوير بعض الوثائق المحفوظة فى أرشيف وزارة الخارجية باستنمبول وقد جاء الرد من الملحق التعليمى هناك رقم ٢٩/٥٧ فى ٩/٢/١٤٠٣هـ ويرفقته صورة من خطاب الملحق التعليمى الى القائم بأعمال السفارة السعودية فى أنقرة للمساعدة فى طلب الوثائق المطلوبة وتصويرها . وأخذت أنتظر حتى انتهيت من البحث دون أن يأتى أى شيئ منها . ورغم ذلك فلم أهمل هذا الجانب ، حيث عثرت على مذكرات سليمان شفيق كمالى باشا ـ متصرف عسير فى تلك الفترة ـ منشورة في مجلة العرب السعودية ، فكانت آرؤه وأفكاره شيئا مهما توضح وجهة النظر العثمانية ، فأستغنيت ـ مكرها ـ عن الوثائق العثمانية وقد اعتبرت هذه المذكرات ضمن مجموعة المؤلفات المعاصرة للفترة موضوع البحث مثل :

(١) النفس اليمانى : للأهدل الذى عاصر السيد أحمد الادريسى ، جد الأسرة الادريسية ، واتصل به . وقد ترجم له المؤلف ترجمة وافيه استفدت منها .

(٢) الرحلة اليمانية : للبركاتى ، وهو معاصر لفترة البحث ، وقد ألف كتابه عندما قام الشريف حسين بمساعدة الحكومة العثمانية فى فك حصار أبها ، أثناء ثورة الأدارسة سنة ١٣٢٨ هـ/١٩١٠ م ، وقد استفدت منه فيما يخص هذه الثورة وموقف العثمانين منها ، والحروب الادريسية مع القوات العثمانية والحجازيه .

(٣) ماضى الحجاز وحاضره : لحسين نصيف ، وهو مصدر هام ، يتحدث عن فترة

الشريف حسين ، وابنه على فى الحجاز وقد نشر هذا الكتاب سنة ١٣٤٩ هـ/١٩٣٠م . ومع هذا فهو قريب من أحداث الدراسة ، وقد أفادنى فيما يخص ثورة الأدارسة وحصار أبها وموقف الشريف حسين منها .

(٤) المخلاف السليمانى : للعقيلى ، وهو أهم هذه المجموعة من المؤلفات لأنه يخدم تاريخ المنطقة ، وقد فصل كثيرا فى تاريخ حكومة الادارسة وعلاقتها بالقوى المحيطة ، ولا سيما الدولة العثمانية ، وتزداد أهمية هذا المصدر اذا علمنا انه يستقى مادته الأصلية ممن عاصر الأحداث من شخصيات المنطقة ، كما أنه يعتمد على الكثير من المخطوطات المحلية التى تمتلئ بها خزائنه ، وعلى الكثير من الوثائق المحليه التى استطاع العثور عليها والاحتفاظ بها ، والاستفاده منها فى مؤلفاته ، وقد استفدت من هذا المصدر الهام فى أغلب فصول البحث .

(٥) هدية الزمن .... ، للعبدلى : والمؤلف من الأسرة العبدلية ـ وكانت لها السلطنه فى لحج ـ حيث كان لها دور كبير فى أحداث الحرب العالمية الأولى الى جانب البريطانين ، ولذلك فان هذا المصدر هام باعتباره معاصرا لأحداث الحرب العالمية الأولى ، وقد استفدت منه فى الفصل الأخير .

وهناك بعض المصادر الأجنبية المعربه ، ويمكن أن نعتبرها ضمن المصادر الثانوية لأهميتها وهى :

(٦) ملوك شبه الجزيرة العربية ، لهارولد . ف يعقوب (چاكوب) ، ترجمة أحمد المضواحى ، والمؤلف أحد الشخصيات البريطانية فى عدن والمعاصرين للأحداث فى تلك الفترة ، فقد عمل مساعدا للمقيم السياسى فى عدن وشارك مع الوفد البريطانى الذى عقد معاهدة سنة ١٩١٥ ، مع الادريسى ، وهو الذى عقد الاتفاقية الثانية سنة ١٩١٧ مع الأدريسى بشأن فرسان . ومن هنا تبرز أهمية كتابه كمصدر هام لهذه الدراسة ، وقد استفدت منه فى كثير من آرائه وافكاره ـ ولكن بحذر وتمحيص شديدين ـ ولا سيما فى حديثه عن علاقة الأدارسة ببريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى ، وموقف بريطانيا وسياستها فى الجزيره العربية .

(٧) القوى والامتيازات فى امامة الادريسى فى عسير ، لجون بالدرى : ترجمة مركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصره ، وهو بحث باللغة الأنجليزية أهتم أساسا باقتصاديات المنطقة الادريسية ، واستعرض تاريخ حصول بريطانيا على امتيازات للنفط والمعادن فى عسير ، وخاصة فى جزر فرسان خلال الفترة من ١٩١٠ ـ ١٩٢٩م . كما اهتم بالتنافس والصراع بين الشركات البريطانية والايطاليه حول ذلك ، ومن هنا تبرز أهمية هذا المصدر ، وفوق ذلك فهو يستقى مادته الأساسية من الوثائق البريطانية ، والمؤلف ـ كما قال لى الدكتور السيد مصطفى سالم ـ قضى فترة من حياته فى اليمن مدرسا للغة الانجليزية فى جامعة صنعاء وله اهتمامات كبيره بالدراسات اليمنيه التاريخيه وخاصة خلال الحرب العالمية الاولى ، وقد نشر العديد من دراساته وابحاثه فى مجلات متفرقة . وقد أفادنى هذا المصدر فيما يخص النواحى الاقتصادية فى حكومة الأدارسه وتأثرها بالتنافس البريطانى والايطالى .

(٨) العمليات البحريه البريطانية ضد اليمن ابان الحكم التركى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، لبالدرى ـ أيضا ـ ترجمة الدكتور السيد مصطفى سالم . وهو كذلك عباره عن بحث باللغة الانجليزية نشر فى مجلة : أرابيكا (Arabica) الفرنسية ، وهى مجلة للدراسات العربية ، أسسها المستشرق الفرنسى أ. ليفى بروفنسال ، وتنشر بمساعدة المركز الوطنى للبحث العلمى الفرنسى . وقد نشر هذا البحث فى المجلد الخامس والعشرين الصادر فى عام ١٩٧٨ م . واستعرض فيه المؤلف الصراع البحرى العثمانى البريطانى فى البحر الأحمر خلال الحرب العالمية الأولى ، وقد اهتم بصفة خاصة بالعلمليات الحربيه فى سواحل اليمن وعسير ، والتعاون العسكرى بين بريطانيا والحكومة الإدريسيه ضد العثمانيين والإمام يحيى . وقد استفدت منه كثيرا ولا سيما فى الفصل الأخير من هذه الدراسة .

ثانياً : المراجع العربية :

وهى كثيرة ـ كما أثبتها فى قائمة المراجع ـ ولكن أهمها ما يلى :

(١) تكوين اليمن الحديث ، للسيد مصطفى سالم : ويعتبر من الدعائم الأساسية لهذا البحث ، حيث أفادنى فى معالجة الموضوع ورسم خطة البحث وأسلوبه .

(٢) الحكم العثمانى فى اليمن ، لفاروق أباظة : وهو أيضا من المراجع الهامة ، حيث تنبع أهميته من الفترة التى يدرسها وهى ما بين سنتى ١٨٧٢ ـ ١٩١٨ م : وموضوع البحث يشكل جزءا من هذه الفترة ولكنه خاص بمنطقة عسير والمخلاف السليمانى فقط . وقد أفادنى فى كثير من آرائه وأفكاره .

(٣) العرب والترك فى العهد الدستورى ، لتوفيق برو : وقد أفادنى فيما يتعلق بصلح دعان وآراءه حوله .

(٤) ملوك العرب ، للريحانى : وتنبع أهميته من كون المؤلف معاصر للادريسى ، وقد تقابل معه فى جازان ، وقد استفدت من الجزء الثانى من هذا المرجع .

(٥) أخبار عسير ، لعبد الله بن على مسفر : وهو من أبناء المنطقة موضوع البحث ، وقد حاول فى هذا المرجع أن يكتب التاريخ الشامل لمنطقة عسير معتمدا على بعض المخطوطات العسيرية المعاصرة . ومن هنا تبرز أهميته كمرجع فى هذه الدراسة .

(٦) تاريخ عسير ، لهاشم النعمى ، وهو ـ أيضا ـ من أبناء المنطقة موضوع البحث ـ وقد سجل فى هذا المرجع الكثير من تاريخها السياسى ولا سيما العلاقات العثمانية العسيرية وحروب الأدارسة مع العثمانين فيها ، وقد أفادنى فى الكثير من فصوله .

وهناك أخيرا بعض المراجع اليمنيه التى كان لا بد من الرجوع اليها لنعرف وجهة النظر اليمنية فيما يخص أحداث هذه الفترة ، ولا رتباطها ـ تاريخيا ـ باليمن وأحداثه خلال هذه الفترة وأهمها :

١ ـ المقتطف من تاريخ اليمن ، للجرافى .

٢ ـ تاريخ اليمن ، للواسعى .

٣ ـ أئمة اليمن ، محمد محمد زباره .

٤ ـ محاولة لفهم المشكلة اليمنيه ، لزيد الوزير .

ثالثاً : المصادر الاجنبية :

ويمكن تقسيمها الى قسمين رئيسيين ، مصادر أولية ، ومصادر ثانوية . فأما المصادر الأولية : فهى الوثائق البريطانية التى استعنت بها فى إخراج هذا البحث ، وقد عثرت على مجموعة كبيرة منها فى قسم الوثائق الانجليزية بدارة الملك عبد العزيز بالرياض . وقد قسمتها الى قسمين :

الأول : مجموعة الوثائق من سجلات وزارة الهند : (India Office)

الثانى : مجموعة الوثائق من سجلات وزارة الخارجية : (Foreign Office)

وهذه الوثائق عبارة عن تقارير المندوبين والمقيمين السياسيين فى عدن ، عن أحداث عسير ، وموقف الادارسة من الحكومة العثمانية . وقد استفدت منها في أغلب فصول البحث ، ويتجلى ذلك بشكل أكبر في الفصل الرابع لأن أغلبها يخدم الفترة من سنة ١٩١٤ ـ ١٩١٨ م والجدير بالذكر أن هذه الوثائق تستخدم لأول مرة ـ على حد علمى ـ ولذلك حرصت على أن أضم بعضها الى ملاحق هذا البحث .

كما استفدت من بعض الوثائق البريطانية المنشورة فى كتابى فاروق أباظة : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ، وسياسة بريطانيا فى عسير أثناء الحرب العالمية الأولى .

أما المصادر الاجنبية الثانوية : فهى عباره عن بعض الكتب الانجليزية التى استفدت من ترجمتها وهى :

(1) Kornwallis : Asir Before world war I.

عسير قبل الحرب العالمية الاولى ، لكيناهان كورنواليس : وهو عباره عن كتيب يتضمن تقريرا وضعه أحد المسئولين الانجليز فى المكتب العربى بالسفارة البريطانية فى القاهرة ، بعد زيارة ميدانية للمنطقة ، وقد سمحت الحكومة البريطانية بنشره ، فصدرت أولى طبعاته فى أول يونيو ١٩١٦ م ، وهو ـ كما يتضح من عنوانه ـ يختص بمنطقة عسير وتاريخها ، وموقف الأدارسة فيها ، وقد جاء التقرير شاملا لجغرافية المنطقة

واقتصادياتها وتاريخها وسكانها وقبائلها وأهم شخصياتها وطرق مواصلاتها . وقد أفادني الجزء التاريخي من هذا المرجع ولا سيما فيما يخص الحكومة الادريسيه وعلاقتها بالعثمانيين والبريطانيين ، ثم النواحي الاقتصادية خلال الحرب العالمية الأولى في المنطقة . والمصدر هذا - بصفه عامه - جيد ولا غنى لأي باحث في تاريخ المنطقة - من الاطلاع عليه ، وقد لاحظت أن معظم من تناولوا هذا الموضوع لم يستفيدوا منه .

(2) Wavell, Modern Pilgrim in Mecca.

الحج الحديث الى مكه ، لويفل : وهو رحالة أجنبي زار الحجاز واليمن ، وكتب عن شئون الحج في مكه ثم تناول الاوضاع في اليمن ، وقد استفدت من هذا المرجع فيما يخص العلاقات العثمانية اليمنيه ، وعلاقة الأدارسة بالعثمانين والإمام يحي أيضا . وقد طبع هذا المصدر في سنة ١٩١٢ م . أي أنه معاصر للأحداث ، ومن هنا تبرز أهمية الاعتماد عليه .

(3) Bury: Arabia in Felix or: The Turks in Yemen.

العربية السعيدة او الأتراك في اليمن ، لبيوري : وقد طبع هذا المصدر في سنة ١٩١٥م . أول سنى الحرب العالمية الأولى ، أي انه معاصر للأحداث ، ومن هنا تبرز أهميته وقد استفدت منه في كثير من الفصول .

رابعاً : الدوريات المعاصره والحديثة :

وبالإضافة الى تلك المصادر والمراجع كان لابد أن نستفيد مما كتبته بعض الدوريات العربية عن أحداث هذه الفترة ، وقد استفدت بصفة خاصه من مجلة المنار المصرية وجريدتي المؤيد واللواء ، ولا سيما في الفترة التي قام الادريسي بثورته ضد العثمانين وعلاقته بايطاليا ثم بريطانيا لمساندته ضد العثمانين . وكذلك من تعليقاتها وآرائها حول صلح دعان ، كما استفدت من بعض الدوريات اليمنية كمجلة الحكمه وجريده الثورة . لبيان التصورات والآراء اليمنيه حول صلح دعان ، وأخيرا ، فقد استفدت - وبشكل كبير - من مجلة العرب السعودية التي أوردت في - أربع وعشرين حلقه - مذكرات سليمان شفيق كمالي باشا - متصرف عسير - فكانت بمثابة القول الفصل فيما يخص وجهات النظر العثمانية عندما استعصى على وجود الوثائق العثمانيه .

وهكذا أقمت بناء بحثى هذا على أسس من المصادر والمراجع ، وانني عندما أذكرها وأخصها بالاشارة والتنويه فانما ذلك من أجل التأكيد على أنها كانت الدعائم الأساسية لهذه الدراسة ولكن هذا لا يعنى ـ أبدا ـ أن أقلل من أهمية المراجع الأخرى التى اكتفيت بذكرها فى فهرس المراجع ، فقد أفادتنى جميعا ـ بلاشك ـ فى دراسة الموضوع واخراج البحث فى صورتة النهائية ، راجيا ـ بعد ذلك ـ أن اكون قد أخرجت إلى ميدان البحث العلمى شيئا مفيدا وجديدا .

ولكى تسير هذه الدراسة فى مسارها الصحيح ، فقد اتبعت لها المنهج الذى عادة ما يتبع فى البحوث والدراسات التاريخية الاستقرائية ، خصوصاً وأن البحث يستمد مادته الأصلية من الوثائق التاريخية المتعدده محلية وأجنبيه ، ولذلك كان على أن أجمع الكثير من الأفكار والماده العلمية التى تخدم البحث وتسهل السير فيه وذلك من أكبر قدر من المصادر والمراجع ، ثم تنظيمها وتبويبها ، ونقدها وتحليلها ثم المقارنة بينها لاختيار الصحيح والمناسب منها ، وابعاد المزيف عنها ، للوصول الى ما يقرب من الحقيقة التاريخية الناصعة دون التحيز لفكرة معينة ، أو تطويع الحدث التاريخى لمبدأ خاص أو هدف ذاتى ، ثم حاولت ـ قدر الامكان ـ أن يكون منهجى تحليليا واستنتاجيا فى كثير من المواضيع ، لتبرز من خلالها شخصية الباحث ، وقد راعيت فى كل ذلك الترابط والتسلسل التاريخى ، وصياغة الحقائق والآراء فى عبارات دقيقة تعبر تعبيرا صحيحا عن المعنى المقصود .

ومن هنا قمت بتقسيم البحث الى أربعة فصول ، تدرجت فيها عبر تقسيم زمنى يخدم الفكرة الأساسية ويؤدى الى النهاية التى حددتها فى عنوان الحبث ، فجاءت هذه التقسيمات على ثلاث مراحل ، تبدأ كل منها بحدث هام ، وتنتهى عند حدث هام أيضا .

فالمرحلة الأولى : تبدأ من سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨ م حيث يبدأ العهد الدستورى فى الدوله العثمانيه وتنتهى بسنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م ، عندما تعقد الدولة العثمانية مع الامام يحي صلح دعان .

والمرحلة الثانية : تبدأ من سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م ، وتنتهى بسنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م ، عندما تبدأ الحرب العالمية الأولى .

المرحلة الثالثة : وتبدأ بسنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م ، وتنتهى بسنة ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م ، حيث تنتهى الحرب ويخرج العثمانيون من المنطقة .

ومن خلال هذه المراحل الثلاث ، جاءت الفصول الاربعة ، وكان أولها خارجا عن نطاق هذه المراحل ، إذ جعلته فصلا تمهيديا ومدخلا للبحث : تحدثت فيه عن جغرافية المنطقة مع التركيز على تهامة عسير لأنها المسرح الرئيسى لأحداث هذه الدراسة ، ومن ضمنها المخلاف السليمانى - لأعطى للبحث بعدا تارخيا وجغرافيا . ثم انتقلت للحديث عن الوجود العثمانى فى اليمن ، لأن دراسة الوجود العثمانى فى عسير والمخلاف السليمانى ، مرتبط بالوجود العثمانى فى اليمن ونتيجة له ، فتكلمت عن فترة الحكم العثمانى الأول ٩٤٥ - ١٠٤٥هـ / ١٥٣٦ - ١٦٣٥ م ، ثم فترة الاستقلال التى بلغت قرنين من الزمان حيث عاد العثمانيون بعدها مرة أخرى لليمن فيما بين ١٢٨٩ - ١٣٣٧ هـ/١٨٧٢ - ١٩١٨ م ، وهنا نقطة جديرة بالاشارة ، وهى أن هذا البحث يشكل جزءا من الفترة الثانية للحكم العثمانى فى اليمن ، ولكنه يختص باقليم عسير ، الذى أصبح متصرفية تابعة للدولة العثمانية . ثم تحدثت عن الحكم العثمانى فى عسير والمخلاف السليمانى خلال الحكم العثمانى الأول لليمن ، وخلال مرحلة الاستقلال ، لأن العثمانين - وإن كانوا خرجوا من صنعاء عاصمة اليمن سنة ١٦٣٥ م ، فانهم مالبثوا أن عادوا بقوات أرسلها محمد على باشا - والى مصر - وحاربوا العسيريين حتى وصلوا الى الحديده - فى تهامة اليمن - واستقروا بها ينتظرون الفرصة للهجوم على صنعاء للمرة الثانية ، وفى هذه الفترة كانت لهم علاقات مع عسير والمخلاف السليمانى . ثم تحدثت عن الأدارسة فى عسير ، وكيف وصل جدهم الأعلى - أحمد بن ادريس - الى هذه المنطقة ، وكيف خلف تراثا روحيا كان فيما بعد حجر الأساس الذى اعتمد عليه حفيده في تكوين الحكومة الإدريسيه . وأخيراً أنهيت هذا الفصل بالحديث عن السيد محمد بن على الادريسى ، الذى أسس الحكومة ، فتعرضت لولادته ونشأته ورحلاته العلميه ، ثم المراحل التمهيديه لتأسيس حكومته ، فى الوقت الذى كانت فيه الدولة العثمانية بعيدة عن الحكم الفعلى لهذه المنطقة ، فكان هذا عاملاً مساعدا سهل للإدريسى تكوين حكومته وتأسيسها .

أما ثانى الفصول : فهو الذى يخدم المرحلة الزمنية الأولى من سنة ١٩٠٨ ، ـ سنة ١٩١١ م : ففى هذا الفصل نجد الأدارسة يوسعون نفوذهم ، فى الوقت الذى ، انشغلت فيه الدولة العثمانية بالفتن والثورات الداخلية التى أدت الى خلع السلطان عبد الحميد وقيام الحكم الدستورى وحكومة الاتحاديين ، فكان لذلك صدى كبيراً فى عسير والمخلاف السليمانى ، ثم بدأ الحكام الاتحاديون يوجهون نظرهم نحو المنطقة العسيرية فأرسلوا الى عسير متصرفا جديدا ، وأوكلوا اليه رصد الأعمال التى تقوم بها الحكومة الإدريسيه ولما أدركوا أن هناك حركة غير عادية يقودها السيد محمد الادريسى فى تلك المنطقة ، أرسلوا له وفدا لكى يعقد معه صلحا ، فحصل بينهما اتفاق الحفاير ، الذى اعترفوا له فيه بالسلطة الدينية ، واعترف لهم بالسيادة على المنطقة . ولكنه حاول ـ بعد أن اطمأنوا إليه ـ أن يقوى نفسه ، ويوطد علاقاته مع مشائخ المنطقة ، ويرسخ الكثير من أفكاره التى جعلت الدولة العثمانية أمام ثائر جديد فى جنوب الجزيرة العربية ، بجوار الثائر الأول ـ الإمام يحيى ـ . وما هى الافترة وجيزة حتى قاد الادريسى قواته ليحاصر العثمانين فى مركز المتصرفية أبها . معلنا لهم الثورة وطلب الاستقلال . وهنا كان موقف الدولة العثمانية صعبا للغاية ، حيث استنجدت بالشريف حسين للتدخل فى حل المسألة وفك الحصار . وهنا نلقى الضوء على علاقة الامام يحي بالدولة العثمانية وموقف الأدارسة من تلك العلاقة ، وبهذا نمهد للدخول فى الفصل الثالث : الذى يخدم المرحلة الزمنيه الثانية من سنة ١٩١١ ـ سنة ١٩١٤ م : وقد ناقشت أولا : صلح دعان بين الإمام يحيى والعثمانين عام ١٣٢٩ هـ/١٩١١ م ، حيث كان ـ هذا الصلح ـ نقطة ايجابية للدولة العثمانية ، فرقت بها بين زعيمى الثورة فى جنوب الجزيرة العربية ، فضمت الى صفها الامام يحيي ، وتركت الادريسى وحيدا فى الميدان لتقضى عليه أو تخمد ثوراته ، ولم تقف عند هذا الحد ، بل أَلَّبَتْ عليه الطرف المتصالح معها ومن هنا تتأثر العلاقات الحميه التى جمعت بين قطبى المقاومة فى اليمن وعسير ، فقد تبدلت من اتحاد وتعاون ، الى حروب وتنافر ، الأمر الذى أجبر الادريسى على التعاون مع أية قوة تمد يدها لمساعدته ، وكانت ـ ايطاليا ـ أنذاك ـ تسعى لاحتلال ولاية طرابلس الغرب من يد الحكومة العثمانية فأخذت تبحث عمن يشغل العثمانين فى جزء آخر من أملاكهم ، فوجدت الادريسى حائرا يبحث عن نصير ، فاتفقت أهدافهما ، وبدأ التعاون الايطالى

الادريسى ، الذى استفاد منه الايطاليون كما استفاد منه الأدارسه ، فقد كسبوا مكاسب كبيرة أجبرت الدولة العثمانية على طلب الصلح معهم .

ولكن الأدارسة رفضوا كل الشروط التى قدمها العثمانيون وفوق ذلك أعلنوا شروطا جديدة ليبينوا للحكومة العثمانية أنهم أصبحوا فى وضع يمكنهم من املاء الشروط التى يريدون . وهنا تظهر لنا شخصية الادريسى المتأثرة بالفكر العربى القومى ، وبالشعارات التى كان ينادى بها القوميون العرب فى بلاد الشام ومصر والعراق ، وليس هذا غريبا على شخصية عربيه عانت من ويلات الحكم العثمانى وسلبياته ، وتفاعلت مع آلام القوميين العرب ، فجاءت أفكاره ومطالبه صدى لأفكارهم ومطالبهم .

وأما رابع الفصول : فهو الذى يخدم المرحلة الأخيرة من بحثنا من سنة ١٩١٤ ـ سنة ١٩١٨ م : فقد قامت الحرب العالمية الأولى ، وكان التنافس البريطانى العثمانى على أشده ، حيث دخلت الدولة العثمانية الحرب الى جانب الألمان ، وأصبحوا يشكلون خطرا على المصالح البريطانية فى جنوب الجزيرة العربية ، ولذلك بدأ التنافس بين هاتين القوتين لكسب القوى العربية ، فكان نصيب بريطانيا اكبر من نصيب العثمانيين ، فقد كسبت الى صفها حكومة الأدارسة واتفقت معهم فى ٣٠ أبريل سنة ١٩١٥ م ، على أن يزيدوا من ثورتهم ويشغلوا العثمانين فى منطقتهم ، فيمنعون القوات العثمانية فى الحجاز وعسير من الوصول الى اخوانهم فى اليمن ولحج ، مقابل امدادهم بالمال والسلاح وفتح موانئهم وضمان حرية الملاحة الاقتصادية فى البحر الأحمر وحمايتها أيضا ، وفتحت موانئها فى عدن للتبادل التجارى مع الموانئ الادريسيه ، ولذلك فانه فى الوقت الذى اختنق فيه الاقتصاد اليمنى من جراء المحاصره المفروضة عليها ، فقد استفادت الحكومة الادريسيه واستفاد العسيريون وانتعش اقتصادهم رغم ويلات الحرب وأهوالها . ومع ذلك فقد أدى الأدارسة دورهم الحربى كما يجب ، حيث قاموا بالعمليات الحربية ضد العثمانين فى تهامة اليمن ، والقنفدة وسراة عسير وجزر فرسان ، وكانت القوات البريطانية تساعدهم من البحر ، فأزدادوا نفوذا ، واستولوا على مناطق جديده لم تكن تحت حكمهم قبل ذلك .

وعندما يصل البحث بنا الى سنة ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م ، وتصل أخبار الهدنه الى جنوب الجزيرة العربية ، نتعرض بالحديث عن موقف القوى هناك منها ، مع التركيز على

موقف الأدارسة ، ومحاولاتهم الجادة لاستثمار هذه الفرصة لكسب المزيد من المواقع ، فانضمت اليهم المخا والصليف والحديده بمساعدة البريطانين الذين أرادوا أن تكون الحديده ـ بالذات ـ ورقة رابحه يساومون عليها الإمام يحيى ـ خليفة العثمانين فى اليمن ـ وظلت كذلك حتى تم للامام يحيى ـ استعادتها بعد الحرب العالمية الأولى في سنة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م ، وننهى هذا الفصل بلمحة سريعة عن الأوضاع فى المنطقة بعد الحرب العالمية الأولى ، لكى تكمل صورة البحث ، ولكى نفتح بابا لبحث جديد يُخْدَم فيه تاريخ المنطقة ، وقد قسمت فترة ما بعد الحرب الى مرحلتين : الاولى من سنة ١٩١٨م ـ ١٩٢٢م : وهى المرحلة التى خرج فيها العثمانيون من عسير والمخلاف السليمانى ، وحاول الادريسى فيها ، ـ قبل وفاته ـ أن يدعم استقلاله ومكاسبه بين زعماء الجزيرة العربية ، الامام يحي فى اليمن ، وآل عائض فى سراة عسير ، وآل سعود فى نجد ، ولكن وفاته عام ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م ، كانت بداية النهاية للحكومة الادريسية .

المرحلة الثانية من سنة ١٩٢٢ ـ ١٩٢٣ م : وهى المرحلة التى جاء فيها خلفاء السيد محمد الادريسى من ابنائه واخوانه ليحكموا الدولة فلم يستطيعوا ان يحافظوا عليها وبدأت بينهم الصراعات والتنافس على الحكم فاستفاد الامام يحى من هذه الفرصة واستعاد البلاد التهامية التى اكتسبها السيد محمد الادريسى قبل وفاته . وهنا تدخل السلطان عبد العزيز آل سعود ليضم هذه المنطقة الى حكومته السعودية لتصبح فى سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م احدى المقاطعات السعودية وبهذا ينتهى الطرف الثانى فى البحث وهى حكومة الادارسة وكان قبلهم الطرف الاول قد انتهى فى سنة ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م وهم العثمانيون .

واخيرا ختمت هذه الدراسة بموجز لابرز النتائج التى توصل اليها البحث مع تقويم شخصى لحكومة الادراسة التى كان لها اكبر الاثر فى مسار المنطقة التاريخى فى تلك الفترة مع ابداء بعض التوصيات التى وجدت انه لابد من ابدائها ثم اوردت ملحقا باسماء الاعلام وملحقا آخر بالوثائق التى لم يتسع لها بالكامل متن الرسالة واحببت ان اوردها مجتمعة للفائدة والاستفادة .

وانني – الآن – وانا اقدم هذه الدراسة لا تمنى ان اكون قد وفقت فى اختيار انسب الطرق والمناهج لخدمة هذا الموضوع وتقديم الدراسة فى تسلسل زمنى وترتيب منطقى يسهلان عملية الطرح الموضوعى والتحليل الاستنتاجى للوصول الى غاية البحث ومنتهاه وفى نفس الوقت اشعر بان هناك شيئا من التقصير ولكن عزائى اننى ما ازال فى بداية الطريق والكمال لوجه الله سبحانه وتعالى .

ويسعدنى فى ختام هذه المقدمة ان اشكر كل من ساهم فى اخراج هذا الكتاب بدءا باستاذى الدكتور/ محمود حسن صالح منسى الذى اشرف عليه منذ ان كان اطروحة لرسالة الماجستير ، فقد كان بمثابة الوالد ناصحا ومشجعا والاخ سندا ومساعدا والاستاذ موجها ومرشدا .

وسعادة الدكتور / السيد مصطفى سالم الذى زرته في جامعة صنعاء فكان خير مشجع وموجه .

كما اتقدم بالشكر الجزيل الى مؤرخ جازان ، سعادة الشيخ / محمد احمد العقيلى الذى اعطانى من وقته وعلمه الشئ الكثير ، والى الامير / عبد الله بن الحسين بن الامام يحي حميد الدين ، والأستاذ/ على عبد الكريم الفضيل الذين امدانى ببعض المصادر والمراجع الهامة ، والشيخين الجليلين القائمين على المكتبة الغربية بالجامع الكبير فى صنعاء فقد ساعدانى فى استخراج المخطوطات وقراءة ما استعصت على قراءته وتفسير ما اشكل على فهمه وكذلك الاخوة الكرام عبد الله الشرفى ومحمد المطهر وعبد البارى طاهر فى مكتبة مركز الدراسات اليمنية بصنعاء لما قدموه من جميل العون والمساعدة .

كما اقدم الشكر والعرفان للقائمين على دارة الملك عبد العزيز فى الرياض واخص منهم الشيخ عبد الملك بن عبد الله آل الشيخ – امين عام الدارة والشيخ عبد الله حمد الحقيل – مدير الادارة الفنية ، والشيخ حمد العمرو – مدير مركز الوثائق والمخطوطات والاستاذ/ عبد العزيز سليمان العلى – المشرف على مركز الوثائق . فقد قدموا لى الكثير من العون والمساعدة فى استخراج الوثائق وتصويرها .

ولا انسى ـ وانا فى هذا المقام ـ ان اوجه الشكر لجامعة الملك عبد العزيز بجدة ولاسيما كلية الاداب عميدا ووكيلا وقسم التاريخ رئيسا وأعضاء هيئة التدريس وقسم الدراسات العليا رئيسا ومرشدين اكاديميين على ما بذلوه لى من تسهيلات وتشجيع فى سبيل هذا الكتاب .

كما يسرنى ان اوجه الشكر مقرونا بالعرفان الى اللجنه التى ناقشت هذا الكتاب فى صورته الاولى (رسالة ماجستير) ـ وهم :ـ

سعادة الاستاذ الدكتور/ محمود صالح منسى ـ استاذ التاريخ الحديث بقسم التاريخ بكلية الآداب ـ جامعة الملك عبد العزيز بجدة .

سعادة الدكتور/ عبد اللطيف ناصر الحميدان ـ الاستاذ المشارك بقسم التاريخ بكلية الآداب ـ جامعة الملك سعود بالرياض .

سعادة الدكتور/ احمد حسين العقبى ـ الاستاذ المشارك ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب ـ جامعة الملك عبد العزيز بجدة .

الذين استفدت من آرائهم وملاحظاتهم فجزاهم الله خير الجزاء .

واخيرا فهذا كتابى اضعه بين يدى السادة القراء والباحثين والمهتمين بالدراسات التاريخية فان لاقى صدى استحسان وتقدير فهذا ما اطمع فيه واتمناه وان ظهر فيه بعض النقص والتقصير فحسبى اننى رأيت نورا فمشيت فيه بقدر ما اتسعت قواى الفكرية والنفسية لاحتضانه والسير فيه وحسبى ذلك عذرا من الزلل والتقصير .

والله يتولانا بالرعاية والسداد والتوفيق .

والحمد لله رب العالمين .

المؤلف

يوسف حسن العارف

جدة ١٤٠٦/٤/٨ هـ/١٩٨٥/١٢/٢٣م

الفصل الأول

مدخل إلى البحث

عسير قبل حكم الأدارسة

أولاً : العثمانيون فى جنوب الجزيرة العربية :-

١ - تعريف عام بالمنطقة .

٢ - العثمانيون فى اليمن .

٣ - العثمانيون فى عسير والمخلاف السليمانى .

ثانياً : الأدارسة فى تهامة عسير والمخلاف السليمانى :-

١ - أصل الأدارسة ونسبهم .

٢ - السيد أحمد الإدريسى وانتقاله إلى صبيا .

ثالثاً : السيد محمد على الإدريسى وتأسيس حكومة الأدارسة :-

١ - ولادته ونشأته وتعلمه

٢ - التمهيد لتأسيس الحكومة .

٣ - التنظيم الإدارى والفتوحات الأولى .

أولا : العثمانيون فى جنوب الجزيرة العربية

١ - تعريف عام بالمنطقة :

قبل أن نتعرض للوجود العثمانى فى جنوب الجزيرة العربية، لابد من إلقاء نظرة موجزة إلى هذه المنطقة من الناحية الجغرافية، ولا سيما فيما يختص بالموقع والحدود، لنتعرف من خلالها على المسرح الذى تجرى عليه أحداث هذه الدراسة.

وبالاطلاع على خريطة شبه الجزيرة العربية(١) -ولا سيما الأجزاء الجنوبية الغربية منها- سنجد أمامنا منطقتين متجاورتين، وهما: منطقتا اليمن وعسير، فاليمن: هى المنطقة الواقعة فى الطرف الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة العربية، وتمتد من خليج عدن جنوباً، إلى الحدود الجنوبية لعسير ونجران شمالا، ومن البحر الأحمر غرباً، إلى الربع الخالى شرقاً، أى أنها تقع بين خطى عرض ١٧ و١٢ شمالا، وبين خطى طول ٤٢ و٤٦ شرقاً(٢)، وكانت اليمن -قديماً- تسمى: بلاد العرب السعيدة (Arabiafelix) أو اليمن الخضراء، لكثرة أشجارها وزروعها ومراعيها، وتقدر مساحتها (٧٥,٠٠٠كم٢)(٢)(*)، وتنقسم اليمن من حيث التضاريس إلى منطقتين هامتين:

الأولى: مراة اليمن: وهى المناطق الجبلية، أو المناطق الداخلية وأهم مدنها: صنعاء، تعز، ذمار، مناخة، مأرب، حجة، صعده.

---

(١) أنظر الخريطة رقم (١).

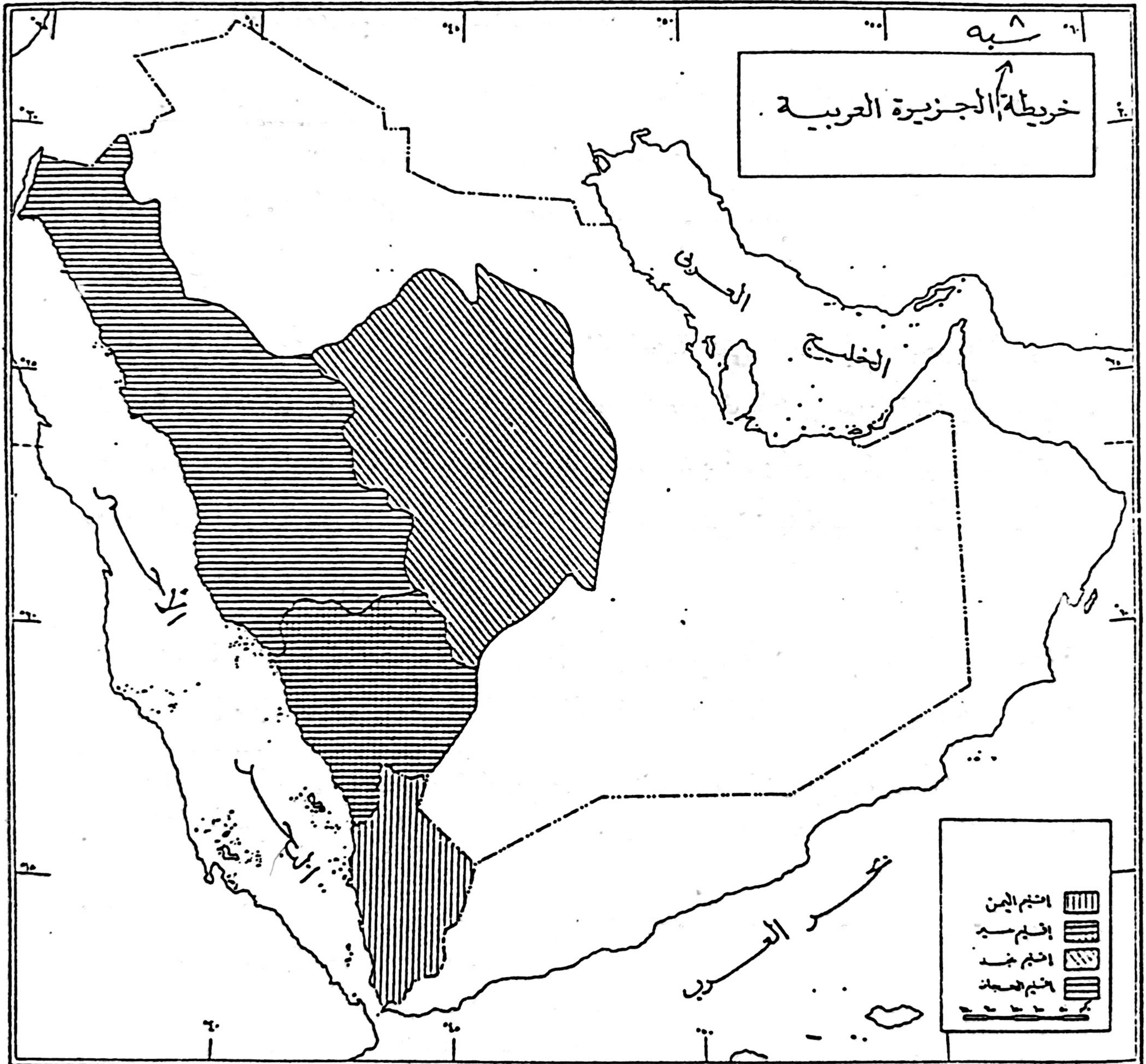
(٢) الفلاحى، عبدالمنعم: جغرافية جزيرة العرب (بغداد: دار منشورات البصرى، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م)، ص٣٧.

(٢) الدباغ، مصطفى مراد: جزيرة العرب موطن العرب ومهد الإسلام (ط١، بيروت: منشورات دار الطليعة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م)، ج١، ص ص٢٤٣- ٢٤٤.

(*) أما من حيث الحدود السياسية فقد اتضحت معالمها بشكل رسمى ونهائى منذ معاهدة الطائف بين اليمن والسعودية عام ١٢٥٢هـ/ ١٩٢٤م حيث أصبحت تقف عند حد جبل ثار ورأس جبل نهوقه جهة الشرق والشمال الشرقى، ومن جهة البحر تقف عند جبل حيش مما يلى قبائل آل تليد السعودية.
للتوسع أنظر: تقرير الحدود ضمن المعاهدة المذكورة.

الثانية: تهامة اليمن: وهى المناطق الساحلية والتى تطل على البحر الأحمر من الموسم شمالا إلى عدن جنوباً وتتميز بانخفاضها عن المناطق الجبلية وشدة حرارتها وركود رياحها (١).

ومن أشهر مدنها: الحديده، زبيد، بيت الفقيه، مخا، اللحيه،



خريطة رقم (١)

---

(١) أبوالعلا، محمود طه: جغرافية شبه جزيرة العرب (ط١، القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربى، ١٩٦٥م)، جـ١، ص٣٦.

الزهره ، ميدى (١) .

وأما عسير : فهى المنطقة التى تقع بين اليمن جنوبا والحجاز شمالا ، وتمتد من البحر الأحمر غربا الى مقاطعة نجد شرقا ، وتبلغ مساحتها حوالى (٧٠,٠٠٠ كم٢) ، وقد سميت بهذا الاسم « لصعوبة مسالكها ، وكثرة تعاريجها » (٢) ، أو كما يقول البعض : أنها « نسبة لأحد ساكنيها الأقدمين واسمه عسير من العدنانين » (٣) ، ومن حيث التضاريس فانها تنقسم ـ أيضا ـ الى منطقتين :ـ

الأولى : عسير السراة : وهى المناطق الداخلية ، التى تقع على مرتفعات جبال السروات ، ومن أهم مدنها : أبها ـ التى أصبحت مركزا للمتصرفية العثمانية سنة (١٢٨٩ هـ/١٨٧٢ م) كما سنعرف فيما بعد ـ وخميس مشيط ،وحَجْلَه ، والنَّمَاصْ ، ورجال ألمع .

الثانية : تهامة عسير : وهى المناطق الساحلية التى تمتد علي البحر الأحمر من القنفدة شمالا الى المُوَسَّمْ جنوبا ، ومن البحر الأحمر غربا الى محاذاة الجبال شرقا ، ومن أهم مدنها البعيدة عن الساحل ـ نوعا ما ـ " صبيا ، وأبو عريش ، ومَحَايِل " (٤) ، وأما المدن القريبة من الساحل فأهمها : القُنْفُذَه ، حَلِي بن يعقوب ، البِرْك ، الشُّقَيقْ ، جازان ، الجعافره ، المضَايا ، المُوَسَّمْ . (٥)

ويدخل ضمن هذا الجزء الساحلى من عسير ، المنطقة التى عرفت باسم (المخلاف السليمانى) ، والمخلاف " يعنى الاقليم أو المنطقة أو المقاطعة (٦) ، وقد عرفت هذه المنطقة

(١) الدباغ ، مصطفى مراد : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٥١ ـ ٢٩٨ ، انظر الخريطة رقم (٢) .

(٢) شاكر ، محمود : شبه جزيرة العرب ـ عسير ـ (المكتب الاسلامى ، د . ت .) ، ص ١٢ . وانظر الخريطة رقم (٣) .

(٣) النعمى ، هاشم سعيد : تاريخ عسير فى الماضى والحاضر (بيروت : المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ت .) ، ص ص ٤ ـ ٦ .

(٤) الدباغ ، مصطفى مراد : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠٧ ، ص ص ٢١٣ .

(٥) وهبه ، حافظ : جزيرة العرب فى القرن العشرين (ط ٥ ؛ القاهرة : مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧ م .) ، ص ٣٥ .

(٦) العقيلى ، محمد بن أحمد : المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية مناطق جازان (المخلاف السليمانى) (ط ٢ ؛ جازان : النادى الأدبى ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .) ، ص ١٧ .

خريطة اليمن

خليج عدن

خريطة رقم (٢)

إقليم عسير

خريطة رقم (٣)

بذلك الاسم ، فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، نسبة إلى شخص حكم المنطقة يدعى : سليمان بن طرف الحكمى ، من آل عبد الجد الحكميين الذين كانوا يحكمون قبيلة (حَكَمْ) ، وقد استطاع هذا الحاكم أن يوسع حكمه نحو الشمال ، حتى شمل مخلاف (عَثَّرْ) ، وأطلق اسمه على هذه المنطقة الممتدة من مخلاف حَكَمْ جنوباً ، إلي مخلاف عَثَّرْ شمالاً ، واستمرت امارته عشرين عاماً (٣٧٣ ـ ٣٩٣هـ / ٦٨٣ ـ ١٠٠٢م) . ويضم مخلاف حَكَمْ ، المناطق الواقعة بين المُوسَمْ (الشَّرْجَه قديماً) فى الجنوب ، إلى صبيا فى الشمال أما مخلاف عَثَّرْ ، فيضم المناطق الواقعة بين صبيا جنوباً ، إلى حَلَيْ ابن يعقوب شمالاً [1] ، وعلى هذافان حدود المخلاف السليمانى ـ قديماً تبدأ من الشَّرْجَه جنوباً ـ بالقرب من الحدود اليمنية ـ إلى حلي بن يعقوب شمالاً ، وما تزال هذه الحدود منطبقة ـ فى وقتنا الحاضر ـ على منطقة جازان [2] ، فالشَّرْجَة هى مدينة المُوَسَّمْ حالياً ، وهى الحد الطبيعى للبلاد السعودية مع اليمن ، وحَلِى بن يعقوب من مدن تهامة عسير كما ذكرناه آنفاً .

ومن هنا يمكن القول : أن المخلاف السليمانى ـ فى الأصل ـ جزء من تهامة عسير ، ويتمثل فى الجزء الجنوبى منها ، وقد نشأت فى صبيا ـ كما سنعرف ـ حكومة الأدراسة ، وصبيا احدى مدن تهامة عسير الهامة ، وفى الوقت نفسه ، فانها احدى مدن المخلاف السليمانى .

وبناء على ما سبق يمكن لنا فى هذه الدراسة ، أن نستخدم هذه التسميات الثلاث : عسير ، وتهامة عسير ، والمخلاف السليمانى ، لنعطى لأحداث هذه الفترة سماتها التاريخية والجغرافية . فإذا ذكرنا عسير ، فانما تعنى المنطقة كلها سراتها وتهامتها ، واذا ذكرنا تهامة عسير ، فاننا نعنى المنطقة الساحلية الممتدة من القُنْفُذَة شمالاً إلى المُوَسَّمْ جنوباً ، واذا ذكرنا المخلاف السليمانى ، فهذا يعنى : أننا نقصد المنطقة الواقعة بين حَلِي بن يعقوب شمالاً والمُوَسَّمْ جنوباً .

---

(١) العقيلى ، محمد بن أحمد : تاريخ المخلاف السليمانى (ط ٢ ؛ الرياض : دار اليمامة البحث والترجمة والنشر ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .) ، جـ ١ ، ص ص ٧١ ـ ٨٣ .

(٢) انظر الخريطة رقم (٤) .

المخلاف السليماني
(إقليم جازان)

حلي بن يعقوب
البرك
القحمة
الشقيق
الدرب
صبيا
فيفا
أبو عريش
جازان
فرسان
فرسان الكبرى
السجيد
الدسان
قماح
ساقف
دمسق

خريطة رقم (٤)

٢ ـ العثمانيون فى اليمن :

إذا أردنا التحدث عن الوجود العثمانى فى عسير والمخلاف السليمانى ، فلابد من البدء بالحديث عن الوجود العثمانى فى اليمن . لأن الوجود العثمانى فى عسير والمخلاف السليمانى مرتبط بالوجود العثمانى فى اليمن ونتيجة له .

ويرجع الوجود العثمانى فى اليمن ، إلى عام (٩٢٣هـ / ١٥١٧م) ، وذلك على أثر سقوط دولة المماليك فى مصر على أيدى العثمانين ، حيث ورثت الدولة العثمانية الممتلكات المملوكية بما فيها اليمن والحجاز . وسواء أكان اتجاه الدولة العثمانية نحو الشرق الإسلامى ـ ومن ضمنه اليمن ـ بقصد منازلة الخطر البرتغالى (١) . أم لم يكن كذلك (٢) ، فقد وقع على كاهل العثمانين مهمة دفع الخطر البرتغالى ، وخصوصا فى السواحل الجنوبية للبحر الأحمر حيث توجد منطقة اليمن (٣) . ولهذا سنجد الدولة العثمانية ، تسير على نفس السياسة الحربية التى سار عليها المماليك فى البحر الأحمر ، وهى جعل اليمن بصفة عامة ، وعدن بصفة خاصة قاعدة لمحاربة البرتغاليين فى المحيط الهندى والسيطرة فى البحر الأحمر (٤) .

فترة الحكم العثمانى الأولى : (٩٤٥ ـ ١٠٤٥هـ / ١٥٣٨ ـ ١٦٣٥م) :-

لقد خضع اليمن للدولة العثمانية ـ فى بادئ الأمر ـ خضوعاً سلمياً ، حيث جاءت الوفود اليمنية إلى مصر لتقدم للسلطان سليم الأول تهانيها وتعرض عليه

---

(١) أنيس ، محمد : الدولة العثمانية والشرق العربى ١٥١٤ ـ ١٩١٤م . (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية) ، ص ١٣٠ ،

منسى ، محمود صالح : حركة اليقظة العربية فى الشرق الأسيوى ، (القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٧٨م) ، ص ص ٢٤ ـ ٢٥ .

(٢) الشناوى ، عبد العزيز محمد : أوربا فى مطلع العصور الحديثة (القاهر : دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩م) جـ ١ ، ص ص ٥٨٢ ـ ٥٨٨ .

(٣) سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثمانى الأول لليمن ١٥٣٨ ـ ١٦٣٥م (ط ٢ ، القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٤م .) ، ص ٩٧ .

(٤) أنيس ، محمد : مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٠ .

ولاءها واعترافها [1] . فأصدر السلطان سليم أوامـره بتثبيت الوالـى المملوكى فى اليمـن (اسكندر الجركسي) والياً على اليمن ، ولم يلبث أن دب النزاع بينه وبين القواد الجراكسه فى الولاية ، فأخذ كل منهم يكيد للآخر ، ويدبر المؤامرات للاستيلاء على الولاية ، فقام أحدهم ويدعى : (كمال الرومى) وقتل الوالى (اسكندر الجركسي) سنة (٩٢٧هـ / ١٥٢٠م) ثم تولى مكانه وبعد ذلك قامت فئة أخرى وقتلت (كمال الرومى) سنة (٩٣٠هـ / ١٥٢٣م) وولوا مكانه (اسكندر بك القرمانى) [2] .

ومن هنا قرر السلطان سليمان القانونى ، تجهيز حملة بحرية كبيرة بقيادة (سلمان باشا الخادم) الذي أبحر بها من السويس إلى عدن سنة (٩٤٥هـ / ١٥٣٨م) ، وتمكنت من دخول المدينة عنوة وغدراً ، بعد مقتل عاملها عامر بن داود الطاهرى [3] ، وبذلك أصبحت عدن والسواحل اليمنية تحت الحكم العثمانى ، بينما كانت المناطق الداخلية من اليمن تحت حكم الأئمة الزيديين ، وكان يمثلهم فى القيادة السياسية أنذاك الإمام يحيى شرف الدين (٩١٢ ـ ٩٥٣هـ / ١٥٠٦ ـ ١٥٤٦م) . وقد حتم هذا التقارب قيام الحرب بين العثمانيين واليمنيين ، مما دفع الوالى العثمانى ـ أزدمر ـ لأن يقود الحروب فى شمال اليمن ، فتقدم إلى صنعاء فى أول رجب سنة (٩٥٤هـ / ١٥٤٧م) وحاصرها حصاراً شديداً حتى فتحت أبوابها فدخلها مع قواته معلناً بذلك أول حكم عثمانى لليمن كله . [4]

ولكن اليمنيين لم يستسلموا للحكم العثمانى ، اذا سرعان ما قاد الإمام المطهر بن الإمام يحيى شرف الدين (٩٥٣ ـ ٩٨٠ هـ / ١٥٤٦ ـ ١٥٧٢م) حملة استعاد بها صنعاء فى سنة (٩٧٥هـ / ١٥٦٨م) . فأرسل اليه العثمانيون قوة كبيرة بقيادة سنان باشا ، حيث وصل بقواته إلى زبيد ومنها زحف باتجاه المواقع التى عسكرت فيها القوات اليمنية بقيادة الإمام المطهر وجرت بين الفريقين حروب كثيرة استطاع بعدها العثمانيون

(١) أباظة ، فاروق عثمان : الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢ ـ ١٩١٨م (ط ٢ ؛ بيروت : دار العودة ، ١٩٧٩م) ، ص ص ١٥ ـ ١٦ .

(٢) النهر والى المكى ، قطب الدين محمد بن أحمد : البرق اليمانى فى الفتح العثمانى (ط ١ ؛ الرياض : منشورات دار اليمامة ، ١٣٧٨هـ / ١٩٦٧م) ، ص ص ٣٣ ـ ٣٦ .

(٣) الحداد ، محمد يحيى : تاريخ اليمن السياسي (دار الهنا للطباعة ، ١٣٩٦هـ / ١٩٦٧م) ، ص ٣١٥ .

(٤) سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثمانى الأول لليمن ، ص ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .

أن يستعيدوا مدينة صنعاء سنة (٩٧٧هـ / ١٥٧٠م) [١] ، لتصبح بذلك أحدى الايالات العثمانية ، وقسموها إلى تسعة ألوية وهى " صنعاء ، مُخَا ، زبيد ، تعز ، صَنْهَلَه ، كَوْكَبَانْ ، طويله ، مارب ، عدن " . [٢]

وخلال قرن من الزمان (٩٤٥ ـ ١٠٤٥هـ / ١٥٣٨ ـ ١٦٣٥م) كان اليمن مسرحاً للفتن والثورات والحروب بين اليمنيين والعثمانيين حتى تمكن الإمام المؤيد محمد بن القاسم (١٠٢٩ ـ ١٠٥٤هـ / ١٦١٩ ـ ١٦٤٤م) من اخراج العثمانيين من اليمن سنة (١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م) ، ليصبح بذلك أول ولاية عربية تستقل عن الحكم العثمانى . [٣]

وقد استمرت فترة الإستقلال حتى عام (١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م) ـ أى حوالى قرنين من الزمان ـ عاد بعدها العثمانيون ، بقوات أرسلها محمد على باشا من مصر ، بأمر من الدولة العثمانية ، فوصلت إلى تهامة عسير ـ كما سنعرف بعد قليل ـ وحاولت الوصول إلى صنعاء ولكن بدون جدوى .

وفى عام (١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م) حصلت خلافات ومنازعات فى اليمن واضطر الإمام (المتوكل محمد بن يحيى ، (١٢٦٠هـ ـ ١٢٦٦هـ / ١٨٤٤ ـ ١٨٤٩م) أن يستنجد بالعثمانين فى المخلاف السليمانى لاقرار الأمور وحل المشاكل فأرسلوا إليه قوة كبيرة ، واستطاعت أن تدخل صنعاء ، إلا أن اليمنيين لم يقبلوا هذا التصرف من الإمام المتوكل ، فقاموا بالثورات والحروب حتى أخرجوا القوة العثمانية من صنعاء [٤] ، واستقرت أخيراً فى تهامة اليمن ، واتخذت من الحديدة مركزاً للتجمع ومراقبة الأحداث وانتهاز الفرص لاعادة الكرة من جديد ، وقد تم ذلك فى عام ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م) فيما عرف بالحكم الثانى . [٥]

---

(١) شرف الدين ، أحمد حسين : اليمن عبر التاريخ (ط ٢ ؛ ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م) ، ص ٢٦٢ .

(٢) الحصرى ، أبو خلدون ساطع : البلاد العربية والدولة العثمانية (ط ٢ ؛ بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٦٠م) ، ص ٢٣٩ .

(٣) حراز ، السيد رجب : الدولة العثمانية وشبة جزيرة العرب ١٨٤٠ ـ ١٩٠٩م . (القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٠م) ص ٧٨ .

(٤) الواسعى اليمانى ، عبد الواسع بن يحيى : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن . (ط ٣ ؛ الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ، ص ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

(٥) أباظه ، فاروق عثمان : الحكم العثمانى فى اليمن ، ص ٦٥ .

فترة الحكم العثمانى الثانيه (١٢٨٩ ـ ١٣٣٧هـ / ١٨٧٢ ـ ١٩١٨م) :-

لقد تميزت فترة الاستقلال ـ السابق ذكرها ـ والتى عاشتها البلاد اليمنية بعد خروج العثمانين منها ، بالفتن والفوضى والإضطرابات ، وذلك بسبب النزاعات المستمرة والتنافس على الإمامة ، مما جعل العثمانين فى الحديده ينتظرون أية فرصة تسنح لهم للإنقضاض على اليمن ليحكموه من جديد .

ولقد حانت تلك الفرصة عندما اتصل بعض أئمة اليمن وعلمائها بالسلطان العثمانى عبد العزيز خان ـ (١٢٧٨ ـ ١٢٩٣هـ / ١٨٦١ ـ ١٨٧٦م) ـ وطلبوا منه أن يمدهم بقوات تنقذ اليمن من الفتن والاضطرابات (١) ، فأصدر أوامره إلى أحمد مختار باشا ، فى عام (١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م) ـ وكان يشارك فى فتح عسير مع زميله رديف باشا بأن يقود حملة من الحديده ويتوجه إلى صنعاء .. وقد استقبلهم اليمنيون بالترحيب والتهليل ، ظناً منهم بأن هذه الحملة ماجاءت إلا لتأديب العصاة وقمع الثائرين (٢) ، ولكنها ـ فى الواقع ـ كانت بداية الحكم العثمانى الثانى لبلادهم واحتلالها .

ومن هنا أعلن اليمنيون رفضهم لهذا الإحتلال ، فقامت الثورات والفتن فى انحاء البلاد ، يقودها الأئمة الزيديون ، بدأ بالإمام الهادى شرف الدين بن محمد ـ الملقب بأبى نيب (١٢٩٥ ـ ١٣٠٧هـ / ١٨٧٨ ـ ١٨٨٩م) ومرورا بالإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين (١٣٠٧ ـ ١٣٢٢هـ / ١٨٨٩ ـ ١٩٠٤م) وانتهاءاً بالإمام المتوكل على الله يحيى محمد حميد الدين (١٣٢٢ ـ ١٣٨٦هـ / ١٩٠٤ ـ ١٩٤٨م) (٣) .

ولكن الدولة العثمانية كانت تواجه تلك الثورات والحروب بالقوات المسلحة ، والحملات العسكرية المتتابعة ، والولاة القساة ، لتقضى على كل مظاهر المقاومة ، ولتؤكد خضوع اليمن لها . وقد استمر الحكم العثمانى فى اليمن ـ للمرة الثانية ـ بين حروب وفتن وثورات حتى سنة (١٣٢٩هـ / ١٩١١م) عندما عقد العثمانيون صلح دعان مع الإمام يحيى ، فتغيرت العلاقة إلى نوع من التآلف والسلم حتى انتهت الحرب العالمية الأولى سنة (١٣٣٧هـ / ١٩١٨م) . وخرج العثمانيون من اليمن .

---

(١) الجرافى اليمنى ، عبد الله عبد الكريم : المقتطف من تاريخ اليمن . (القاهرة : دار احياء الكتب العربية ـ عيسى البابى الحلبى وشركاه ، (١٣٧٠هـ / ١٩٥١م) ص ٩٦

(٢) الواسعى اليمانى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢١٧ ـ ٢٢٤ .

(٣) الحداد ، محمد يحيى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣٥١ ـ ٣٥٨ .

٣ ـ العثمانيون فى عسير والمخلاف السليمانى :

لم يكن غريباً أن يتعرف العثمانيون على عسير والمخلاف السليمانى ، فقد كانت هاتان المنطقتان ـ ولاسيما الجزء التهامى منها ـ من بين الطرق التى كانت تعبرها القوات العثمانية أثناء حروبها فى اليمن خلال الحكم العثمانى الأول ، حيث نجد أغلب الحملات العثمانية المرسلة إلى اليمن تعبر تهامة عسير إلى تهامة اليمن ، ثم إلى المدن اليمنية الداخلية ، حتى تصل إلى صنعاء (١) . ومن هنا يمكن القول : أن علاقة العثمانيين بتهامة عسير بما فيها المخلاف السليمانى تعود إلي نفس الفترة التى قامت فيها العلاقات العثمانية اليمنية .

ومن هنا نستنتج أن الوجود العثمانى فى منطقة عسير والمخلاف السليمانى قد مر بخمسة مراحل على النحو التالى :

المرحلة الأولى (٩٤٥ ـ ١٠٤٥هـ / ١٥٣٨ ـ ١٦٣٥م) : حيث كانت تهامة عسير والمخلاف السليمانى تحت حكم الأمراء المحلّين ، كالخواجيين ثم القطبيين (٢) ، فى ظل السيادة العثمانية والتبعية للواء زبيد ، وكان الولاة العثمانيون يرسلون إلى أبي عريش وجازان حكاماً يساعدون الأمير المحلّى فى شئون الحكم ، ولكنهم كانوا يستأثرون بالادارة دونهم ، فتقوم الحروب بين الفريقين .

ويمكن أن نذكر من أولئك الحكام : أزدمر باشا (٩٤٦ ـ ٩٤٩هـ / ١٥٣٩ ـ ١٥٤٢م) ، وفرحات الزنكى (٩٥٥هـ / ١٥٤٨م) ، ورضوان باشا الذى كان أخرهم حيث أخرجه الإمام اليمنى المؤيد محمد بن القاسم من جازان ، فى نطاق حملاته لطرد العثمانين من اليمن ، وسلم الادارة للأمراء الخواجيين (٣) .

وبعد خروج العثمانيين من اليمن سنة (١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م) تمتعت تهامة عسير والمخـلاف السليمانـى بفتـرة الاستقـلال التى عاشتها اليمـن آنذاك فأصبحـت المنطقـة

---

(١) النهر والى المكى ، قطب الدين محمد بن أحمد : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .

(٢) الخواجيين : نسبة إلى الأمير عيسى بن حسين الخواجى ، والقطبيين : نسبة إلى الأمير خالد بن قطب الدين انظر العقيلى : المخلاف السليمانى ، جـ١ . ص . ٢٦ ، ص ص ٣٠٠ ـ ٣٠٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ص ٢٢٩ ـ ٢١٥ .

-بطبيعة الحال- تحت حكم الأمراء المحليين من آل غالب، ثم آل خيرات(١)، وعاشت المنطقة بعد ذلك فى صراع مع الأئمة الزيديين الذين كانوا يحاولون فرض سيطرتهم عليها، أما سراة عسير، فلم يكن للعثمانيين فيها أية حكومة أو ولاية، وإنما كان يحكمها الأمراء المحليون من آل المتحمى.

المرحلة الثانية (١٢٣٠- ١٢٥٦هـ/ ١٨١٤- ١٨٤٠م): لقد استمر الوضع السابق فى عسير والمخلاف السليمانى حتى عام (١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م) ثم ابتدأ المد العثمانى نحوها من جديد، وذلك بواسطة الوالى العثمانى فى مصر -محمد على باشا- الذى أرسل قواته إلى الجزيرة العربية لمحاربة آل سعود، وكان طبيعياً أن تصل هذه القوات إلى منطقة عسير والمخلاف السليمانى لمحاربة أنصار آل سعود فى هذه المنطقة(٢).

---

(١) آل غالب: نسبة إلى الأمير أحمد بن غالب، وآل خيرات: نسبة إلى الأمير أحمد بن محمد الخيراتى. أنظر: العقيلى، المخلاف السليمانى، جـ١، ص ص٢٧٢- ٤٢١.

(٢) فى حوالى القرن الثامن عشر الميلادى امتد نفوذ الدولة السعودية الأولى من الدرعية إلى الحجاز ثم عسير التى استجاب بعض أمرائها للدعوة السلفية ودخلوا فى طاعة الدولة السعودية، وكان أولهم الأمير محمد بن عامر أبونقطة ولما تولى طامى بن شعيب الإمارة، أصبح عوناً ونصيراً لآل سعود فى حروبهم ضد محمد على باشا.
أنظر: مسفر، عبدالله بن على: أخبار عسير (ط١، دمشق/ بيروت: المكتب الإسلامى، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ص ص٢١- ٢٥.
وتشير الدراسات التاريخية إلى أن منطقة عسير والمخلاف السليمانى قد ارتبطتا -تاريخياً- بالدولة السعودية سواء الأولى أو الثانية ارتباطاً وثيقاً للدرجة التى يقول فيها أحد المؤرخين: إن إمارة عسير كانت امتداداً للدولة السعودية الأولى لأن قبائل المنطقة وجدوا فى الحكم السعودى لهم الأمن والاستقرار، وأن عسير كانت جزء مكملا للدولة السعودية الثانية.
أنظر: العسيرى، على أحمد عيسى: عسير من ١٢٤٩-١٢٨٩هـ، ص ص٢٤٧-٢٤٨.
كما تتأكد هذه العلاقة القوية بين منطقة عسير والمخلاف السليمانى من خلال الدعاة المحليين الذين تأثروا بالدعوة السلفية وقاموا بنشرها فى المنطقة مثل الداعية أحمد بن حسين الفلقى فى المخلاف السليمانى، وأحمد بن عبدالقادر الحفظى فى عسير، ثم تحولت هذه العلاقة الدينية إلى علاقات سياسية بين حكام آل سعود وأمراء المنطقة سواء آل عايض فى عسير وآل غالب وآل خيرات فى المخلاف السليمانى.
للتوسع أنظر: العقيلى، محمد أحمد: المخلاف السليمانى، جـ١، ص ص٤٤٠- ٤٥٢.

فعندما تمكن محمد على باشا من السيطرة على الحجاز من يد الحكومة السعودية، أرسل قواته إلى تهامة عسير، وفى القنفذه التقت مع القوات العسيرية بقيادة الأمير طامى بن شعيب (١٢٢٤- ١٢٣١هـ/ ١٨٠٩- ١٨١٥م) واستطاع العسيريون أن يهزموا القوات العثمانية ويستولوا على ما معها من أسلحة وعتاد وتم جلاؤها عن المنطقة فعادت إلى جدة(١).

ولكن محمد على باشا لم ينثن أمام أول هزيمة من العسيريين بل نجده يقود حملة جديدة ويتوجه بها إلى الطائف فى نفس العام (١٢٣٠هـ/١٨١٤م) ليلتقى مع القوات السعودية وأنصارها من العسيريين بقيادة طامي بن شعيب، فى (وادى بسل)(٢) حيث تمكن من هزيمتهم ولما عاد العسيريون إلى بلادهم، كان محمد على باشا قد سبقهم إليها بقواته، والتقى مع قوات طامي بن شعيب فى حروب كثيرة حتى تمكن أخيراً من الاستيلاء على عاصمتهم (مدينة طبب)(٣) ففر طامى إلى المخلاف السليمانى، ولكن أمير المخلاف آنذاك -وهو الشريف حمود أبومسمار- أراد أن يتقرب من القوات العثمانية حتى لا تستولى على بلاده، وتقضى على حكومته، فقبض على الأمير العسيرى وسلمه للعثمانيين الذين نفوه إلى مصر ثم إلى استانبول حيث أعدم هناك(٤).

وبهذا تكون سراة عسير وتهامتها حتى الحدود الشمالية للمخلاف السليمانى قد سقطت فى يد الحكومة العثمانية، حتى عين محمد على باشا أحد رجاله أميراً عليها، وجعل معه حامية عسكرية مزودة بالسلاح والمدافع، ثم عاد بقواته إلى مصر، ولكن الحكم العثمانى فى سراة عسير وتهامتها لم يكن له أثر فعال، إذ لم يكن هم الحكام «إلا اقتناص أموال الناس وإثارة الفتن والاضطرابات»(٥)

- العسيرى، على أحمد عيسى: مبق ذكره، ص ص٢٤١- ٢٥٨.

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله: عنوان المجد فى تاريخ نجد، تحقيق وتعليق: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ (ط٢، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، جـ١، ص٢٤٨.

(٢) وادى بسل: مكان فى الحجاز بين الطائف وتربه.

(٣) طبب: مدينة فى سراة عسير، على واد يسمى بنفس الاسم، تقع شمال غرب أبها، واتخذت عاصمة للمنطقة فى عهد آل المتحمى.

(٤) ابن بشر: مرجع سبق ذكره، ص٢٤٨.

(٥) النعمى: مرجع سبق ذكره، ص ص١٥٧- ١٥٨.

فسادت الفوضى وانتشر الفساد وعاشت المنطقة على ذلك حتى قام الأمير محمد بن أحمد المتحمى (١٢٢١- ١٢٣٣هـ/ ١٨١٥- ١٨١٧م)، واتفق مع أمير المخلاف السليمانى -الشريف حمود- على محاربة القوات العثمانية المرابطة فى عسير، وقبل أن يبدأ الأميران حركتهما المشتركة ضد العثمانيين، حصل خلاف بين أفراد الأسرة الحاكمة فى المخلاف السليمانى، حيث سجن الشريف حمود ابن أخيه، فغضب إخوة السجين ولجأ اثنان منهما إلى الحجاز، يستنجدان بالوالى العثمانى فيها ضد عمهما الشريف حمود(١)، وما كان من والى الحجاز، إلا الاستجابة لطلبهما، وأرسل قوة عثمانية بقيادة جمعه باشا، حيث التقى بالقوات المشتركة من عسير والمخلاف السليمانى، عند مكان يسمى (الحمة)(٢) فانهزم الجيش العثمانى وقتل قائدهم جمعة باشا(٣).

ولما علم والى الحجاز بنبأ الهزيمة، والتحالف بين أميرى عسير والمخلاف السليمانى، جهز حملتين قويتين، جعل على أحدهما سنان باشا، ويعاونه الشريف محمد بن عون، وأرسلها إلى مراة عسير فى عام (١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م) حيث حاربت العسيريين بقيادة الأمير محمد المتحمى وهزمتهم واستولت على عاصمتهم (طبب)، وأسر -فى أثناء ذلك- الأمير العسيرى، ونفى إلى مصر(٤)، أما الحملة الثانية، فقد جعل على قيادتها خليل باشا وكان هدفها المخلاف السليمانى، فوصلت إلى أبى عريش، بعد أن استولت فى طريقها على أغلب المناطق التهامية من درب بنى شعبه إلى صبيا، وأمام قوة الحملة، استسلمت أبى عريش -بعد حصار طويل- ودخلتها القوات العثمانية، حيث عقدت صلحاً مع الشريف أحمد -الذى خلف أباه الشريف حمود فى حكم المنطقة سنة (١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م)، ولكنهم غدروا به فأسروه ونفوه إلى مصر -أيضاً-(٥)، وفى سنة (١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م) استطاع خليل باشا أن يستولى على أغلب مناطق المخلاف السليمانى ويضيف إليها بعض المناطق من

(١) الوشلى الحسينى، إسماعيل بن محمد بن أبى القاسم (ت: ١٢٥٦هـ): نشر الثناء الحسن على بعض أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن وذكر الحوادث الواقعة فى هذا الزمن (مخطوط)، جازان، المكتبة العقيلية، رقم ٢٥، جـ٣، ص ص١٧٤- ١٧٥.

(٢) الحمة: من قرى عسير، بين بلاد رجال المع ودرب بنى شعبة.

(٣) مسفر، عبدالله بن على: مرجع سبق ذكره، ص٧٤.

(٤) النعمى: مرجع سبق ذكره، ص١٥٩. (٥) العقيلى: المخلاف السليمانى، جـ١، ص٤٨٢.

تهامة اليمن، ليمتد النفوذ العثمانى، من أبى عريش شمالا إلى زبيد جنوباً، ثم قام باتصالات مع إمام اليمن، يطالبه بإرسال وفد يمنى يسلمه المناطق اليمنية، التى كان أمير المخلاف السليمانى قد استولى عليها، مقابل أن يدفع الإمام مبلغاً من المال من محصول البن اليمنى(١)، وبعد موافقة الإمام انسحب خليل باشا بقواته عائداً إلى الحجاز، ويقال أنه توسط لدى إمام اليمن، لكى تسند إمارة المخلاف السليمانى لأحد أشرافه فاختير الشريف على بن حيدر(٢).

أما بقية عسير، فلم يتوطد الحكم العثمانى فيها، حيث واجهت حامياتهم فى السراة وتهامة، الكثير من الحروب التى قادها الأمير العسيرى سعيد بن مسلط (١٢٣٣- ١٢٤٢هـ/ ١٨١٧- ١٨٢٦م)، ثم على بن مجثل (١٢٤٢- ١٢٤٩هـ/ ١٨٢٦ - ١٨٣٣م)، وقد بلغ الأمر بالأخير، أن مد يده إلى (صبيا) واستولى عليها -وكانت تابعة لحكم الشريف على بن حيدر، حاكم المخلاف السليمانى- فاستنجد هذا بالعثمانيين فى الحجاز(٣)، فأرسلوا إليه قوة عثمانية، ساعدته فى طرد العسيريين من صبيا وإعادتها لحكمه، ولكن أمير عسير لم يتوقف عند هذا الحد، بل نجده يقود قوات جديدة ويحاصر بها أبى عريش -مركز إمارة المخلاف السليمانى- مستعيناً فى ذلك بالقوات العثمانية المتمردة على ولاية الحجاز بقيادة (تركجه بلمز)، الذى وصل إلى عسير فاراً بهم من هناك(٤)، حيث تعاهدا على التعاون فى حصار أبى عريش وفتح

(١) Playfar, R.L.: A history of Arabia Felix, or; Yemen from the commencement of the christian era to the present, (Bombay: 1859), p. 143.

(٢) الوشلى الحسينى: مصدر سبق ذكره (مخطوط)، ص١٧١.

(٣) وثائق عثمانية: من محمد على باشا والى مصر إلى أحمد باشا محافظ مكة، فى ٢٢ شعبان ١٢٤٢هـ (أبريل ١٨٢٦م).
نقلا عن: عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن: من وثائق شبه الجزيرة العربية فى عصر محمد على (١٢٣٤- ١٢٥٦هـ/ ١٨١٩- ١٨٤٠م) (الدوحة/ قطر: دار المتنبى للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، المجلد الأول، ص٢٧٩.

(٤) فى الفترة من (١٢٤٠-١٢٤٩هـ/ ١٨٢٤-١٨٣٣م) قامت فرقة من الجنود العثمانية فى الحجاز بثورة على الوالى خورشيد بك، وكان يقودهم الضابط محمد أغا المعروف بتركجه بيلمز، وكانوا يطالبون الوالى برواتبهم المتأخرة، ولما لم يستجب لهم قبضوا عليه، وعينوا مكانه قائد الثورة بيلمز، ولما علم محمد على بذلك حاول أن -

المناطق التهامية بما فيها الحديده ومخا وزبيد(١).

وبذلك استطاع الأمير العسيرى أن يحاصر أبى عريش حصاراً شديداً وفرض على الشريف على بن حيدر أن يعقد معه صلحاً يتنازل فيه عن صبيا سنة (١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م)(٢) ثم واصلت القوات العسيرية والمتحالفة مع القوات العثمانية المتمردة سيرها نحو مخا ومنها كتب بيلمز إلى سلطان لحج وعدن يطالبه بتسليم عدن فوافق السلطان على ذلك ظاهرياً ولكنه كان ينوى الخديعة والغدر، فلما جاءت قوات تركجه بيلمز لاستلام المدينة هاجمته القوات اللحجيه ليلا وقتلت من قواته سبعة وعشرين رجلا، وعاد الباقون إلى مخا(٣).

وهنا وصلت القوات العثمانية التى أرسلها محمد على باشا بقيادة أحمد يكن باشا لتعقب المتمردين على ولاية الحجاز فلما سمع أمير عسير -على بن مجثل- بوصول هذه القوات، تخلى عن تركجه بيلمز وانضم إليها، وفرضت القوتان -العسيرية والعثمانية- حصاراً شديداً على مخا من ناحيتين، فكانت القوات العثمانية من البحر، والعسيرية من البر، وتمكنتا أخيراً من فتح المدينة والاستيلاء عليها، ولكن بيلمز تمكن من الهرب مع بعض قواته قبل أن يقبض عليه ويقال أن هذا الثائر العثمانى ومن نجا معه رحلوا إلى الهند على إحدى السفن البريطانية(٤) ولما عادت القوات العثمانية سلمت مخا للقوات العسيرية.

وفى عام (١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م) توفى أمير عسير على بن مجثل، فتولى بعده عايض بن مرعي (١٢٤٩- ١٢٧٣هـ/ ١٨٣٣- ١٨٥٦م)، فانتفض أمير

- يطلبهم إلى مصر بالطرق السلمية ولكنهم رفضوا فأرسل إليهم قوة كبيرة يقودها أحمد يكن باشا، ولما وصلت إلى جدة انسحب الثوار وقائدهم إلى القنفذه وهناك اتصل بهم أمير عسير وتحالف معهم لكى يساعدوه فى حرب العثمانيين فى تهامة عسير وتهامة اليمن.

أنظر: عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن: مرجع سبق ذكره، ص ص٤٥٦- ٤٦١.

(١) النعمى: مرجع سبق ذكره، ص١٨١.

(٢) العقيلى: المخلاف السليمانى، جـ١، ص٥٠٧.

(٣) العبدلى، أحمد فضل: هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن (ط٢، بيروت: دار العودة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص١٤٢.
Playfair: op. cit., p. 143.

(٤) طه جاد: سياسة بريطانيا فى جنوب اليمن (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٦٩- ١٩٧٠م)، ص٦٠. العبدلى: مرجع سبق ذكره، ص١٤٢.

المخلاف السليمانى -الشريف على بن حيدر- واستعاد صبيا، فغاظ ذلك الأمير العسيرى، فتقدم بقواته نحو صبيا لاستعادتها، ولكن الشريف على بن حيدر، استنجد بالعثمانيين فى الحجاز، فأرسلوا له قوة يقودها محمد أمين، فاضطر أمير عسير أن يتراجع عن هدفه، فى حين واصلت القوة العثمانية سيرها نحو مخا، حيث استولت على المدينة وطردت القوات العسيرية(١).

وفى هذه الفترة كان محمد على باشا يفكر فى تكوين امبراطورية فى البلاد العربية، وكانت الحاميات العثمانية موزعة فى القنفذه والحديده فأرسل قوات جديدة بقيادة إبراهيم يكن باشا، الذى عينه فى رتبة (سر عسكر اليمن)، وتوجه نحو تهامة عسير والمخلاف السليمانى وتهامة اليمن، وقد واجه من الصعوبات والمشاق، ما جعله يتقهقر بقواته إلى الحجاز بعض الوقت، إلا أنه عاد من جديد، فاحتلت قواته معظم الثغور العسيرية واليمنية حتى وصل إلى الحديده، واتخذها مركزاً لإدارته وأصبح والياً عليها من قبل محمد على باشا، حتى عام (١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م)(٢)، حيث تسلم الأوامر الصادرة من محمد على باشا بإخلاء المنطقة، وتسليمها للشريف حسين بن على بن حيدر -الذى تولى إمارة المخلاف السليمانى بعد وفاة والده فى سنة (١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م)-(٣)، وذلك فى أعقاب مؤتمر لندن، الذى قرر خروج محمد على باشا من بلاد الشام والجزيرة العربية.

المرحلة الثالثة (١٢٥٦ - ١٢٦٦هـ / ١٨٤٠ - ١٨٤٩م) :

وتبدأ هذه المرحلة باستلام الشريف حسين بن على بن حيدر حكم المخلاف السليمانى، حيث جاءه التأييد والموافقة من الباب العالى بشرط أن تكون الخطبة للسلطان العثمانى، كما منح لقب حاكم اليمن حسين باشا، وذلك فى سنة (١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م)(٤)، ومن هنا أخذ الشريف حسين ينظم شئون الإمارة ويعد القوة لتثبيت مركزه ثم تقدم إلى مخا واستولى عليها وتحرك منها إلى زبيد وحيس وضمهما إلى حكمه واتصلت بذلك

(١) العقيلى: المخلاف السليمانى، جـ١، ص٥٠٩.
(٢) أباظة، فاروق عثمان: الحكم العثمانى فى اليمن، ص٢٦.
(٣) العقيلى: المخلاف السليمانى، جـ١، ص٥٠٩. حراز، السيد رجب: سبق ذكره، ص٧٢.
(٤) Bury, G. Wyman: Arabia in Felix or the Turks in Yemen, (London: Macmillan and Co. Limited, 1951), p. 14.

حدود منطقته بحدود اليمن التى كانت تعيش أسوأ أيامها بسبب الخلافات والمنازعات على الإمامه ، فانتهز هذه الفرصة واستجاب لدعوة الإمام محمد بن يحيى إبن المنصور الذى استنجد به ضد خصمه الإمام على بن المهدى ، فأمده بالمساعدات اللازمة حتى تمكن الإمام إبن المنصور من القضاء على منافسه ودخل صنعاء معلناً نفسه إماماً يحمل لقب المتوكل (١) .

ورغم هذه المساعدة التى قدمها أمير المخلاف السليمانى ، إلا أن الإمام المتوكل تنكر لها وعزم على محاربة الشريف حسين بن على بن حيدر ، ليسترد منه المناطق اليمنية التى سبق أن استولى عليها . وفى سنة (١٢٦٤هـ / ١٨٤٧م) استطاع الإمام المتوكل أن يستعيدها ويأسر الشريف حسين بن على بن حيدر ويودعه السجن ، ولكنه لم يدم طويلاً ، إذ سرعان ما خرج واستعاد زبيد ومخا من يد الإمام المتوكل مرة أخرى (٢) .

وفى تلك الفترة التى أسر فيها أمير المخلاف السليمانى ، حاول أمير سراة عسيرعايض ابن مرعى أن يستولى على المخلاف السليمانى ، فلما وصلت جيوشه إلى (مِسلِّيَه)(٣) ، بلغه الخبر بفك أسر أمير المخلاف السليمانى فتراجع إلى بلاده . ولكن الشريف حسين بن على بن حيدر أحس بموقفه الصعب بين إمامة اليمن من الجنوب وامارة عسير السراه فى الشمال ، فقرر أن يستنجد بالدولة العثمانية ويسلمها المنطقة التى يحكمها . فأصدرت الحكومة العثمانية أوامرها بتشكيل قوة كبيرة يكون هدفها المخلاف السليمانى .

وفى سنة (١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م) وصلت القوات العثمانية بقيادة توفيق باشا ـ إلى الحديده ، وهناك قابلهم الشريف حسين بن على بن حيدر وتنازل لهم عن المنطقة التى يحكمها فكوفئ على خدماته وقرروا له راتباً شهرياً ، وخيروه فى الاقامة فأختار مكة المكرمة (٤) ، وبذلك يعود المخلاف السليمانى تحت الحكم المباشر للعثمانيين الذين اتخذوا مدينة الحديدة مركزاً لتجمعهم ـ كما مر بنا ـ .

---

(١) الواسعى اليمانى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٣٤ ـ ٢٣٧ .

(٢) العقيلى : المخلاف السليمانى ، جـ ١ ، ص ص ٥١٨ ـ ٥٢١ .

(٣) مِسلِّيَه : قرية فى المخلاف السليمانى ، تقع على وادى بيش ، انظر العقيلى : المعجم الجغرافى ـ مقاطعة جازان ـ ، ص ٣٨٨ .

(٤) العقيلى : المخلاف السليمانى ، جـ ١ ، ص ٥٢١ .

المرحلة الرابعة (١٢٦٦ ـ ١٢٨٨هـ / ١٨٤٩ ـ ١٨٧١م) :-

وفى هذه المرحلة لم يكن للحكومة العثمانية أى وجود حقيقى فى المخلاف السليمانى ـ بالرغم من سلطتهم المباشرة عليه ـ لأنهم أهملوه وانشغلوا عنه بالتفكير فى اليمن وكيف الوصول إليه من جديد . وبذلك أصبح المخلاف السليمانى عرضة للفوضى والفتن والاضطراب ، فقد نشب الخلاف بين أشراف المنطقة من أجل السلطة فيه ، فتحارب الشريف الحسن بن حسين بن على بن حيدر وابن عمه الشريف الحسين بن محمد ، وتمكن الأخير من قتل الأول واستأثر بحكم المنطقة ، ولكن بعض الأهالى لم يرق لهم حكم الشريف الحسين بن محمد ، فاتجهوا إلى أمير عسير ـ وكان حينذاك الأمير محمد بن عايض (١٢٧٣ ـ ١٢٨٩هـ/ ١٨٥٦ ـ ١٨٧٢م) ـ وطلبوا منه القضاء على الشريف الحسين بن محمد والاستيلاء على المنطقة . فقاد حملة عسيرية استولى بها على العاصمة أبي عريش سنة (١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م) ، ولما سع العثمانيون فى الحديده بذلك جردوا حملة قوية طردت أمير عسير من عاصمة المخلاف السليمانى ، وعينت الشريف محمد بن حسين بن على بن حيدر أميراً على المخلاف برتبة قائمقام ، ولكن الأمور لم تستتب له لأن الدولة العثمانية منصرفة عن ادارته ، والقبائل تحارب بعضها بعضاً ، والفتن تزداد اشتعالاً (١) .

ولما تردت الأحوال فى المخلاف السليمانى ، اتصل بعض الأعيان بالأمير العسيرى ـ محمد بن عايض ـ مرة أخرى ـ يدعونه للتدخل وانقاذ بلادهم مماهى فيه من فوضى واضطرابات " وازالة مافيها من المنكرات " (٢) . فوجدت هذه الدعوة من نفسه موقعاً ، ولاسيما وقد شعر بشئ من القوة ، فقاد جيوشه نحو المخلاف واستولى على عاصمته أبي عريش ، ثم اتجه نحو اليمن ولما وصل إلى الحديده ـ مركز العثمانيين ـ فرض عليها الحصار وحاول فتحها لكنه فشل فارتد إلى عاصمته فى سراة عسير (٣) .

---

(١) العقيلى : المخلاف السليمانى ، جـ ١ ، ص ص ٥٢٣ ـ ٥٢٥ .

(٢) النعمى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ .

(٣) Crnwallis, Kinahan : Asir Before World War I, (New York - U.S.A. Cambridge, England: Olernder Falcon, 1975), P 26.

المرحلة الخامسة والأخيرة (١٢٨٨ ـ ١٣٣٧هـ / ١٨٧١ ـ ١٩١٨م) :-

ولما أدركت الحكومة العثمانية خطورة العسيريين وأميرهم محمد بن عايض قررت أن تبعث إليهم قوة توقفهم عند حدهم وتقضى على بوادر ثورتهم ، فأرسلت من الحجاز قوة كبيرة فى سنة (١٢٨٨هـ / ١٨٧١م) يقودها كل من أحمد مختار باشا ، ومحمد رديف باشا ، ثم توجهت الحملة إلى عسير ، ولما وصلت القنفذه واستولت عليها أرسل قائدا الحملة ، انذراً إلى أمير عسير يدعوانه فيه إلى السمع والطاعة ، واعلان تبعيته للدولة العثمانية (١) ، ولكن الأمير العسيرى رفض الاستجابة ، وقرر المقاومة .

بدأ الهجوم العثماني من القنفذة ، فاحتلوا فى طريقهم (حَلِيْ بن يعقوب) ثم (مَحَايِلْ) ثم الحَقِيرْ) ثم (السُّقَا) وكان أمير عسير ينسحب بجيوشه من موقع إلى موقع ، حتى تحصن أخيراً فى مدينة (رَيْدَه) ـ " وكان قد حصَّنها بوسائل الدفاع " ـ (٢) ولكن القوات العثمانية حاصرته فيها حتى اضطر إلى الاستسلام ، بشرط أن تضمن له الحكومة العثمانية حياته وأهله وأمواله ، وقد توسط شريف مكه فى ذلك ـ لدى الدولة العثمانية ـ فوافقت وارسلت بذلك فرماناً إلى أمير عسير (٣) .

وما أن سلم الأمير محمد بن عايض نفسه ، وأمر قواته بالتسليم ، حتى دخلت القوات العثمانية واستولت على القصور والقلاع ، وعلى أملاك بن عايض وخزائنه ، ثم أمر القائد العثمانى محمد رديف باشا باعدامه ، متناسياً كل الوعود العثمانية ، والفرمان السلطانى ـ وتم ذلك فى (١٠ محرم ١٢٨٩هـ / ٢٠ مارس ١٨٧٢م) ، وبذلك اصبحت سراة عسير وتهامتها تحت الحكم العثمانى وضمتها إلى منطقة المخلاف السليمانى لتصبح منطقة واحدة ، وجعلوها متصرفيه تتبع ولاية اليمن (٤) .

وقد نظمت هذه المتصرفيه تحت اشراف الوالى محمد رديف باشا ، بحيث قسمها إلى ستة أقضية أو مراكز ، على النحو التالى :

(١) النعمى : مرجع سبق ذكره ، ص ٢١٠ ؛ أباظه : الحكم العثمانى فى اليمن ، ص ٧٨ .

(٢) مسفر ، عبد الله بن على : مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٢٠ ـ ١٢٢ .

(٣) العرشي ، حسن أحمد : بلوغ المرام فى شرح مسك الختام (مصر : مطبعة البرتيرى ، ١٩٣٩م) ، ص ١٠٦ .

(٤) الحصرى : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤١ .

١ ـ نواحى القنفذه ومركزها القنفذه .

٢ ـ محايل وبارق وقنا ومركزها محايل .

٣ ـ قبائل رجال ألمع ومركزها الشعبين .

٤ ـ قبائل رجال الحجر ومركزها النماص .

٥ ـ قبائل غامد وزهران ومركزها رغدان .

٦ ـ جازان وصبيا وابي عريش ومركزها صبيا (١) .

وأختار المتصرف مدينة (أبها) مركزاً للمتصرفيه ، (والسقَّا ورِيْدَه) قاعدتين عسكريتين ، (والقنفذه) مرفأ للمتصرفيه (والشُّقَيْق) نقطة اتصال بالسواحل اليمنية والحاميات العثمانية (٢) . وبدأ المتصرفون العثمانيون يتتابعون على متصرفية عسير ، بدأ بقائدى الحملة ـ محمد رديف باشا ، واحمد مختار باشا ، حيث تولى الأول لمدة تسعة أشهر فقط ، ثم أعقبه الثانى حتى عام (١٢٩١هـ / ١٨٧٤م) ، وانتهاء بمحيى الدين باشا الذى تولاها خلال الفترة من عام (١٣٣٢ ـ ١٣٣٧هـ / ١٩١٤ ـ ١٩١٨م) (٣) .

وهكذا كان الوجود العثمانى فى عسير والمخلاف السليمانى ، بين مد وجزر ، يقوى تارة ، ويضعف أخرى ، على أن السمة البارزة فيه : أنه لم يحاول اخضاع المنطقة خضوعاً كاملاً ، بل لم يتمكن من ذلك ، لأن الأمراء المحليين ، كانوا دائمى الثورة ، فلم يستكينوا أو يخضعوا ، إلا فى فترات قليلة ، وكان خضوعهم ، خضوع المضطر المجبر ، وما أن تواتيهم الفرصة حتى يستثمروها فيتخلصوا من الحكم العثمانى ، كما حدث ابان أزمة تركجه بيلمز .

كما أننا نلاحظ سمة أخرى للوجود العثمانى فى عسير والمخلاف السليمانى ، وهى : محاولة العثمانيين الابقاء على الأمراء المحليين كحكام للمنطقة نيابة عنهم ، مثلما حدث مع الشريف على بن حيدر وابنه الشريف حسين مع الحيلولة دون انضمام

---

(١) مسفر ، عبد الله بن على : مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٢ .

(٢) النعمى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢١٦ ـ ٢١٧ .

(٣) العقيلى : المخلاف السليمانى ، جـ ١ ، ص ص ٥٦٣ ـ ٥٦٦ .

المنطقتين ـ عسير والمخلاف السليمانى ـ فى حكومة واحدة . بل اخذت تبذر الخلافات بينهما ، وتناصر احداهما على الأخرى ـ ولاسيما المخلاف السليمانى ، وهذا ـ فى نظرنا ـ سياسة عثمانية يقصد بها اضعاف الأمراء المحليين ، وتشتيت قواهم ، وزرع المشاكل بينهم فَيُشْغَلُون بها عنهم ، ويتفرغون هم للسواحل استعداداً وتخطيطاً للوصول إلى مناطق اليمن الداخلية .

وعلى أية حال . فقد استمرت منطقة عسير والمخلاف السليمانى ـ بعد توحيدها فى متصرفيه ـ تحت الادارة العثمانية حتى عام (١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م) ، عندما ظهر فى تهامة عسير والمخلاف السليمانى السيد محمد بن على الادريسي ليؤسس حكومة الأدارسة ، التى ستتحمل عبء الكفاح ضد الوجود العثمانى فى هذه المنطقة حتى يخرج منها فى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة (١٣٣٧هـ / ١٩١٨م) .

* * *

ثانياً : الأدارسة فى تهامة عسير والمخلاف السليمانى

١ ـ أصل الأدارسة ونسبهم :

يرجع نسب الأسرة الادريسية ـ التى اتخذت من تهامة عسير مقراً ومقاماً ـ إلى أدارسة المغرب ، الذين تنسبهم بعض المخطوطات والكتب اليمنية إلى الإمام إدريس بن عبد الله المخلص أو (المحض) (١) .

وإذا تتبعنا أصول هذه الأسرة ـ عبر كتب التاريخ الإسلامى ـ وجدناها ترجع إلى الخليفة الرابع ـ على بن أبى طالب رضى الله عنه ـ الذى قُتِلَ إبنه الحسين رضى الله عنه فى كربلاء ، فظهر حزب علوى يدعو للانتصار لهذا الشهيد ، وأخذ الخلافة من الأمويين ثم العباسيين .

وفى عصر الخلافة العباسية ، قامت ثورة علوية بقيادة الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم اجمعين ، سنة (١٦٩هـ / ٧٨٥م) ، ولكن العباسيين قضوا عليها فى موقعة (فخ) ـ قرب مكة المكرمة ـ وقتلوا زعيمها وأخذوا يتعقبون الناجين منهاوكان ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، قد فر إلى مصر ، ومنها توجه إلى المغرب الأقصى سنة (١٧٢هـ/ ٧٨٨م) ، وفى (أوليلى) ـ أحدى مدن المغرب ـ بايعته قبائل أوربه ، وزناته ، ولواته ، وزواغه ... وغيرها من قبائل البربر ، مكوناً بذلك امارة ادريسية .

ولما علم الخليفة العباسى ـ هارون الرشيد ـ (١٧٠ ـ ١٩٣هـ / ٧٨٦ ـ ٨٠٨ م) ـ بخطورة الامارة الادريسيه الناشئة على خلافته قرر أن يتخلص من زعيمها ، فأرسل إليه من يدس السم فى طعامه فمات ، وذلك فى سنة (١٧٧هـ / ٧٩٣م) ، وقد خلف إدريس هذا ، ابناً حمل نفس الإسم ، ولما بلغ الحادية عشرة من عمره ، بويع له بالامارة

---

(١) الضمدى ، أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز (ت / ١٢٣٢ هـ) : الذهب المسبوك فى ذكر من ظهر فى المخلاف السليمانى من الملوك (مخطوط) ، صنعاء : الجامع الكبير ، المكتبة الغربيه ، رقم ١٦٣ تاريخ) ص ٢٢٢ ؛

الجرافى عبد الله عبد الكريم : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٥ .

فى جامع (أوليلى) ، سنة (١٨٦هـ / ٨٠٢م) ، وتتابع الأمراء الأدارسة بعده حتى سنة (٣٧٥هـ / ٩٨٥م) ، حيث انتهت امارتهم [١] ، وفى سنة (٤٠٧هـ / ١٠١٦م) ظهر فرع جديد من الأدارسة ، وهو فرع (بنو حمود) الذين أسسوا لهم دولة فى الأندلس ، واستمرت حتى عام (٤٤١هـ / ١٠٥٧م) [٢] ، وبعد هذه الدولة ، تنقطع أخبار الأسرة الأدريسية ، حتى تظهر من جديد فى تهامة عسير حيث وصل كبير هذه الأسرة وجدها السيد أحمد بن إدريس .

ومن هذا تستنتج أن أصول الأدارسة ـ الذين كونوا حكومتهم فى تهامة عسير والمخلاف السليمانى ـ يرجعون بنسبهم إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه .

٢ ـ السيد أحمد بن إدريس وانتقاله إلى صبيا :

ولد السيد أحمد بن إدريس فى مدينة (فاس) ، أحدى مدن المغرب ، سنة (١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م) ، ونشأ فيها نشأة دينية اسلامية ، تلقى خلالها علوم الدين على يد مشايخ عصره ، ومنهم عبد الوهاب التازى [٣] ، وقد برع فى حفظ كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، حتى قيل : " انه قصر فكره نحو ثلاثين سنة على استخراج معانى القرآن الكريم ، ومال إلى الاشتغال بعلم الحديث حتى صار من حفاظه ... " [٤] .

وفى عام (١٢١٤هـ / ١٧٩٩م) ـ رحل السيد أحمد بن إدريس من بلاده ـ عن طريق البحر ـ إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ، وأقام فيها مدة من الزمن يعلم الناس ، ويناظر العلماء ، حتى تعرف هناك على شخصية علمية من اليمن ، يدعى

---

(١) العربى ، إسماعيل : دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة (بيروت : دار الغرب الإسلامى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، ص ص ٥١ ـ ٧٤ .

(٢) حسن ، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى (ط ٧ ؛ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤م) جـ ٣ ، ص ص ١٦٢ ـ ١٩٠ .

(٣) عاكش ، حسن بن أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز (ت : ١٢٨٩هـ) : عقود الدرر بتراجم علماء القرن الثالث عشر (مخطوط ، صنعاء : الجامع الكبير ، المكتبة الغربية ، رقم ١٢٧ تاريخ) ، ص ١٠ .

(٤) الضمدى ، أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز : مصدر سبق ذكره ، (مخطوط) ، ص ٢٢٢ .

السيد عبد الرحمن الأهدل ـ من رجال العلم فى زبيد ـ فدعاه إليها ، وكانت آنذاك موطن العلم ومقر العلماء ، فلبى الدعوة فى عام (١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م) ، واتجه من مكة إلى الليث ، ثم إلى جازان فالحديده ، وحط رحاله ـ أخيراً ـ فى زبيد ، حيث نزل ضيفاً على السيد عبد الرحمن الأهدل وهناك أخذ يعلم الناس ، ويلقى فيهم دروسه ومواعظه ، ويتجول فى أنحاء المنطقة ، فزار مخا ، وموزع ـ زيارة علم وتدريس وتعرف ـ ثم عاد إلى زبيد (١) واستقر فيها حتى عام (١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م) حيث رحل عنها إلى صبيا ـ فى تهامة عسير ـ وكانت أنذاك ـ تحت حكم الأمير العسيرى على بن مجثل ، الذى رحب به وقرر له راتباً شهرياً من واردات جازان (٢) .

وفى صبيا بقى السيد أحمد بن إدريس حوالى ثمانى سنوات يلقى علوم الدين على طلاب العلم ، ويعقد المناظرات مع العلماء (٣) ، حتى اختاره الله سنة (١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م) بعد أن ترك ذكراً طيباً من زهده وورعه وتقواه ، مما جعل أكثر مؤرخى اليمن وعسير والمخلاف السليمانى ، يفردون له الصفحات ترجمة لحياته وأشادة بمناقبه (٤) .

وقد خلَّف السيد أحمد بن إدريس من الأبناء محمد ، وعبد المتعال . فأما الأخير ، فقد خرج من صبيا إلى المغرب ثم إلى صعيد مصر ، ثم إلى دنقله بالسودان ، حيث توفى هناك ، وله من الأبناء ثمانية ، منهم : المأمون ، ومصطفى ، ومحمد السنوسى .

وأما محمد ـ الذى عرف فيما بعد بالأول ـ فقد خَلَّفَ أباه السيد أحمد فى مركزه الروحى ، ولكنه رحل إلى الحديده . ولم يعد إلى صبيا إلا قبل وفاته بثمانية أيام حيث

---

(١) الأهدل ، عبد الرحمن بن سليمان : النفس اليمانى (صنعاء : مركز الدراسات اليمنية ، ١٩٧٩م) ص ص ١٦١ ـ ١٦٢ .

(٢) النعمى : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٨٢ .

(٣) الوشلى الحسينى : (مخطوط) ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨٢ .

(٤) عدا ما ذكر من المخطوطات والكتب السابقة ـ أنظر :

زباره ، محمد بن محمد بن يحيى : نيل الوطر من تراجم رجال اليمن فى القرن الثالث عشر (القاهرة : المطبعة السلفيه ومكتبتها ، ١٣٤٨هـ) ، جـ ١ ، ص ص ٢٢٣ ـ ٢٢٧ .

الحبشى ، عبد الله محمد : مصادر الفكر الإسلامى فى اليمن (صنعاء : مركز الدراسات اليمنية ، د . ت .) ص ٣٠٢ .

أدركته المنية عام (١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م) ودفن مع أبيه فى صبيا . وقد خلّف ابناً أسماه (على) وكان قليل الاختلاط محباً للعزله ، حتى مات سنة (١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م) ، ودفن مع أبائه وأجداده فى صبيا ، بعد أن خلّف من الولد ثلاثة وهم : أحمد ، الحسن ، محمد [١] الذى عرف فيما بعد بالثانى ـ وهو مؤسس الحكومة الادريسيه ـ التى نحن بصدد الحديث عنها .

ولقد ورث السيد محمد بن على الادريسى ، ماخلفه أباؤه وأجداده من مكانة روحية ودينية فى وقت كانت فيه منطقة عسير والمخلاف السليمانى تحت الحكم العثماني ، الذى لم يعط للمنطقة ما ترجوه من أمن واستقرار وتقدم ، فانتهز هذه الفرصة ليشيد ملكاً ، ويؤسس دولة .

* * *

---

(١) الوشلى الحسينى ، (مخطوط) ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٨٣ ـ ٢٩٩ .

ثالثاً : السيد محمد على الادريسي وتأسيس الحكومة

١ ـ ولادته ونشأته وتعلمه :

ولد السيد محمد بن على الادريسي ، فى مدينة (صبيا) (١) فى شهر ذى القعدة سنة (١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م) ، وقد تربى فى ظل والده السيد على ، حيث نشأ نشأة دينية اسلامية ، تلقى خلالها أصول التعليم من قراءة وكتابة وحفظ للقرآن الكريم ودراسة للحديث الشريف ، والنحو والفرائض على يد الشيخ سالم بن عبد الرحمن باصَهِيْ الحضرمى ، ثم انتقل إلى مدينة (أبى عريش) (٢) وتعلم فيها على يد القاضى اسماعيل ابن حسن عاكش (٣) ، ولما أدرك مشائخه نباهته وحسن تعلمه ، أشاروا على والده بالسماح له بالهجرة إلى مصر ليواصل فيها تعلمه ، وتزداد ثقافته .

ولما بلغ العشرين من عمره ـ أى فى عام (١٣١٣هـ / ١٨٩٥م) ـ هاجر من صبيا إلى مكة المكرمة وأقام فيها فترة من الزمن ، ثم واصل هجرته إلى القاهرة . وفيهاالتحق بالجامع الأزهر ، وتلقى العلوم على يد الشيخ أحمد الأسيوطى ، والشيخ سالم الشربينى الشافعى ، والشيخ خلف الحسينى (٤) ، ولما أتم تعليمه فيها رحل إلى موطن أجداده ـ المغرب ـ ليستفيد هناك من علمائها ، فنزل فى (كفره) ، وقرأ على يد السيد السنوسى ، والشيخ أحمد المغربى (٥) ، وقد كان السيد محمد الادريسي ـ فى كل مراحل تعليمه ـ

---

(١) صبيا : احدى مدن المخلاف السليمانى .

(٢) أبى عريش : احدى مدن المخلاف السليمانى .

(٣) الوشلى الحسينى : نشر الثناء الحسن ... (مخطوط) . مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥٨

زباره ، محمد بن محمد بن يحيى : نزهة النظر فى رجال القرن الرابع عشر ـ تحقيق مركز الدراسات اليمنية ، (ط ١ ، صنعاء : مركز الدراسات اليمنية ، ١٩٧٩م) . جـ ١ ، ص ٥٦٥

(٤) البركاتى ، شرف عبد المحسن : الرحلة اليمانية (مصر : مطبعة السعادة ، ١٣٣٠هـ / ١٩١٢) ، ص ٤ .

Bury, op. Cit. P. 22.

(٥) الريحانى ، أمين : ملوك العرب (ط ٥ ؛ بيروت : دار الريحانى للطباعة والنشر . ١٩٧٦م) ، جـ ١ ، ص ٣١٥ .

زباره : مرجع سبق ذكره ، ص ٥٦٦ .

ذكياً ونبيهاً ، جامعاً لكل ما تعلم ، مما حدا بشيوخه ومعلميه فى كل من القاهرة والمغرب واليمن ، أن يمنحوه اجازات عامة فى كل ما أخذ وتعلم (١) .

ولما أكمل تعليمه قررالعودة إلى بلاده ، فمر بالسودان - حيث يقيم بعض ابناء عمومته - لزيارتهم والتعرف عليهم ، ثم وصل إلى منطقته ومسقط رأسه - صبيا - بعد رحلة طويله استفاد فيها علماً ودراية وخبرة بشئون العالم ومجريات السياسة الدولية ، لأن وجوده فى مصر ، يعنى قربه من مسارح الأحداث السياسية والثورات الداخلية ، ومحاولات الاستقلال ، الأمر الذى أثر فى نفسه ، وجعله يتطلع إلى عمل ثورى يصنعه هو ويشيده ولم تكن هناك منطقة أصلح من منطقة عسيروالمخلاف السليمانى يمكن أن تكون مسرحاً لذلك البناء ، وطريقاً لتحقيق ذلك التطلع ، فلقد كانت - هذه المنطقة - ولاسيما المخلاف السليمانى - تعيش أسوأ الظروف لانصراف الحكم العثمانى عنها بحيث لم يتجاوز مركز المتصرفيه وبعض الثغور - فانتشر الفساد على اختلاف انواعه « من قتل ونهب وسرقة وزنا ، وحكم بالطاغوت ، وذهاب الشريعة المطهرة ، وترك الصلاة والصيام والزكاة والحدود .... وعاد الزمن لشبه زمن الجاهلية » (٢) .

وقد أعترف بذلك ، المتصرف العثمانى فى عسير عندما يقول : ان الدولة العثمانية " لم تصنع فى بلاد عسير شيئاً غير تحصيل الزكاة من الأهالى بين حين وأخر ، ولم تفكر - قط - فى ايجاد أسباب العمران لاحياء هذه الجهات ، ولم تتذرع بشئ من ورائه نفع للأهالى " إلى أن يقول : إن الشعب فى عسير والمخلاف السليمانى " كان بلا حكومة ولا صاحب فانسلبت ثقة القبائل بعضها من بعض وأهريقت الدماء فيما بينهم " (٣) .

---

(١) الوشلى الحسينى ، (مخطوط) ، المصدر نفسه ، ص ٢٨٩ .

(٢) الوشلى الحسينى : (مخطوط) ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٩٠ .

(٣) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » ، مجلة العرب (الرياض : م ٢ . جـ ١١ ، السنة ٦ ، ١٣٩٢هـ) . ص ٨٥٠ ؛ جـ ١٢ ، ص ٩٥٢ .

كما أشار الادريسي ـ نفسه ـ إلى هذه الحالة السيئة التى كانت عليها منطقة عسير والمخلاف السليمانى ، فى منشور له ـ بعد أن قام بثوته ضد العثمانين ـ فيقول : " ولما عدنا من الديار المصرية ، وغيرها ... وجدناالناس على أسوأ مما تركناهم عليه من شدة النفرة بينهم وبين رجال الحكومة .. وجدناهم ـ كذلك ـ على ما هم عليه فى الامتناع عن دفع العشور ، والمحاكمة إلى الطواغيت ، واختلال الأمن فى جميع الأنحاء ، بسبب المطالبات بالثأر وترك الحكومة حبل الناس على غاربهم ، ذلك الأمر الذي أوقف جميع الأعمال ، سواءاً التجارية أو الزراعية وغيرها " إلى أن يقول : " ولو رأيت ـ إذ ذاك ـ لرأيت المساجد معطلة ، والأرض قاحلـة ، والمصائب متواصـلة ، بل لو رأيت لـرأيت من السلب والنهب وقتل الأرواح البريئة ما تنزعج منه النفوس الثابتـة ، وتلين له القلوب القاسية ... " (١) .

من كل ما سبق ، نستنتج أنَّ منطقة عسير والمخلاف السليمانى ، وما تعيشه من ظروف وأحوال سيئة فى ظل الحكم العثمانى ، كانت عاملاً رئيسياً فى أن يقوم السيد محمد الادريسي لتكوين حكومته ، فالعثمانيون فيها لم يكونوا على قدر من القوة والكفاءة بحيث يفرضون سيطرتهم فى المنطقة ، ويعيدون الأمن إلى نصابه ، ويحيون ما اندرس من الدين ، ويقضون على ما ظهر من فتن وحروب بين قبائل المنطقة ، بل لم يقوموا بأى عمل فيه نفـع وفائـدة للبلاد والعباد ، ولذلك جاء السيد محمد بن على الادريسي ليؤسس فى تهامة عسير والمخلاف السليمانى حكماً دينياً ودنيوياً يحل محل الحكم العثمانى المتداعى .

٢ ـ التمهيدلتأسيس الحكومة

قبل أن يصل السيد محمد الادريسي إلى صبيا عائداً من جولاته ورحلاته فى مصر والمغرب والسودان . كانت أخباره وقصائده التى يرسلها إلى والده فى صبيا قد عرفت الناس به . فقد كانت هذه الرسائل والقصائد تقرأ فى حلقات الزائرين عند أبيه ، وكانت أخباره تروى بما بلغه من العلم والصلاح تمهيداً لاستقباله والترحيب به عند عودته .

(١) وثائق محلية (ادريسية) :

منشور ادريسي ، بدون تاريخ ـ ويعتقد انه بعد القيام بثورته ـ حوالى عام ١٣٢٩هـ / ١٩١١م .

نقلاً عن : العقيلى : المخلاف السليمانى ، جـ ٢ ، ص ص ٧٧١ ـ ٧٧٩ .

ولذلك فانه ما إن وصل إلى صبيا حتى وفد عليه الناس ، ففتح لهم أبواب داره واستقبلهم بكل حفاوة وكرم وخلق جميل (١) ، فكانت هذه الخطوة من جانبه خطوة تمهيدية لعلها تساعده عندما يبدأ فى تأسيس حكومته ، حيث يكون قد جمع الناس من حوله وضمن ولاء الجانب الأكبر منهم فى مواجهة ما يتوقعه من معارضة داخلية أو خارجية من جانب العثمانيين .

ولما رأى الادريسي انصراف الناس فى منطقته عن الدين الحنيف ، وبعدهم عن تعاليمه ، والأوضاع التى كانت عليها المنطقة من حكم بالطاغوت وسرقة وزنا ، وغير ذلك مما يتنافى مع التوحيد والمبادئ الإسلامية . قرر أن يقوم بالخطوة الثانية وهى الدعوة الدينية فى مجتمع انحرف أصحابه عن الدين ، ـ والادريسي ـ كما مر بنا ـ قد نال من التعليم الدينى حظاً وافراً ـ فقام بالوعظ والارشاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فتأثر الناس به واستجابوا لدعوته ، وبدأت تعاليمه تجد القلوب الراضية والنفوس المطمئنة ، فأقيمت الصلوات وأبطل الطاغوت والمنكر ، وعاد الناس إلى تعاليم القرآن والسنة(٢) .

وهكذا نجح الادريسي ، واستجاب الناس فى منطقته لدعوته الدينية ، فكان ذلك دليلاً قوياً على مدى تأثيره وتغلغله فى نفوس الشعب ، الأمر الذى دفعه للقيام بخطوة ثالثة ـ كان لها الدور الكبير فى تأسيس الحكومة ـ ألا وهى : التوسط للصلح بين قبائل المنطقة . وقد مر بنا سابقاً ، أن المجتمع القبلى فى تهامة عسير والمخلاف السليمانى ، كان مجتمعاً متناحراً متحارباً ـ بعد أن أهملته الحكومة العثمانية ـ ولذلك قرر الأدريسي أن يسلك هذا الطريق ليجعل من القبائل المتفرقة قبائل متحدة ، ومن تلك الأيدى المتحاربة فيما بينها ، أيد مسالمة لبعضها .

---

(١) العقيلى : المخلاف السليمانى ، جـ ١ ، ص ص ٦٢٩ ـ ٦٣٠ .

(٢) الوشلى الحسينى : (مخطوط) ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ ؛
الجندارى ، أحمد بن عبد الله (ت ١٣٣٧هـ) : الجامع الوجيز فى وفيات العلماء أولى التبريز (مخطوط) (صنعاء : الجامع الكبير ، المكتبة الغربية ، رقم ٦٥ تاريخ) ، ص ٢١٦ .

ومن هنا جمع قبائل صبيا وعشائرها مع قبيلة الجعافرة (١) في صلح مشهود اتفقوا فيه على انهاء ما بينهم من ثارات وحروب ، وعدم التعدى على بعضهما البعض ، وقرر الادريسي تشكيل مجلس قبلى يضم كبار الشيوخ والزعماء من القبيلتين ، ليضمنوا عدم اعتداء أى قبيلة على الأخرى ، واذا حصل أى اعتداء ، فان السيد محمد الادريسي والمجلس القبلى ، يتحملان مسئولية ردع المعتدين ، وتأديب العاصين (٢) . ولما نجح الصلح وعاشت القبيلتان فى وئام وسلام ، طمعت القبائل الأخرى فى أن تدخل فى معاهدات صلح مشابهه ، فتكوّن فى المنطقة حلف يضم الكثير من القبائل ومنذ ذلك الحين ، تقلص مبدأ الثارات والخصومات والحروب ، وحل السلم والأمان فى ربوع المنطقة ، وأدركت القبائل أن الفضل فى ذلك يعود للسيد محمد الادريسي ، فازداد نفوذه المعنوى لدى قبائل صبيا ، والجعافره ، والطمحه والحسينى (٣) .

وقد أشار الادريسى ـ نفسه ـ إلى هذه الخطوة الجريئة فى التمهيد لتأسيس حكومته ، فقال ـ يصور الحالة قبل الصلح وبعده ـ : « ولو رأيت لرأيت من الحروب الدائمة بين القبائل والعشائر مايذهب الأموال ويؤيم النساء وييتم الأطفال ... كل ذلك تراه حاصلاً على مرأى ومسمع من الحكومة (يعنى الحكومة العثمانية) ، وصار العقلاء يبحثون عن مخرج من هذه الحالة .... ولما اشتدت الأزمة ، وفقنى الله للدخول بين قبيلتين عظيمتين للصلح (وهما قبائل صبياوالجعافره) ، وبذلك استتب الأمن وسارت التجارة ، وحفظت الزراعة .... وأقيمت الصلوات ، وحوفظ على حدود الله .... وهناك اشرأبت اعناق القبائل الأخرى للانتظام فى هذا السلك .... فوفق الله هذا الضعيف (يعنى نفسه) إلى الدخول بين عدة قبائل فتم الصلح بينهم ... " الخ (٤) .

---

(١) الجعافرة : من قبائل المخلاف السليماني ، على ساحل البحر شمال غرب صبيا ، وتعرف بلادهم بالقوز ـ أو قوز الجعافرة وهى المرفأ الطبيعى لمدينة صبيا ، وبالقرب منهاتوجد اطلال مدينة (عَثّر) التاريخية .
أنظر : العقيلى : المعجم الجغرافى ... مقاطعة جازان ، ص ٣٥٩

(٢) العقيلى : المخلاف السليماني ، جـ ٢ ، ص ص ٦٣٨ ـ ٦٣٩ .

(٣) العقيلى : المخلاف السليماني ، جـ ٢ ، ص ص ٦٣٩ ـ ٦٤١ .

(٤) وثائق محلية (اداريسيه) :
منشور ادريسى ، سبق ذكره نقلاً عن العقيلى : المخلاف السليماني ، جـ ٢ ، ص ص ٧٧١ ـ ٧٧٩ .

وبعد أن اكتملت هذه الأعمال التى قام بها الادريسي - تمهيداً لتأسيس حكومته - والتى استغرقت سنة كاملة (١٣٢٥ - ١٣٢٦هـ / ١٩٠٧ - ١٩٠٨م) ، تهيأت فيها النفوس لطاعته ، وأصلح فيها عقيدتهم ، وأعادهم إلى كتاب الله وسنة رسول صلى الله عليه وسلم ، وأصلح فيها بين القبائل ، فوحدها بعد فرقه ، وجمعها بعد شتات ، فأطاعه القاصى والدانى فى منطقته ، ولم يبق - بعد ذلك - إلا اعلان الحكومة ، ليتلمس من يطيعه ويقبل به ، ومن يناوئه ويعترض عليه .

ولقد حدث فى المنطقة ما دفعه لهذه الخطوة ، فإن بعضا من شباب قبائل صبيا اعتدوا على نساء من قبيلة الجعافرة فى السوق العام بمدينة صبيا ، وكان ذلك يعنى نقضاً للصلح المبرم بين القبيلتين ، فاستنجدت قبائل الجعافرة بالادريسي ، يشكون ما وقع من قبائل صبيا ، ويطالبونه بأخذ حقهم ، ورد كرامتهم ، فما كان من الادريسي إلا التصميم على تطبيق الأحكام التى اتفقوا عليها فى الصلح ضد من يعتدى أو يخل بالشروط .

وكان أول اجراء قام به : استدعاء المجلس القبلى للاجتماع - ومن ضمنهم مشايخ صبيا وزعمائها - فطالبهم بتسليم الشباب المعتدين لكى يقتص منهم أمام مشهد من الناس - وخاصة من قبيلة الجعافرة - فاستجاب المشايخ لذلك واحضروا الشباب المعتدين - وهم خمسة - فحكم عليهم الادريسي بقطع رؤوسهم ، جزاء ما فعلوه من اعتداء على المحارم . ولكن بعض العقلاء - من أعضاء المجلس القبلى - أشاروا على الادريسي بالعفو عنهم بعد جز شعورهم تأديباً وتنكيلاً . ولما رضى الجعافرة بهذا الحكم ، جيئ بالشباب . فى السوق العام ونفذ فيهم الحكم (١) .

ولما رأى الناس ذلك ، أقبلوا إليه مبايعين ومعاهدين ، فبايعته قبائل صبيا كلها ، ثم قبائل الحسينى ، والجعافرة ، ثم قبائل المخلاف الشامى (٢) ، وقبائل ضمد وغيرها من قبائل المخلاف السليمانى وبعض قبائل سراة عسير . وكان هذا إعلاناً بقيام الحكومة

---

(١) العقيلى : المخلاف السليمانى ، جـ ٢ ، ص ص ٦٤٠ - ٦٤٣ .

النعمى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٢) قبائل المخلاف الشامى : أى قبائل المنطقة الشمالية من المخلاف السليمانى ، وتمتد من صبيا إلى بيش .

الادريسية ، وظهور أمرها فى تهامة عسير والمخلاف السليمانى ، وذلك فى أواخر شهر ذى القعدة عام (١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م) (١) .

القضاء على المعارضة :-

وما إن تمكن الادريسي من اعلان الحكومة ، حتى ظهر من بين القبائل ـ التى قدمت طاعتها وأعلنت بيعتها ـ بعض المعارضين ، الذين لم يرق لهم ما أصبح عليه الادريسي من مكانة مرموقة فأعلنواسخطهم وجاهروا بمعارضتهم له ومناوأته ، ، وكان أولهم : أحمد شريف الخواجى (٢) . فلما رأى القبائل تعطى البيعة للادريسي ، ازداد غيظاً وحسداً ، وأخذ يعمل فى الخفاء ـ لاحباط كل مسعى يزيد من تقدم الادريسي ، حتى ان بعض المؤرخين ، يجعله وراء الحادثة التى اعتدى فيها شباب صبيا على نساء الجعافرة ـ السابق ذكرها ـ (٣) وكان الادريسي يرصد تحركات هذا المعارض ، وينتظر أى خطأ يرتكبه حتى يعاقبه أشد العقاب .

وحانت الفرصة عندما ارتكب هذا المعارض خطأ فى حق بعض الناس (٤) فتقدموا إلى الادريسي يشكون ما حصل عليهم منه ، فاستدعاه الادريسي إلى المحكمة للقضاء ، ولكنه رفض الاستجابة معلناً عدم اعترافه بقضاء الادريسي ومحاكمه ، فأصدر الادريسي أمراً بالقبض عليه وسجنه لأنه يقوم بتعطيل أمر الشريعة ، ولكن الخواجى

---

(١) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » مجلة العرب ، (الرياض : م ١ ، جـ ١ ، السنة ٦ ، ١٣٩١هـ) ، ص ١٢ ؛

العقيلى ، المخلاف السليمانى ، جـ ٢ ، ص ٦٤٣

(٢) من أشراف المخلاف السليمانى ، وكان لأسرته سلطان سابق ونفوذ فى المنطقة .

(٣) النعمى : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٢٣ .

(٤) يروى المعاصرون فى المنطقة : أن أحمد شريف الخواجى اشترى امرأة من السوق على أنها جارية ، وهى ليست كذلك ثم باعها إلى أحد التجار ، وقد تقدم أخوها إلى الادريسي يشكو التاجر ويطالب بتحرير أخته واسترجاعها ، فقام الادريسي بايداع الجارية لدى باصهى ـ وزيره الخاص ـ حتى يتم الفصل فى القضية واستدعى التاجر إلى المحكمة وطالبه بتحرير الجارية واعادتها لأخيها فرفض إلا أن يعيد الخواجى قيمتها .

سل سيفه فى وجه الحرس ليدافع عن نفسه . ولما تمكنوا من القبض عليه ، حكمت المحكمة بقطع يده وكسر سيفه . وقد تم ذلك فى أوائل عام (١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م) (١) ، وبذلك تخلص الادريسي من أكبر معارض له فى المنطقة .

أما المعارض الثانى ، فقد برز له عند ماجاءت قبيلة ضمد (٢) لتقديم البيعة ، فقد تخلف عن المجيئ أحد رؤساء القبيلة وامتنع عن البيعة وهو أحمد الهودانى ، فاعتبر الادريسي ذلك خروجاً ومخالفة قد تجرئ غيره على المعارضة . فشكل الادريسي قوة من القبائل المبايعة وسار بها إلى ضمد لمحاربة هذا المعارض ، وما إن وصلت القوة إلى المدينة حتى تظاهر أهلها وأخرجوا المعارض أحمد الهودانى وسلموه للادريسي (٣) .

ويقال أن هناك ثلاثة آخرون ـ كانوا فى عداد المعارضين للسيد الادريسي ـ وهم : على سويد الأنصارى ـ فى جازان ـ ، ومنصور الصعيدى ـ فى أبى عريش ـ ، وعبد الله بن سهيل ـ فى فرسان ـ ، ولما علم الادريسي بمعارضتهم له وعدم استجابتهم لطاعته ، أرسل إلى كل منهم من يقبض عليه ويسلمه له . فأما الأول فقد نُفِيَ إلى شهران (٤) ، وأما الثانى فقد سجن فى جبل النظير . وأما الأخير فقد تمكن من الفرار إلى اليمن ، وبعد مدة وجيزة عاد إلى المخلاف السليمانى فقبض عليه وسجن ثم عفى عنه (٥) .

وهكذا تمكن السيد محمد الادريسي من القضاء على كل المعارضين فى المنطقة ليصبح الحاكم الأول فيها بدون منازع وليتفرغ لتنظيم حكومته تنظيماً ادارياً يجعلها فى وضع متقدم أمام الحكومات المعاصرة .

---

(١) العقيلى : المخلاف السليمانى ، جـ ٢ ، ص ص ٦٥٢ ـ ٦٥٧ ؛ ويقال أن الخواجى قد ذهب إلى باريس وركبت له يدان صناعيتان ، أنظر :

Bury, op. cit. P. 136.

(٢) ضمد : أحدى مدن المخلاف السليمانى ، وتقع على وادى ضمد الشهير .
أنظر العقيلى : المعجم الجغرافى ـ مقاطعة جازان ، ص ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

(٣) العقيلى : المخلاف السليمانى ، جـ ٢ ، ص ٦٤٤ .

(٤) شهران : من قرى وقبائل سراة عسير ، وتقع شمال أبها .

(٥) العقيلى : المخلاف السليمانى ، جـ ٢ ، ص ٨٢٦ .

٢ ـ التنظيم الادراى والفتوحات الأولى :

فى تلك الفترة المتقدمة من عمر الحكومة الادريسية ، لم يكن هناك تنظيم ادارى ـ كالمتعارف عليه حالياً ، وإنما يمكن أن نتبين أولى المحاولات التى قام بها السيد محمد الادريسى لتنظيم الادارة فى حكومته الوليده فقد قرّب إليه مجموعة من المشايخ والرجال البارزين من رؤساء القبائل وأعيانها ، وحملهم بعض المسئوليات ، فكان منهم القضاة ، والورزاء ، وكان منهم من تولى عمالة الأقاليم ، ومنهم من تحمل مسئولية الجيش وقيادة الجيوش :

القضاة : لقد أنشأ السيد محمد الادريسي محكمة شرعية فى صبيا للقضاء وفك الخصومات وتقرير الاحكام على الوجه الشرعى ، كما أوجد فى كل قبيلة داراً للقضاء تتولى أمور القضاء فيها ، وكان من ضمن القضاة الذين اختارهم الادريسى للعمل فى هذا الميدان : محمد حيدر القُبّى ، وإبراهيم بن عطيف النعمى ، وعلى بن حسن أبو زنبيل ، ومحمد بَحّار ، وعبد الرحمن الحَفّاف ، ومحمد عبد الله مُبَجَّر سليمان .

الوزراء : وهم المرافقون والمستشارون ، ومن ضمنهم : محمد بن يحيى باصَهى ، الذى كان يقوم مقام وزير المالية ـ فى الوقت الحاضر ـ لأنه كان تاجراً مشهوراً فى المنطقة ، وله خبرة بالشئون التجارية والمالية ، كما كان ينتدبه لبعض المهامات السياسية ، ويحيى زكرى حكمى ، ومحمد طاهر رضوان ، وحمود سرداب الحازمى ، وكان يكل إلى بعضهم القيادة العليا فى الحروب والمعارك .

العمال وولاة الأقاليم : وهم أشبه بأمراء المناطق حالياً ، وكان منهم الشريف أحمد ابن زيد ، والشريف على بن أحمد بن شبيل الحازمى ، والشريف محمد بن أحمد ، اضافة إلى رؤساء القبائل ومشايخها .

ومن رؤساء الجيوش : الشريف حسن بن حمود ، والشريف إبراهيم بن عبده ، وعرار بن ناصر ، ومصطفى النعمى ـ الذي سيقود الجيوش المحاصره لأبها ـ كما سنعرف ـ وغيرهم كثير (١) .

---

(١) زياره ، محمد بن محمد بن يحيى : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر ـ سيرة الفاتح الشهيد أمير المؤمنين الإمام يحيى . (القاهرة : المطبعة السلفيه ومكتبتها ، د . ت) . القسم الأول ، ص ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ؛ العقيلى ، محمد بن أحمد : المخلاف السليماني ، جـ ٢ ، ص ص ٦٤٤ ـ ٦٤٥ .

ثم قام السيد الادريسى بأخذ مجموعة من أبناء القبائل التى بايعته كرهائن لديه ليضمن عدم انتفاضتها ، وليشكل منهم نواة للحرس والجيوش المحلية ، وإذا قامت الحروب استدعى كل قادر على حمل السلاح من قبائل عسير والمخلاف السليمانى فيجتمع لديه أكثر من ثلاثين ألف مقاتل ، بزادهم وسلاحهم وركائبهم ، ثم يعطيهم الادريسي ـ زيادة على ما عندهم ـ ما يحتاجونه من مؤونة وذخيرة وسلاح ، وفوق ذلك يدفع لهم المرتبات المجزية من الغنائم التى يحصلون عليها (١) .

وأخيراً جعل مدينة صبيا عاصمة لحكومته ، وجازان وميدى مينائين له على البحر الأحمر ـ بعد الاستيلاء عليهما ، اضافة إلى قوز الجعافره ـ المرفأ الطبيعى للعاصمة صبيا (٢) .

وبهذا ، استكمل الادريسي بناء جهازه الادارى والعسكرى ، وأخذ يمارس سلطته السياسية بما عرف عنه من دهاء ودراية وخبرة ، فى الوقت الذى كانت فيه قبائل عسير السراة تتوافد إليه معلنة بيعتها وتأييدها وقد جعل من أولى مهامه ، الاهتمام بالناحية الاقتصادية ـ ولاسيما وأن منطقته ساحلية وفيها الكثير من الموانئ والثغور ـ فقام بتنظيمها ، إذ جعل فى كل ميناء جمركاً وعمالاً وموظفين ، لاستيفاء الرسوم الجمركية من الواردات والصادرات ، فنشطت التجارة بين موانئه ومينائى عدن ومصوع ، فكانت السفن الشراعية تحمل البضائع محلياً بن الثغور المتقاربة (٣) .

ولما انتهى الادريسي من بناء حكومته ادارياً واقتصادياً ، ورأى بوادر الاستقرار والتمكن ، واطمأن على وضعه ومركزه فى المنطقة ، بدأ يفكر فى توسيع حكمه إلى بعض المناطق اليمنية القريبة من منطقته ، والتى قد وصلتها أخباره وأعماله ، فقام بزيارة إلى

---

(١) االريحانى : مرجع سبق ذكره ، ص ٣١٨ .

(٢) يعقوب ، هارولد . ف . ك . سي . آى : ملوك شبه الجزيرة العربية ، ترجمة أحمد المضواحى . (بيروت : دار العودة ، ١٩٨٣م) ، ص ٨٦ ؛

Cornwalis, op, cit, P. 26

(٣) المنار : القاهرة م ١٥ ، جـ ٦ ، (٣٠ جمادى الآخره ١٣٣١هـ الموافق يونيه ١٩١٣م) ، ص ص ٤٦٨ ـ ٤٦٩ .

رازح ، وجبل شذا ، ثم إلى قرى ناهر همدان ، فرحبت به ، ودخلت فى طاعته ، وأعطته الرهائن دليلاً على بيعتها وخضوعها ، ثم انتقل إلى جبل النظير ثم الضيعة ، واستقبل فيها بكل الترحيب معلنين ولاءهم وطاعتهم .

ولما احس الإمام يحيى ـ إمام اليمن ـ بهذه الأعمال ، وما لمسه من تقدم الادريسي إلى تلك الاجزاء من بلاده ، قرر أن يوقفه عند حده ، فأرسل قواته وجيوشه من قبائل حاشد وهمدان وحاربوه حتى تمكنوا من ايقاف زحفه فى الجهات اليمنية ، فلما وجد الادريسي نفسه غير قادرٍ على مقاومة الإمام يحيى ـ فى هذه الفترة ـ تراجع إلى صبيا مكتفياً بما حصل عليه فى هذا الفتح الأولْ وهى المناطق التالية : « منبه ، وعرار ، وفيفا ، وبنى مالك ، ورازح » (١) .

وهكذا تمكن السيد محمد على الادريسي من اقامة دولته ، وتكوين حكومته ، فى تهامة عسير والمخلاف السليمانى ، فحقق الأمن والاستقرار وقضى على كل مظهر من مظاهر الفوضى والفساد ولم يتهيأ له ذلك إلا بما جُبِلَ عليه من صبر وعزيمة وقوة تحمل « وثبات على المبدأ » (٢) ، وسعة ادراك ونباهة وذكاء . وفوق ذلك ما كان يتحلى به من علم وتقوى وخبرة ودراية بشئون مسقط رأسه واهمال الحكومة العثمانية له (٣) ، فاستغل هذه الأمور احسن استغلال ، حتى استطاع أن يبنى كياناً ويشيد دولة ، ولم يلبث أن اصطدم بالحكم العثمانى المقيم فى عسير والمخلاف السليمانى .

* * *

---

(١) شرف الدين ، احمد حسين : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٧١ ؛
العقيلى : المخلاف السليمانى ، جـ ٢ ، ص ص ٦٥٩ ـ ٦٦٢ .

(٢) الريحانى : مرجع سبق ذكره ، ص ٣١٦ .

(٣) العقيلى : المخلاف السليمانى ، جـ ٢ ، ص ص ٦٥٩ ـ ٦٦٢ ؛
شرف الدين ، أحمد حسين : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٧١ .

الفصل الثانى

العلاقات بين العثمانيين وحكومة الادارسة

(١٣٢٦ ـ ١٣٢٩هـ / ١٩٠٨ ـ ١٩١١م)

أولاً : موقف العثمانيين من نفوذ الأدارسة المتزايد :ـ

١ ـ الأوضاع الداخلية فى الدولة العثمانية والعهد الدستورى .

٢ ـ التقارب العثمانى الإدريسى واتفاق الحفائر .

ثانياً : الوضع فى عسير والمخلاف السليمانى بعد الاتفاق :ـ

١ ـ توتر العلاقات بين الإدريسى والمتصرف العثمانى فى عَسير .

٢ ـ إعلان الثورة وحصار أبهًا .

ثالثاً : موقف الأدراسة من العلاقات العثمانية اليمنية :ـ

١ ـ طبيعة العلاقات العثمانية اليمنية حتى سنة ١٩١١م .

٢ ـ موقف الأدراسة من هذه العلاقات .

أولاً : موقف العثمانيين من نفوذ الأدارسة المتزايد

١ ـ الأوضاع الداخلية فى الدولة العثمانية والعهد الدستورى :

لكى نتعرف على موقف العثمانين من النفوذ الادريسي المتزايد فى عسير والمخلاف السليمانى فى ـ هذه الفترة ـ ، يجب أن نلم ـ أولاً ـ بالأوضاع السياسية الداخلية التى كانت تعيشها الحكومة العثمانية ، ـ لأنها كانت سبباً من الأسباب التى فرضت عليهم الموقف الذى اتخذوه تجاه الحكومة الادريسية .

فمن المؤكد ، أن ما حصل عليه السيد محمد الإدريسي ، من نجاح وتقدم فى تأسيس حكومته ، وبناء أركانها ، جعل الحكومة العثمانية تهتم بأمره أشد الاهتمام ، وتفكر فى مواجهته . ولكن الأوضاع الداخلية التى كانت تعيشها ـ آنذاك ـ منعتها من نقل ذلك التفكير إلى حيز العمل .

والذى يتضح لنا أن الدولة العثمانية ـ فى أواخر عهد السلطان عبد الحميد الثانى (١٢٩٣ ـ ١٣٢٦هـ / ١٨٧٦ ـ ١٩٠٨م) ، وبداية ظهور حكومة الأدارسة فى تهامة عسير والمخلاف السليمانى ـ عاشت ظروفاً سيئة ، من تدهور فى الإدارة والاقتصاد ، وضياع الممتلكات ، وقيام الثورات ، وسيادة الحكم الفردى . الأمر الذى أدى إلى ثورة الدستوريين سنة (١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م) ، والتى أطاحت بالسلطان عبد الحميد بعد ذلك بسنة ، أى عام (١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م) [١] .

وقد بدأت بوادر هذه الثورة ، عندما قام السلطان عبد الحميد ـ فى سنة (١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م) ـ بتعطيل الدستور الذى أقره قبل ذلك (فى ذى الحجة سنة ١٢٩٣م / ٢٣ ديسمبر ١٨٧٦م) [٢] ، واتبع سياسة قوية تتصف بالاستبداد ليقضى على كل مظهر من مظاهر الحركات التقدميةوالتحررية ، فتألفت الأحزاب الثورية ، وتشكلت الجمعيات السرية ، التى أخذت تدعو لمقاومة الاستبداد الحميدى واعادة الدستور .

---

(١) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث (اليمن والإمام يحيى) ١٩٠٤ ـ ١٩٤٨م (ط ٢ : القاهرة : مكتبة سعيد رأفت ، جامعة عين شمس ، ١٩٧١م) ، ص ٤٣ .

(٢) منسى ، محمود صالح : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٧٢ ـ ٧٣ .

ومن أهم هذه الجمعيات السرية ، اللجنة الثورية التى ظهرت فى سالونيك ـ أحدى ولايات مقدونيا ـ ومن خلالها تكونت جمعية الحرية العثمانية) ، واتحدت مع جمعية (الوطن والحرية) ، التى تأسست فى دمشق سنة (١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م) ،وسميتا باسم " جمعية الاتحاد والترقى " [١] ليقوم على كاهلها مسئولية الثورة على السلطان عبد الحميد واعادة الدستور .

ولقد عزم أعضاء هذه الجمعية ، على أن يقوموا بالثورة ، فى عيد جلوس السلطان عبد الحميد فى (شهر شعبان ١٣٢٦هـ / ١٣ أغسطس ١٩٠٨م) ، إلا أن اللقاء الذى تم بين ملك بريطانيا ـ ادوارد السابع ـ وقيصر روسيا ـ نقولا الثانى ـ ، فى ريفال (Reval) (فى جمادى أول ١٣٢٦هـ / يونيه ١٩٠٨م) ـ جعل قادة الانقلاب يعجلون بالثورة ، لأنهم فهموا أن ذلك اللقاء « مساومة استعمارية بين الدولتين لتقسيم الدولة العثمانية فيما بينهما » [٢] ، فزحفت جيوش الثورة من سالونيك إلى العاصمة ، وأجبرت السلطان على اعلان الدستور ، واجراء الانتخابات ، معلنين بذلك نهاية الاستبداد الحميدى ، وبداية عهد المشروطية الثانية [٣] .

وما هى إلا سنة واحدة حتى قامت ثورة مضادة (فى ربيع الثانى سنة ١٣٢٧هـ / أبريل ١٩٠٩م) يقودها مجموعة من أنصار السلطان عبد الحميد فنادوا بالغاء المشروطية واقتحموا مبنى البرلمان . إلا أن جماعة الاتحاد والترقى بادرت لانقاذ الموقف فأرسلت جيوشها من سالونيك ، واحتلوا العاصمة ، ونادوا باجتماع مجلس المبعوثان والأعيان فى هيئة جمعية وطنية ، وقرروا خلع السلطان عبد الحميد ، مستندين إلى فتوى شيخ الإسلام ـ وفى الوقت نفسه ـ أعلنوا تنصيب أخيه محمد رشاد سلطاناً باسم محمد الخامس [٤] على أن يكون الحكم دستورياً . وبهذا تمكن الاتحاديون أعضاء جمعية الاتحاد والترقى ـ من حكم الدولة العثمانية حكماً دستورياً ، بينما ظل السلطان

---

(١) حراز ، السيد رجب : مرجع سبق ذكره ، ص ٦٣ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٦٤ .

(٣) الحصرى ، أبو خلدون ساطع : مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٨ .

(٤) الحصرى : المرجع نفسه ، ص ١١٣

محمد الخامس ألعوبة فى أيديهم وليس له من الأمر شئ (١) .

وهكذا جاء العهد الدستورى - وحكامه الاتحاديون - ليواصلوا حكم الدولة العثمانية ، ومواجهة المشاكل والأحداث التى حصلت فى ولايات الدولة القريبة منها والبعيدة ، ومن تلك المشاكل والأحداث مشكلة الأدارسة فى عسير والمخلاف السليمانى ، ونفوذهم المتزايد .

ولقد كانت هذه القضية مما يشغل بال العثمانيين ، ولكنهم - فى بادئ الأمر - كانوا يعتبرونها قضية متواضعة لا تشكل أى خطر ، واعتبروا ظهور الأدريسي مجرد ظهور وقتى سرعان ما ينطفئ نجمه (٢) ، فأهملوا موضوعه ، ولم يعيروه أدنى اهتمام ، حتى شعروا - أخيراً - بأن نفوذه فى ازدياد ، فأدركوا أنه خطر حقيقى ولابد من مواجهته ووضع حد لخطورته .

٢ - التقارب العثمانى الادريسي واتفاق العفائر :

استقرت الأمور - نوعاً ما - فى الدولة العثمانية ، وبدأ رجال الاتحاد والترقى فى مواجهة الأخطار المحيطة بهم ، ولاسيما من جانب الأدراسة فى عسير والمخلاف السليمانى ، فقرروا أن يرسلوا إلى متصرفيتهم فى أبها ، متصرفاً جديداً وقائداً للجنود ، فاختاروا " سليمان شفيق كمالى " (٣) ، وجعلوا مهمته الأولى أن يستكشف " مقاصد الادريسى وحركاته ، وأن يعرف درجة تأثيره فى الأهالى ، وأن يختبر عوامل مساعيه ، ويدرس الوسائل والتدابير التى يجب على الدولة أن تقوم بها تجاه ذلك " (٤) .

وما أن وصل المتصرف الجديد إلى المنطقة حتى راح يسأل ويستفسر عن أحوال السيد الادريسي وما يقوم به فى المنطقة فلم يسمع عنه إلا " أنه رجل دين ، ناصحٌ مرشد شفيق ، يدعو الناس إلى ما فيه خيرهم ، حسبة لله .... وأن القبائل عرفت فيه ذلك

---

(١) حراز : مرجع سبق ذكره ، ص ٧١ .

(٢) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ٨٩ .

(٣) نصيف ، حسين محمد : ماضي الحجاز وحاضره (ط ١ : ١٣٤٩هـ) ، جـ ١ ، ص ١٩ .

(٤) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » ، (مجلة العرب ، الرياض : م ٢ ، جـ ١١ ، السنة ٥ ، ١٣٩١ هـ) ، ص ٩٩٩ .

فوسطته للفصل فيما بينها من قضايا الدماء .... " (١) ولاشك أن هذه هى الصورة الحقيقية التى كان يقوم بها السيد الادريسي فى بداية حركته - كما مر بنا - ومن هنا أخذ متصرف عسير يكتب للعاصمة العثمانية عن كل جديد فى المنطقة ، ويزودها بتقارير عن الادريسي ونفوذه المتزايد .

وفى هذه الفترة استطاع أحمد شريف الخواجى - الذى قطعت يداه فى صبيا لمعارضته الادريسي - أن يصل إلى الآستانه ، شاكياً لرجال الحكومة ما حدث له من ظلم وعدوان ، وأخبرهم عن حقيقة الادريسي ومدى ما وصل إليه نفوذه وسلطانه (٢) . فما كان من الدولة العثمانية إلا أن أرسلت إلى الادريسي خطاباً تطالبه بالحضور إلى العاصمة للتحقيق معه فى قضية أحمد شريف الخواجى ومحاكمته ، ولكن الادريسي رفض وامتنع عن تلبية طلب الحكومة العثمانية ، وهذا دليل على قوته ومدى نفوذه .

ومن هنا قررت الدولة العثمانية أن تتقرب إليه ، وتضمه إلى جانبها - ولو مؤقتاً - ، فأرسلت إليه وفداً يضم كلاً من سعيد باشا ، وتوفيق الأرنؤطى ، وبعض القوات العسكرية ، كما أمرت متصرفها فى عسير أن يرافق هذا الوفد فى مهمته إلى الادريسي ، والتى كانت تتلخص فيما يلى :

أولاً : دراسة الحالة فى المخلاف السليمانى .

ثانياً : استطلاع أمر الادريسي ومدى قوته ، ومعرفة حقيقة مقاصده ونواياه .

ثالثاً : الاتفاق معه - إن أمكن - ليصبح فى صف الدولة - مؤقتاً - حتى ترى فيه رأياً جديداً (٣) .

---

(١) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » ، (مجلة العرب ، الرياض : م ٢ ، جـ ١١ ، السنة ٥ ، ١٣٩١هـ) ، ص ١٠٠١ .

(٢) رفيع ، محمد عمر : فى ربوع عسير - ذكريات وتاريخ - (القاهرة : دار العهد الجديد للطباعة ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م) ، ص ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٣) العقيلى : المخلاف السليمانى ، جـ ٢ ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٦٦٤ - ٦٦٥ ؛

« بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » (مجلة العرب ، الرياض : م ٢ ، جـ ١٢ ، السنة ٥ ، ١٣٩١هـ) ، ص ١١٠٤ .

ولما وصل الوفد العثماني إلى جازان ، شكلوا وفداً فرعياً برئاسة الشيخ توفيق الأرنؤطي لمقابلة الادريسي في صبيا ، والتفاوض معه لعقد اجتماع بين الطرفين . وقد أظهر الإدريسي - في المقابلة - ولاءه وطاعته للدولة العثمانية ، وأخبر رئيس الوفد الفرعي ، أن كل ما قام به في المنطقة ، ليس إلا خدمة للدولة ، وطاعة لله وتقرباً إليه . ثم تفاوضا في مسألة الاجتماع والاتفاق ، فأبدى الادريسي رغبته وموافقته ، وحدد مكان الاجتماع في قرية الحفائر (١) ، ومن ثم عاد الوفد الفرعي العثماني إلى جازان مقتنعاً وراضياً(٢) .

وبدأ الادريسي يستعد لهذه المناسبة الكبيرة ، حيث اتصل برؤساء القبائل في تهامة عسير والمخلاف السليماني ، ودعاهم للحضور إلى مكان الاجتماع بعدتهم وسلاحهم ، فتجمع لديه حوالي أربعة آلاف رجل ، ليكونوا في استقبال الوفد العثماني في الظاهر ، وفي الباطن ليفهموهم بأن لدى الادريسي قوة لا يستهان بها ، وأنه يحظى بتأييدهم ومناصرتهم (٣) .

وفي (شهر ذي الحجة سنة ١٣٢٧هـ / ٧ ديسمبر ١٩٠٩م) ، وصل متصرف عسير إلى الحفائر ، والتقى هناك بالوفد العثماني القادم من جازان ، ووجدوا السيد الادريسي ورجال قبائله وزعماءها في استقبالهم (٤) . ولما اجتمع الوفدان ، ودارت المفاوضات بينهما ، كان الوفد العثماني يلمح للادريسي بالواجبات التي يفرضها الدين ، وأن عليه أن يضع يده في يد الحكومة العثمانية ليجنب المنطقة سفك الدماء ، وأن لا يقوم بأي عمل قد يفسر بأنه خروج عليها ، ومع ذلك فيمكن أن تمنحه الدولة وضعاً دينياً متميزاً كقاض في المنطقة أو حاكم شرعي ، وتصدر الاحكام باسم الخليفة (السلطان) ، ولكن الادريسي كان يظهر لهم لين الجانب ، والنية الحسنة ، وأنه غير خارج على الدولة ،

---

(١) الحفائر : قرية قريبة من جازان ، في المخلاف السليماني ، على بعد ثلاثة كيلو متر شرقاً .
انظر : العقيلي : المعجم الجغرافي ... ، مقاطعة جازان ، ص ١٥١ .

(٢) البركاتي : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٥ - ٦ .

(٣) « بلاد العرب في مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » مجلة العرب (الرياض : م ٢ ، جـ ١٢ ، السنة ٥ ، ١٣٩١هـ) ، ص ١١٠٤ .

(٤) البركاتي : مرجع سبق ذكره ، ص ٦ .

وأنه لا يطمع فى منصب أو رئاسة . وانما همه خدمة الدين وخدمة الوطن بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن القبائل تعودت أن تلجأ إليه فى حل مشاكلها وخصوماتها (١) . وبعد أخذ وعطاء ومناقشات ومفاوضات ، اتفق الوفدان على ما يلى :

١ ـ أن يعترف الادريسى بتبعيته للدولة العثمانية وسيادتها على عسير والمخلاف السليمانى .

٢ ـ أن يمنح الادريسي رتبة قائمقام ، ويقوم ـ كموظف عثمانى ـ بشئون صبيا وما يتبعها ، أى من صامطه جنوباً إلى حلى بن يعقوب شمالاً ، ماعدا جازان .

٣ ـ يتعهد الادريسي بأن يمد أسلاك البرق عبر المخلاف السليمانى بين اليمن والحجاز .

٤ ـ أن يسمح الادريسي للدولة العثمانية باقامة مراكز جمركية فى موانئ المخلاف السليمانى وتعيين مأمورين لها من قبلها .

٥ ـ تتعهد الحكومة العثمانية بالغاء الضرائب ، وأن تكتفى بمتحصلات الزكاة الشرعية للحبوب والمواشى .

٦ ـ أن يكون الادريسي نائباً عن الدولة العثمانية فى استحصال الزكاه ، مقابل أن يكون له الثلث لنفقاته ونفقات الجيش .

٧ ـ السماح للادريسي بتأليف جيش محلى لحفظ الأمن وحراسة أسلاك البرق (٢) .

ولما تم الاتفاق ، كتب المجتمعون منشوراً إلى قبائل عسير والمخلاف السليمانى ، بينوا فيه ما اتفق عليه الطرفان وطالبوهم بالتزام الهدوء والسكنية ، ثم عاد الوفد العثمانى إلى جازان ، وعاد الادريسي إلى صبيا ، فى حين عاد المتصرف إلى أبها ، وكتب إلى

---

(١) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » مرجع سبق ذكره ، ص ١١٠٥ .

(٢) البركاتي : مرجع سبق ذكره ، ص ٦ ؛

العقيلـى : المخلاف السليماني ، جـ ٢ ، ص ص ٦٦٥ ـ ٦٦٦ .

حكومته فى الاستانة بما تم فى اجتماع الحفائر (١) .

والجدير بالذكر هنا أن الادريسي قد أشار إلى هذا الاتفاق فى أحد منشوراته حيث قال« ... فلما خَبرَنا سعيد باشا وعرف الحق وظهر له كذب تلك الاشاعات ظهور الشمس لذى عينين ، اتفق معنا على أن نبقى على ما نحن عليه ، وأن الحكومة تقبل أن تكون الأحكام فى هذه القطعة العربية (يعنى تهامة عسير والمخلاف السليمانى) على حسب الشريعة الإسلامية ... » (٢) .

وهكذا استطاع الادريسى ـ من خلال هذا الاتفاق ـ أن يكسب أول جولاته فى علاقته مع الدولة العثمانية . فاعترافها بمركزه الدينى ، وسلطته الشرعية على جزء من عسير والمخلاف السليمانى ، وتعيينه فى رتبة قائمقام ونائباً عنها فى تحصيل الزكاة ، والسماح له بتشكيل جيش محلى . كل هذه المكاسب تعطينا دلالة واضحة على مدى ما استفاده الادريسي فى هذه الفترة التى لم يكن يطمع فى الحصول على أكثر مما حصل عليه .

كما يتبين لنا أنه حتى هذه المرحلة ، كان يتقبل السيادة العثمانية عليه ، ولم يطمح إلى الاستقلال التام والانفصال عن الدولة العثمانية ، حيث وافق على السيادة العثمانية مع توليه هو الحكم الفعلى فى البلاد .

ولربما أراد بذلك أن يكسب الوقت ليستعد لمرحلة تالية توصله إلى ما هو أكثر من اتفاق الحفاير .

* * *

(١) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » مجلة العرب (الرياض : م ٢ ، جـ ١٢ السنة ٥ ، ١٣٩١هـ) ، ص ص ١١٠٥ ـ ١١٠٦ .

(٢) وثائق محلية (إدريسيه) :

منشور ادريسي ، سبق ذكره .

نقلا عن ، العقيلى : المخلاف السليمانى ، جـ ٢ ، ص ص ٧٧١ ـ ٧٧٩ .

ثانياً : الوضع فى عسير والمخلاف السليمانى بعد الاتفاق

١- توتر العلاقات بين الادريسي والمتصرف العثمانى فى عسير :

بعد أن انتهت اجتماعات الحفائر ، عاد الادريسي إلى عاصمته صبيا ، وكان فخوراً بما تحقق له من مكاسب ، وما ناله من صلاحيات ، وراح من توه يعمل على تنفيذ بنود الاتفاقية (١) وتسخير ما فيها لصالحه وصالح المنطقة . بينما عاد المتصرف العثمانى إلى أبها وهو يحمل فى نفسه حقداً شديداً مما حصل عليه الادريسي ، ويشعر فى نفسه بأن الادريسي لن يكتفى بما حصل عليه فى الاتفاق بل سيعمل للوصول إلى ما هو أكثر . وقام المتصرف العثمانى بتحرير كل ما يعتلج فى نفسه فى تقارير سرية وبرقيات عاجلة إلى الباب العالى ، محذراً ومنذراً مما سيقدم عليه الادريسي فى الأيام التالية (٢) .

وظهر فى سماء المنطقة ـ عسير والمخلاف السليمانى ـ ما يمكن أن نسميه بالتوتر فى العلاقات فالادريسى يعمل لتقوية مركزه ، ويسعى لتحقيق المزيد ، والمتصرف العثمانى فى عسير ، يدرك ذلك ويراه ولا يستطيع أن يعمل شيئاً ، إلا أن يرفع التقارير إلى حكومته ، فكان الاثنان " كالجمبازين يلعبان على حبل واحد " (٣) ، الادريسي يعمل لنفسه ولمنطقته ، والمتصرف العثمانى يعمل لمصلحة بلاده .

وإذا نظرنا إلى موقف كل من الادريسي والمتصرف العثمانى ، لوجدناهما بالفعل ، كالجمبازين يلعبان على حبل واحد ، ولكن الادريسي يبدو أكثر تفوقاً وأشد خطراً وأثبت مركزاً ، فى حين كان المتصرف العثمانى أكثر سلبية وتقوقعاً . ويتضح ذلك من خلال الأعمال التى قام بها كل منهما بعد الاتفاق .

فالادريسي عندما شعر بأنه مطلق اليد ، وأن الاتفاق منحه من الصلاحيات ما يمكنه

---

(١) أباظة ، فاروق عثمان : الحكم العثمانى فى اليمن ، ص ٢٠٩ .

(٢) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » مجلة العرب (الرياض : م ٢ ، جـ ١٢ ، السنة ٥ ، ١٣٩١هـ) ، ص ١١٠٦ .

(٣) المرجع نفسه ، (م ٢ ، جـ ٤ ، السنة ٦ ، ١٣٩١هـ) ص ٢٥٢ .

من عمل شئ ما ، راح من حينه يعمل لزيادة مكاسبه وتحقيق طموحاته بالوسائل التالية:-

أولاً : توزيع المنشورات والنصائح الدينية : لقد كان الادريسى - فى هذه الفترة - محتاجاً لتدعيم مركزه الدينى الذى بدأ به أولى مراحل تأسيس الحكومة . فقام بتأليف النصائح الدينية وتوزيعها على القبائل ، فى هيئة منشورات دينية فى ظاهرها ، وسياسية فى باطنها ، وكان يهدف من ذلك أن يجذب قلوب الناس إليه ، وأن يوصل دعوته إلى كثير من القبائل التى سمعت به من قبل ولم تدخل فى طاعته ، وقد تحقق له ما أراد .

ثانياً : دعوة رؤساء القبائل للدخول فى طاعته : فقد أرسل رسله إلى القبائل يدعوهم إلى مبايعته ومناصرته فوفدت إليه قبائل عسير السراه من قحطان وشهران وبيشه ، وكذلك قبائل من نجران ، ورجال الحجر ، وبلْسمر وبلْحمر ، وقبائل من غامد وزهران ، وقبائل رجال المع ، وكانت هذه القبائل تأتى إلى صبيا مبايعة ، وكان الادريسي يستقبلهم احسن استقبال ويجيزهم بالجوائز الضخمة « فلهجت الألسن بذكره ، ونشرت من الثناء عليه الكثير ، مما جعل أهل قطره يعلقون آمالهم عليه » (١) .

ثالثاً : تحريض القبائل ضد الدولة العثمانية : ولم يكتف بما قام به ، بل أخذ يحرض القبائل ورؤساء ها على الدولة العثمانية ، متخذاً من تعلقهم بالقبلية والمشيخة ذريعة لذلك ، فكان يقول لهم : « انه لا يريد إلا أن يبقى كل شيخ على رأس قبيلته ، وأن لا يكون بين قبيلة وقبيلة تنافس ولا عدوان ، ليتمكنوا من اخراج الأجنبى من ديارهم » (٢) . - ويعنى بالأجنبى هنا العثمانيين - ومن هنا كانت تسرع فى الاستجابة لدعوته وترسل إليه الرهائن ، وتطلب منه ارسال المرشدين والوعاظ ، لتصبح أكثر مناطق عسير والمخلاف السليمانى تحت طاعته ، وبذلك توسعت رقعة بلاده لتشمل قرى وقبائل من سراة عسير وتهامتها وتمتد حتى تصل إلى مشارف اليمن بما فيها رازح وبنى جماعة

---

(١) النعمى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٢٦ - ٢٢٨ .

(٢) « بلاد العرب مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » مجلة العرب (الرياض : م ٢ ، جـ ١٢ السنة ٥ ، ١٣٩١هـ) ، ص ١١٠٧ .

وخولان وجبل النظير . وتاكيداً لسلطته عليها ، بعث بعماله ونوابه إلى كل ناحية من هذه النواحى[1] .

رابعاً : مجابهة المتصرف العثمانى : ولم يتوقف الادريسي عند هذه الأعمال بل نجده يقف نداً لمتصرف عسير ، ويجابهه فى كل شئ ، معلناً بذلك تحدياً سافراً لم يقابله المتصرف العثمانى إلا برفع التقارير إلى حكومته . ومن تلك المواقف أن الإدريسي كان يرسل رجاله إلى القبائل دون علم المتصرف العثمانى ، وأنه كان يحمى كل لاجئ إليه من سخط العثمانين فى عسير ، بحجة أن تسليم الدخيل لا يجوز فى عرف العرب وعاداتهم . وإن كان هذا الدخيل مجرماً أو محكوماً عليه بحد شرعى فان الادريسى يسعى لتاكيد سلطته الدينية فيستدعيه إلى محكمة صبيا لتصدر الحكم فيه وتنفذه ، ولا يرسله إلى محاكم العثمانين فى عسير . ومن تلك المواقف أيضاً : معارضة الادريسي لمتصرف عسير عندما قرر الأخير أن يتخذ (الشُّقَيقْ) ثغراً لأبها ، وأرسل جنوده للنزول فيه ، فرفض الادريسي ، ووقف ضد هذه الخطوة العثمانية ، محتجاً بأن القبائل فى الشُّقَيقْ لا تسمح بوجود الجند فيها[2] .

خامساً : مجابهة الحكومة المركزية : وذلك عندما قامت بارسال الموظفين الذين عينتهم للمراكز الجمركية . فقد أدرك الادريسي أن الدولة تخطط لتحقيق هدف مزدوج ، فهى تريد أن تحكم قبضتها على الموانئ العسيرية ، فى الوقت الذى تقوم فيه بحجز الادريسي داخل منطقته لتبعده عن الاتصال بالموانئ ، فتقل مؤونته ويضعف مركزه .

ولكن الادريسي عالج الموقف بدهاء وحكمة ، فقد أثار قبائله على موظفى الدولة العثمانية حتى أجلوهم عن المراكز الجمركية ، فعاد بعضهم إلى بلاده والبعض الآخر احتمى بنواب الادريسي . ولما استفسرت الحكومة العثمانية عن هذه الأعمال ، أجابهم الادريسي بأن الموظفين العثمانيين كانوا « لا يتمسكون بالدين ، ويجاهرون بالمعاصى ،

---

(١) البركاتى : مرجع سبق ذكره ، ص ٩ .

(٢) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » ، مجلة العرب (الرياض : م ٢ ، جـ ١٢ ، السنة ٥ ، ١٣٩١هـ) ص ص ١١٠٦ ـ ١١٠٧ .

فنفر الناس منهم ، وثاروا على سلوكهم السئ » (١) . وبهذا تخلص الادريسي من رجال الدولة العثمانية ، وأفسد على الحكومة خطتها ، وتفرغ مع نوابه للإشراف على موانئ المنطقة مركزاً جهوده فى تقوية نفسه والاستعداد لما هو قادم عليه .

وهكذا نجد أن موقف الادريسي ـ بعد اتفاق الحفائر ـ كان موقفاً صلباً . فقد سعى بكل عزيمة وإصرار للإستفادة من الصلاحيات التى كسبها فى ذلك الإتفاق ، منتهزاً فرصة انشغال الدولة العثمانية عنه ، وسلبية المتصرف العثمانى فى عسير ، لتدعيم مركزه ، وتقوية حكمه والإستعداد للأيام التالية .

وبالرغم من ذلك ، فقد ظل يخشى جانب المتصرف العثمانى الذى كان أقرب المسئولين العثمانين إليه ، وأكبرهم خطراً عليه ، حيث كان يرصد كل تحركاته ، ويرفع بها إلى حكومته فى الآستانه ، مبيناً لهم خطورة الادريسي ، وما يقوم به من أعمال ، ويطلب منهم قوة عسكرية يحارب بها الادريسي ليوقفه عند حده . ولكن الحكومة العثمانية كانت ـ آنذاك ـ مشغولة بثورة حوران فى سوريا ولم تستطع أن تلبى رغبة المتصرف ، بل أنها كتبت إليه أمراً بالذهاب إلى صبيا لمقابلة الإدريسي والإجتماع به ومحاولة تعطيله عن أى حركة ينوى القيام بها ، وبناء على ذلك أرسل المتصرف إلى الادريسي يخبره بعزمه على السفر إلى صبيا للاجتماع به ومناقشة بعض « الأمور التى لا يمكن حلها بالمراسلة » (٢) . فرحب الادريسي بذلك ، وأرسل إليه ثلاثة من أشراف تهامة لمرافقته فى هذه الزيارة .

ويبدو أن المتصرف العثمانى ، كان يهدف من وراء هذه الزيارة إلى تحقيق رغبة حكومته فى الحد من تحركات الادريسي المريبه ، لانشغالها فيما هو أهم ـ فى نظرها ـ وأن يدرس أوضاع الادريسي ويعرف ما وصل إليه ، لكى يستطيع أن يبنى خطة يقاوم بها المخططات الإدريسية ويواجه بها خصمه ، حتى تتمكن الدولة العثمانية من الإستجابة لنداءاته المتكررة بارسال حملة عسكرية للقضاء على الادريسي فى عقر داره .

---

(١) العقيلى : المخلاف السليماني ، جـ ٢ ، ص ٦٦٨ .

(٢) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » ، مجلة العرب (الرياض : م ١ ، جـ ٢ ، السنة ٦ ، ١٣٩١هـ) ص ص ٩٥ ـ ٩٦ .

ولما غادر المتصرف العثمانى أبها متوجهاً إلى صبيا ـ عاصمة الادريسي ـ وجد أنه أمام شخص لا يمكن أن يرضى بغير الامارة والاستقلال بديلاً ، وأنه يعد العدة لعمل يحقق فيه ما يريد (١) . وعندما التقى الطرفان دارت المناقشات حول مشكلة السفن الشراعية (السنابيك) ، والتى أثارها الادريسي ـ حيث كانت هذه السفن تبحر من سواحل عسير إلى مصوع وعدن لنقل حاجات الأهالى ، والبضائع التجارية ، فتعترضها سفن الخفر العثمانية بحجة تفتيشها ، وهذا يسبب تأخيرها وتعطيلها، ويصيب أصحابها باضرار جسيمة ـ وكان كل فريق يرى من جانبه حلاً يلائم موقفه ، ويرضى أهدافه ، فالمتصرف العثمانى يرى أن يوظف مشايخ القبائل الساحلية كمدراء لهذه الموانئ من قبل الدولة العثمانية ، ويوضع لدى كل منهم خاتم رسمى تختم به كل سفينة تحمل البضائع لتسلم من التفتيش . أما الادريسي فانه رفض هذا الاقتراح وقال أنه لا يثق فى الدولة « ولا يريد أن يكون مشائخ القبائل الساحلية من رجال الحكومة وتبعاً لأوامرها » (٢) ، ثم تشعب النقاش إلى أمور أخرى وانتهى بدون نتيجة .

ولقد أدرك المتصرف العثمانى ـ من خلال هذا اللقاء ـ حقيقة الادريسي ، ولاسيما عندما صرح بقوله أنا لا ثقة لى بالدولة ، حيث فسر ذلك بأن الادريسي قد أصبح فى وضع يمكنه من اعلان العداء للدولة العثمانية . فتوجه المتصرف إلى جازان ، وكاتب حكومته ـ برقياً ـ يخبرهم بأن منطقة عسير والمخلاف السليمانى على أبواب ثورة قريبة وان نارها ستصل إلى اليمن وأن الأمر لا يحتاج إلى تأخير أو تسويف ، وطلب منها قوة عسكرية يستولى بها على السواحل ليمنع أو يحد من اشتعال الثورة . ولكن الحكومة العثمانية أرسلت إليه جواباً على لسان طلعت بك ـ وزير الداخلية ـ تقول فيه « ان الصدر الأعظم ـ اسماعيل حقى باشا ـ خرج للسياحة ، وعند عودته سنتذاكر فيما يجب عمله ، ونخبركم بالتعليمات التي يجب اتباعها ويجب عليكم الآن أن تتلافوا الأمور بالحكمة ، وذلك ما ننتظره من غيرتكم ورويتكم » (٣) .

---

(١) العقيلى : المخلاف السليمانى ، جـ ٢ ، ص ص ٦٦٨ ـ ٦٦٩ .

(٢) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » ، مجلة العرب (الرياض : م ١ ، جـ ٤ ، السنة ٦ ، ١٣٩١هـ) ص ص ٢٤٩ ـ ٢٥٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .

ولما ضاق المتصرف العثماني بالمواقف السلبية من حكومته ، وعدم استجابتها لنداءاته وطلباته ، وجد أن الأمر لا يحتمل التأخير ، ولابد أن يقوم بعمل انفرادى قد يستطيع به أن يحد من خطورة الادريسي مؤقتاً . فبينما هو عائد إلى أبها ، مر بصبيا واجتمع بالادريسي مرة ثانية ، وطلب منه السماح باقامة معسكر عثمانى فى أبي عريش ، كان القصد منه مهاجمة الادريسي عن قرب وفى حين غرة للقضاء عليه ، ولكن الادريسي أدرك ذلك ، فرفض هذه الفكرة ، وقال للمتصرف ـ بكل حزم ـ « ان هذا يخالف نصوص الاتفاق ... فقد أمنا الطرق وتعهدنا باستحصال الزكاة وتوريدها ، ... وكفينا الدولة أمر سوق العسكر ... » (١) .

فلما أدرك المتصرف العثمانى فشل خطته ، عاد إلى أبها حيث حاول من هناك أن يقوم بتجربة جديدة للقضاء على الادريسي ، فأرسل قوة عسكرية قوامها خمسمائة جندى بكامل عدتها وسلاحها ، وأمرها بدخول صبيا على حين غفلة والقبض على الادريسي أو القضاء عليه ، وأعلن المتصرف العثمانى أن هذه القوة مرسلة إلى جازان لتحل محل الحامية الموجودة فيها . وذلك لكي يوهم الادريسي ويموه عليه بالمقصد الخفى من ورائها ، وما أن وصلت القوة العثمانية إلى قرية (المَلْحَا) (٢) وعلم أهل القرية بالهدف الحقيقى الذى جاءت من أجله ، حتى حاصروها وأوقفوا تقدمها ، وأرسلوا إلى الادريسي يبلغوه بأمرها ، فأرسل من حرسه الخاص من يستطلع أمرها ويشفع لها عند رجال القبيلة . فانفرجوا عنها وفكوا حصارها ، ثم واصلت سيرها نحو جازان بمرافقة الحرس الادريسي ، ولم يتحقق لها ما كان يؤمله المتصرف العثمانى (٣) . وبعد أن أحس بفشله فى كل المحاولات التى قام بها للنيل من الادريسي ، قرر أن يستجيب لمطالب حكومته بتجميد الموقف حتى تتفرغ له وترى فيه رأياً جديداً .

وهكذا كان الشك وعدم الثقة بين الفريقين ، يتطور يوماً بعد يوم حتى بلغ درجة التوتر

---

(١) العقيلى : المخلاف السليماني ، جـ ١ ، ص ٦٦٩ .

(٢) المَلْحَا : من قرى المخلاف السليمانى ، على مسافة ساعتين من صبيا .

(٣) العقيلى : المخلاف السليماني ، جـ ٢ ، ص ٦٦٩
النعمى : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣٠ .

والصراع ، وسيظل الأمر كذلك إلى أن تسنح الفرصة للادريسى ليحقق أكثر مما حصل عليه فى اتفاق الحفائر ، منتهزاً انشغال الدولة العثمانية بمشاكلها الداخلية والخارجية .

٢ ـ أعلان الثورة وحصار أبها :

بعد عودة المتصرف العثمانى إلى أبها ، أدرك الادريسي أن الوقت فى صالحه ، وأنه فى وضع يؤهله للمبادرة باشعال الثورة واعلانها . فأرسل إلى قبائله يعلمهم أنه على أبواب ثورة ضد الحكم العثمانى فى المنطقة ، ويأمرهم بالتأهب والاستعداد كل بسلاحه وذخائره (١) ، وسرعان ما لبت النداء ، فأقبلت إليه جموع كثيرة ، بلغت ـ كما تقدرها الوثائق البريطانية ـ ما بين ٢٥٫٠٠٠ إلى ٣٠٫٠٠٠ من الرجال المسلحين (٢) ، ثم شكل لها الادريسي قيادة حربية تضم كلا من القائدين مصطفى النعمى وحمود سرداب ، ويعاونهما كل من يحيي بن عرار النعمى ، ومحمد طاهر رضوان وابراهيم الشوكانى(٣) ، وأمرهم بالتوجة إلى السواحل التهامية المحانية لسراة عسير ، وهناك توزعت القوات الادريسية إلى مجموعتين ، عسكرت أحداهما فى قوز أبى العير والأخرى فى العلايا (٤) ، وبدأت تنتظر ساعة الصفر لتنطلق نحو أبها ـ مركز المتصرف العثمانى ـ لفرض الحصار عليها .

أما المتصرف العثمانى : فانه منذ زيارته ـ السابق ذكرها ـ إلى صبيا ، أدرك أن الادريسي يعد العدة لعمل خطير ، وقد تأكد له ذلك عندما شعر بالتحركات الادريسية لجمع القبائل ، وارسال مندوبيه لذلك الغرض ، فوجد نفسه أمام بوادر ثورة خطيرة ، وقرر أن يقوم باتخاذ الوسائل والأسباب لمواجهة هذه الحالة فى عسير ، ولم يكن فى

---

(١) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » ، مجلة العرب (الرياض : م ١ ، جـ ٥ ، السنة ٦ ، ١٣٩١هـ) ص ٣٥٠ .

(٢) وثائق الخارجية البريطانية : F.O : 195 / 2376 No 21 E من : نائب القنصل البريطانى فى الحديدة . إلى السفير البريطانى فى الاستانة . بتاريخ ، ٢٤ فبراير ١٩١١م .

(٣) العقيلى ، محمد بن أحمد : المخلاف السليمانى ، جـ ٢ ، ص ٦٧٦ .

(٤) قوز أبى العير : قرية صغيرة فى تهامة عسير تقع إلى الشرق من ميناء الشقيق .

العلايا : وتكتب أيضاً العلايه ، وهى قرية فى سراة عسير فى الناحية الغربية من أبها .

وسعه أن يقوم بأكثر من الدفاع عن مركزه ـ أبها ـ . فبدأ بجمع قواته وادخار المؤن والحطب استعداداً للدفاع ، ثم أمر قواته بحفر الخنادق حول أبها « واقامة الجدران والسدود فى منافذ الأسواق الخارجية »[1] . حتى أصبحت أبها قلعة حصينة ، وهنا أخذ المتصرف العثمانى وقواته ينتظرون وصول الثوار .

وفى (أواخر شهر ذى القعدة سنة ١٣٢٨هـ / نوفمبر ١٩١٠م) كانت القوات الادريسية فى طريقها إلى أبها ، حيث أصدر السيد محمد الادريسي أوامره إلى مصطفى النعمى ، بأن يشكل قوة كبيرة من الجيوش المتمركزة فى القوز والعلايا ويسير بهم لحصار المدينة ، فى الوقت الذى ظلت فيه بقية الجيوش الادريسية فى مراكزها كاحتياطى ـ اذا لزم الأمر ـ ومراقبة هذه الأماكن إذا ما جاءت نجدة عثمانية لمساعدة المحاصرين[2] .

وما هى إلا أيام قليلة حتى وصل الثوار ، قادمين براياتهم ، وقد استولوا على الجبال الغربية على مسافة خمسة أو ستة كيلو مترات من أبها ، ولما وصلوا إلى المدينة فرضوا حصارهم الشديد عليها من كل الجهات ، فأصبحت أبها مطوقة تطويقاً كاملاً ، وكان الثوار يقومون بحركات الهجوم ، ويقابلهم العثمانيون بحركات الدفاع[3] ، وظل الموقف ـ على تلك الحالة ـ سجالاً بين الفريقين ، فلم يستطع الثوار دخول المدينة ، ولم يتمكن المدافعون من طرد الثوار . وطال أمد الحصار حتى ضاقت الحال على المحاصرين ، ونفذت مؤونتهم وما ادخروه ، حتى قيل أنهم «أكلوا القطط والكلاب »[4] من شدة الجوع .

ولما رأى الادريسي استبسال العثمانين فى الدفاع قرر أن يدعو قبائل عسير السراة

---

(١) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » ، مجلة العرب (الرياض : م ١ ، جـ ٥ ، السنة ٦ ، ١٣٩١هـ) ص ٣٥١ .

(٢) العقيلى : المخلاف السليماني ، جـ ٢ ، ص ٦٨٩ ؛
النعمى : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣٢ .

(٣) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » ، مجلة العرب (الرياض : م ١ ، جـ ٥ ، السنة ٦ ، ١٣٩١هـ) ص ص ٣٥١ ـ ٣٥٢ .

(٤) البركاتي : مرجع سبق ذكره ، ص ٥ .

للانضمام إلى قواته الثائرة فوزع عليهم منشوراً (فى الرابع من شهر ذى الحجة سنة ١٣٢٨هـ / ديسمبر ١٩١٠م) قال فيه « ... وأنتم هذا وقت الفرصة فاغتنموها ، فالله الله جاهدوا بأموالكم وأنفسكم من يريد حكماً غير الله ، واذكروا عهد الله الذى احتملتموه .... ولا يغركم الذهب ، فما بذلوه لكم عن حب ، ولو كانوا يحبونكم لسلّمُوكم من الظلم ... » (١) . وسرعان ما استجابت قبائل سراة عسير، وتوالت وفودها إلى الادريسي ملبية طائعة ، حاملة سلاحها وعدتها وذخائرها ، معلنة ثورتها على العثمانين بجانب الادريسي وقواته ، فانضم بعضهم إلى القوات المحاصرة ، وانضم الآخرون إلى معسكرات الادريسي فى القوز والعلايا ، وبذلك تقوّى مركز الادريسي ، واستطاعت بعض قواته ـ فى الشهر السادس من مدة الحصار ـ أن تستولى على مركز من أهم المراكز العثمانية فى عسير ، وهو مركز عقبة شعار ـ وكان فيه للعثمانين مدفعان وبلوك واحد من الجنود ـ استطاع جيوش الأدراسة أن يأسروا الجنود ويرسلوهم إلى صبيا ، ويأخذوا المدفعين كغنيمة من غنائم الحصار (٢) .

واستمر الحصار ـ على أشد ما يكون ـ تسعة أشهر ، ذاق العثمانيون فيها أشد أنواع التعب والجوع ، فقد انقطعت المواصلات بين أبها والقنفذة (٣) ، بسبب وجود الثوار المتمركزين فى هذه المنطقة ، وانحصار العثمانين فى أبها ، وقد نقصت الذخائر والمؤن التى كان المتصرف العثمانى قد ادخرها ، لأنها كانت من القلة والندرة بحيث لا تكفى لمدة أربعة أشهر ، ولذلك قام المتصرف العثمانى بانقاص الجراية التى تعطى للجند ،

---

(١) وثائق محلية (إدريسيه) :

منشور من : محمد بن على بن إدريس (الإدريسي) ، إلى : قبائل عسير السراة . بتاريخ : ٤ ذو الحجة ١٣٢٨هـ . (أنظر الملحق وثيقة رقم ١) .

(٢) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » ، مجلة العرب ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٥٤ . ومما يدل على أهمية هذا المركز قول المتصرف العثمانى فى مذكراته « وفى الواقع لم يكن لها (أى الدولة العثمانية) ، فى مقاطعة عسير ، غير ثلاثة معاقل عسكرية ، الأول فى العاصمة أبها ، والثانى موقع شعار (عقبة شعار) ، والثالث فى القنفذة على ساحل البحر » .

(٣) وثائق الخارجية البريطانية : No : 6 F.O 195 / 2376 من القنصل البريطانى فى جده . إلى : السفير البريطانى فى الأستانه بتاريخ : ٩ ـ فبراير ١٩١١ . (انظر الملحق وثيقة رقم ٢) .

فيأخذ الضابط والجندى من القوت ما يشبعه فقط ، ومنع الشعير عن الخيول والحيوانات ليوزعه على الجنود .

ولما بلغت الحالة بالمحاصرين إلى هذا الحد وكادوا أن يستسلموا للثوار ، جاءتهم الأخبار بأن الدولة العثمانية قررت أن ترسل الشريف حسين من الحجاز فى قوة كبيرة لمساعدة المحاصرين ، كما قررت أن ترسل قوة عثمانية أخرى تصل بطريق البحر إلى ميناء القنفذة فتشترك مع قوات الشريف حسين فى فك الحصار (١) .

ويجدر بنا هنا ، أن ندرس الأسباب التى جعلت الشريف حسين يوافق على القيام بهذه المهمة ، فلقد كانت العلاقات بين الشريف حسين والحكومة العثمانية ـ فى هذه الفترة شبه سيئة ، وذلك نتيجة للسياسة المركزية التى اتبعتها الحكومة العثمانية ، عندما عينت وهيب باشا والياً على الحجاز ، بحيث يجمع فى يده السلطة المدنية والعسكرية ، ويحاول تقليص سلطة الاشراف . وقد تأكدت هذه السياسة عندما قامت الحكومة العثمانية بمد خط سكة حديد الحجاز حتى يسهل عليها الاتصال السريع بالمنطقة (٢) . ولا شك أن هذه السياسة العثمانية قد أقلقت بال الشريف حسين ، وجعلته يفكر فى مستقبله ومستقبل شرافته ، ولهذا نجده يتقرب من العثمانين ، ويظهر لهم استعداده لاخماد ثورة الادريسي فى عسير ارضاء لهم ، فلعلهم يوافقون على تحقيق اطماعه وتوسيع سلطة شرافته (٣) .

ويذهب البعض إلى أن الدولة العثمانية قد أحست بما يخطط له الشريف حسين وما يسعى إليه ، فقررت أن ترسله إلى أبها لمساعدة المحاصرين من أجل أن تضرب العرب بالعرب (٤) . أى أن الحكومة العثمانية عندما أدركت مساعى الشريف حسين الذاتية رأت

---

(١) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » ، مجلة العرب (الرياض : م ١ ، جـ ٥ ، السنة ٦ ، ١٣٩١هـ) ص ص ٣٥٤ ـ ٣٥٦ .

(٢) أنيس ، محمد : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٧٥ .

(٣) منسى ، محمود : مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٩٢ ـ ١٩٣ .

(٤) نصيف ، حسين محمد : مرجع سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ص ١٩ ـ ٢٠ ؛
سعيد ، أمين محمد : الدولة العربية المتحدة (مصر : مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، د . ت .) ، جـ ٣ ص ص ٥ ـ ٦ .

أن ترسله إلى عسير لمحاربة الادريسي ، واخماد ثورته ، ومن ذلك تحقق واحداً من عدة أهداف ، ـ فإما أن تقضى على ثورة الإدريسي ، وإما أن تقضى على الشريف حسين ، وإما أن يحيق القضاء بالفريقين ، وفى كل الأحوال هى الكاسبة .

وعلى أية حال ، فقد عرض الشريف حسين خدماته على الحكومة العثمانية ، وقررت هى من جانبها أن تستفيد من هذه الخدمات ، فبعثت إليه بأن يجهز حملة كبيرة يقودها بنفسه ويتجه بها إلى عسير لمساعدة المحاصرين فى أبها ، فى الوقت الذى تكونت فيه حملة عثمانية فى العاصمة يقودها نشأت بك ، وسيرته إلى عسير بحيث يرسو فى ميناء القنفذة ويلتقى بالقوات الحجازية ، فيتعاون الجيشان فى محاربة الثوار وفك الحصار عن أبها .

وما هى إلا أيام حتى تحرك الشريف حسين من مكة المكرمة فى قوة كبيرة " من قبائل عتيبه ومطير وبنى الحارث والبقوم وسبيع وقبائل حرب .... سوى الجيش المنظم وهو مؤلف من جند جندرمه ، وجند أتراك نظامية " (١) وكان يرافقه ابناه الشريف عبد الله والشريف فيصل ، وذلك فى يوم الأحد (١٦ ربيع الثانى سنة ١٣٢٩هـ / ابريل ١٩١١م) ، وفى القنفذة التقى الجيش الحجازى بالجيش العثمانى القادم من العاصمة واتحد الجيشان تحت قيادة الشريف حسين ، ليبدأ تحركاته العسكرية ضد الجيوش الادريسية التى كان جزء منها يعسكر فى قوز أبى العير .

وقد كان على الشريف حسين وقواته ـ من أجل الوصول إلى أبها ـ أن يدخلوا فى حروب كثيرة على طول الطريق من القنفذة إلى أبها مع القوات الثائرة ، التى أحكمت السيطرة على كل القرى والمنافذ فى هذا الطريق ، وقد بلغت ـ كما يرويها أحد شهود العيان والمشاركين فى الحملة (٢) ـ ، أحدى عشرة موقعة ، التقى فيها الفريقان وكان النصر للجيوش الحجازية العثمانية المشتركة ، حيث تمكنت ـ بعدها ـ من شق الطريق إلى أبها (٣) . وبالرغم من أن البركاتى شاهد عيان ، إلا أننا لا نستطيع أن نسلم بأقواله

---

(١) البركاتى : مرجع سبق ذكره ، ص ١٠ ؛ نصيف : مرجع سبق ذكره ، ص ١٩ .

(٢) هو الشريف شرف بن عبد المحسن البركاتى ـ صاحب الكتاب المسمى بالرحلة اليمانية ـ أحد المصادر فى هذه الدراسة ـ وقد كان مشاركاً فى حملة الشريف حسين لفك احصار أبها ، انظر مقدمة الكتاب .

(٣) البركاتى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٤ ـ ٢٦ .

كلها ، فهو ـ كما يبدو ـ ينحاز فى كتابته إلى جانب الشريف حسين ، ولم يذكر الكثير من الحقائق التى تؤكد أن الجيش الحجازى العثمانى المشترك قد منى ببعض الهزائم فى حروبه مع الأدارسة بين القنفذة وأبها . ففى أحدى المواقع ـ مثلاً ـ التقى الطرفان فى القوز الشاهد (١) . ودارت بينهما معركة دامية هزم فيها جيش الشريف حسين شر هزيمة ، حيث يصفها المتصرف العثماني فى عسير بقوله : « وعلمنا من أخبار الثائرين ، أن أمير مكة تحرك من القنفذة وهاجم مكاناً على مسافة ثلاثين كيلو متراً اسمه القوز الشاهد ، فنشبت بين قواته وقوات الثوار معركة انكسر فيها الشريف ، واضمحلت قواته ، وغنم الثائرون كل ما معه من سلاح ومؤن ، وظننت أن الثائرين لم يصدقوا فى اشاعة هذا الخبر ، ولكن ما لبث أن وصلنى كتاب رسمي من القنفذة يؤيد صحة ذلك ... » إلى أن يقول « وشهد المعركة من أبناء الشريف كل من الشريف عبد الله بك والشريف فيصل بك ، وقد برهنا على شجاعة فائقة ، غير أنهما لم يخرجا من المعركة إلا بعد أن نزع الثوار عنهما ثيابهما ، فرجعا إلى القنفذة عريانين » !! (٢) .

وعلى أية حال : فإن الذى نستنتجه ، أن الشريف حسين وقواته لم يجدوا الطريق أمامهم سهلاً ، بل انهم عانوا من القوات الادريسية الثائرة عناءً كبيراً . وخسروا فى الأنفس والأموال خسارة فادحة . وكذلك بالنسبة للادريسي وقواته ، فلم تكن المهمة أمامهم سهلة ميسرة ، فقد واجهوا جيوشاً كثيفة ، بأسلحة متنوعة من بنادق ومدافع فى حين أن الادريسي وقواته كانوا يفتقدون إلى الكثير من تلك الأسلحة ، وبالرغم من ذلك ، فقد جاهدت قواته وقاومت ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً . ومن هنا نستطيع القول : أن الحروب التى حصلت بين الفريقين كانت سجالاً ، فقد عاش كل منهما ساعات نصر كما عاشا ساعات هزيمة ، ولكى ندلل على ما ذهبناإليه ، يجدر بنا أن نلقى نظرة سريعة على بعض تلك المعارك التى ستعطينا تصوراً للناحية العسكرية والموقف الحربى أنذاك .

---

(١) القوز الشاهد : هو قوز أبى العير السابق ذكره ، وقيل مكاناً قريباً منه .

(٢) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » ، مجلة العرب (الرياض : م ١ ، جـ ٥ ، السنة ٦ ، ١٣٩١هـ) ص ٢٥٧ .

ففي يوم الاثنين (٣٠ جمادى أول سنة ١٣٢٩هـ / ابريل ١٩١١م) تقابل الجيش الادريسي مع الجيوش العثمانية الحجازية المشتركة في معركة هامة فى واد يسمى وادى عجلان (١) ، وكانت قوات الشريف حسين حوالى خمسة آلاف ومائتين ، منهم ألفان من العرب والباقى من العساكر النظامية ومعهم ثمانية مدافع جبلية ومدفعان مترليوز بقيادة الأميرين عبد الله وفيصل ابنى الشريف حسين ، أما الجيش الادريسي فقد كان عدده حوالى عشرة آلاف جندى ، وبعد معركة رهيبة ، استطاعت القوات الحجازية العثمانية المشتركة من دحر القوات الادريسية وارغامها على التراجع إلى وادى حلي بن يعقوب ثم إلى مراكزها فى قوزابى العير (٢) .

وبعد يومين من هذه المعركة أى فى (الثانى من جمادى الآخره سنة ١٣٢٩هـ / مايو ١٩١١م) ، كان جيش الشريف حسين يوالى سيره نحو أبها وإذا بفرقة من القوات الادريسية قد اتخذت فى عرض الطريق مكمناً ، وكان يقودها حمود بن سرداب ، وابن خرشان ومحمد طاهر رضوان ، فاشتبكت هذه الفرقة مع قوات الشريف حسين التى كان قوامها ثلاثة طوابير عسكرية ، وفرقة من الهجانة والفرسان ، وقد استعملت البنادق لاقتحام خطوط الجيش الادريسي ولكنها فشلت فى ذلك ، وسرعان ما أحدقت القوات الادريسية بقوات الشريف حسين من كل ناحية حتى أبادت " الطوابير التركية ماعدا سبعين جندياً نجاهم الفرار " (٣) .

وفى هذه الفترة ـ وبالتحديد (فى١٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٩هـ/ مايو١٩١١م) ـ وصلت إلى ميناء القنفذة سفينتان حربيتان عثمانيتان ، فأصدر الشريف حسين أوامره

---

(١) وادى عجلان : يقع هذا الوادى فى تهامة عسير وهو خلف وادى يَبَة ، فى جنوب القنفذة ، ويصب فى البحر الأحمر .

انظر النعمى : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣٤ .

(٢) البركاتي : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٧ ـ ٣٠ ؛

النعمـى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

(٣) العقيلى : المخلاف السليماني ، جـ ٢ ، ص ص ٦٩٦ ـ ٦٩٧ .

إلى قائديها بالتوجه إلى موانئ الادريسي ـ وهي : البِرْك والشُّقَيقْ ، والمُوَسَّم [1] ـ وضربها من البحر [2] ، وتم ذلك في الوقت الذى أمر الشريف حسين قواته بمواصلة السير نحو أبها ، مع أخذ الحيطة والحذر من أية قوة ادريسية قد تواجههم فى الطريق .

وبعد معارك جانبية صغيرة ، شق الشريف حسين وقواته طريقهم عبر (ريع الحَجَّايَه) ثم (مضيق سُهُول) فوادى (بَارِقْ) فعقبة (دَهْمَاء) ثم عقبة (صَبَحْ) فعقبة (بَيْحَان) ثم عقبة (الدَّرَجَه) . وهنا دارت المعركة الأخيرة ـ قبل الوصل إلى أبها ـ تمكن فيها الجيش الحجازى العثمانى المشترك من الانتصار وتراجعت القوات الادريسية [3] .

ولما علم القائد الادريسي ـ مصطفى النعمي ـ قائد قوة الحصار ـ بسقوط عقبة الدَّرَجَه ، والهزائم المتتالية التى كانت تنزل بقوات الأدراسة على يد القوات العثمانية الحجازية المشتركة ، أدرك أنه لا يستطيع مقاومة هذه القوات ، ولا يمكنه مواصلة الحصار ، فقرر الانسحاب بقواته إلى جهة تهامة . وفى هذه الأثناء كانت القوات العثمانية الحجازية المشتركة قد وصلت إلى أبها ودخلتها فى يوم السبت (١٩ رجب سنة ١٣٢٩هـ / يونيه ١٩١١م) [4] واستقبلهم المتصرف العثمانى وقواته المحاصرة احسن استقبال ، بعد أن بلغ بهم الحصار مبلغاً لا يحسدون عليه .

والجدير بالذكر هنا أن الشريف حسين لم يقض على الثورة الادريسية قضاءً نهائياً ، بل لم يخمدها كما يجب ، لأن الثورة ظلت مشتعلة فى كل انحاء تهامة عسير ، ولم تخضع القبائل الثائرة للسيطرة العثمانية أو للشريف حسين . وقد أكد ذلك المتصرف العثمانى فى عسير عند ما يقول : « أما الحالة الراهنة فهى أن قبائل تهامة جميعاً ـ من

---

(١) البِـرْك : بلدة ساحلية فى تهامة عسير ، تقع إلى الغرب من حلى بن يعقوب .
الشُّقَيقْ : بلدة ساحلية ومرسى السفن شمال غرب جازان بحوالى ١٥٠ كيلو متراً .
المُوَسَّم : مدينة ساحلية جنوب المخلاف السليمانى على الحدود الجنوبية مع اليمن الشقيق .
انظر العقيلى : المعجم الجغرافى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٣١ ، ٤٠٢ .

(٢) البركاتى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣٥ ـ ٣٧ .

(٣) البركاتى : المرجع السابق ، ص ص ٥١ ـ ٥٥ .

(٤) البركاتى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٥٨ ـ ٥٩ .

القنفذة إلى أبي عريش الواقعة جنوب صبيا ـ كلها ثائرة متمردة ، وفي حالة الخضوع للادريسي ورجال ألمع في جملتها » [1] . ومن هنا فان مهمة الشريف حسين ـ فيما يبدو ـ لم تكن القضاء على الادريسي أو اخماد الثورة التي قام بها ضد العثمانين ، بقدر ما كانت مساعدة المحاصرين في أبها لفك حصارهم وتشتيت الثوار فقط . ولذلك فقد أدى الشريف حسين هذه المهمة دون أن يحاول القضاء على مصدر الثورة . وقد صور المتصرف العثماني في عسير هذا الدور الذي قام به الشريف حسين بقوله : " أما الطريقة التي سار فيها ـ (يعني الشريف حسين) ـ فكانت مقتصرة على شق طريق له ليمر إلى الأمام ، ثم لا يهتم بالمحافظة على خط الرجعة ، فكانت حملة الشريف أشبه بالسفينة في الماء ، يشق حزومها عباب الماء من أمام فيعود إلى الالتئام من خلف ، ولا تترك السفينة ورائها غير أثر ضعيف لا يلبث أن يبيد " [2] .

وبالرغم من هذه المساعدة التي قدمها الشريف حسين لفك الحصار عن أبها ، إلا أن هذا العمل لم يرض المتصرف العثماني الذي لم يكن يرى في ذلك أي حل لمشكلة الادريسي . بل كان يرى أنه لابد من ارسال قوة كبيرة إلى مركز الادريسي ـ صبيا ـ فتضربه هناك وتقضي عليه [3] ولكن يبدو أن آراء المتصرف العثماني لم تجد الأذن الصاغية من قبل حكومة الاتحاد والترقي ، وخاصة في هذه الفترة ، ولو أنها ستحاول فيما بعد [4] .

وبعد أن انتهت مهمة الشريف حسين في أبها ، أمر قواته بالاستعداد للعودة إلى الحجاز ، وكان ذلك في اليوم (الرابع من شهر شعبان سنة ١٣٢٩هـ/ يوليه ١٩١١م) . وقد سلك طريقاً غير الذي جاء منه ، فاختار طريق شهران وبيشة إلى الطائف . وهذا

---

(١) « بلاد العرب في مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » ، مجلة العرب (الرياض : م ١ ، جـ ٥ ، السنة ٦، ١٣٩١هـ) ، ص ٤١٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩ .

(٣) « بلاد العرب في مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » ، مجلة العرب (الرياض : م ١ ، جـ ٦ ، السنة ٦، ١٣٩١هـ) ، ص ٣٥٥ .

(٤) أنظر الفصل الثالث .

دليل آخر على أن الثوار عادوا واستولوا على الطريق الذى مر منه الشريف حسين وقواته لفك حصار أبها . فلم يستطع العودة منه لكيلا يتقابل مع القوات الادريسية مرة أخرى ، فاختار أصعب الطرق وأبعدها (١) . وأما الادريسي : فقد أمر قواته بالانسحاب من سراة عسير نحو مراكزها فى تهامة عسير - أى فى قوز أبى العير ، وحلي بن يعقوب - بينما انسحب هو من مقر رئاسته فى صبيا نحو جبال فيفا الحصينة ، تحسباً لأى هجوم مفاجئ من جانب العثمانين (٢) .

وهكذا انتهى حصار أبها دون أن ينتهى أمر الثورة ولا أمر الثوار بل سنجدهم يستعدون لجولة جديدة ضد النظام العثمانى فى عسير والمخلاف السليمانى .

والأمر الجدير بالملاحظة هنا ، أن الشعور بالعداء نحو الدولة العثمانية - فى هذه الفترة - لم تقتصر على الأدراسة فى هذه المنطقة فقط ، بل نجده يمتد إلى اليمن نفسها حيث نجد العلاقات اليمنية العثمانية تتوتر من جديد ، ويقوم الإمام يحيى بثورته المعروفة فى سنة (١٣٢٩هـ / ١٩١١م) ويحارب العثمانين حتى يحاصرهم فى صنعاء . ولذلك فان العداء المشترك للعثمانين بين الإمام يحيى ، والادريسي ، قد أدى إلى تقاربهما وتعاونهما ضد الحكم العثمانى (٣) كما سنرى .

* * *

---

(١) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » ، المرجع السابق ، ص ٤٠٦ ؛
البركاتى : مرجع سبق ذكره ، ص ٦٦ .

(٢) وثائق الخارجية البريطانية / F.O. 195 / 2376. NO. 12E خطاب من/ نائب القنصل البريطانى فى الحديده ، إلى : السفير البريطانى بتاريخ / ٢٤ فبراير سنة ١٩١١م (وثيقة سبق ذكرها) .

(٣) حراز ، السيد رجب : مرجع سبق ذكره ، ص ٩٣ ؛
سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ١٢٢ .

ثالثاً : موقف الادارسة من العلاقات العثمانية اليمنية

١ ـ طبيعة العلاقات العثمانية اليمنية حتى سنة (١٣٢٩هـ/١٩١١م) :-

لكى نعرف موقف الأدارسة من العلاقات العثمانية اليمنية ، لابد ـ أولاً ـ أن نتعرف على طبيعة هذه العلاقات ، ونبين خصائصها ومميزاتها ، لنستنتج من خلالها ذلك الموقف الذى جاء تبعاً ونتيجة لها . ولعل الفترة الطويلة ، التى قضاها العثمانيون فى اليمن حتى سنة (١٣٢٩هـ / ١٩١١م) ، تبرز لنا الخصائص والمميزات التالية :-

أولاً : الحروب والثورات : لقد كانت الحروب والثورات سمة بارزة من السمات التى تميزت بها علاقات الفريقين بعضهما ببعض ، فاليمنيون ـ ومنذ أن خضعت بلادهم للعثمانين ـ وهم فى حالة ثورة ضد الدولة العثمانية التى حاولت فرض نفسها بكل أساليب التعسف والقوة (١) . ويمكن أن نعزو ذلك للسببين التاليين :

١ ـ الاختلاف المذهبى بين الفريقين : ويتضح هذا الاختلاف ، فى كون العثمانيين سنيون ، واليمنيين ـ وخاصة سكان الجبال ـ شيعة زيديون ، ولهذا كان كل فريق ينظر إلى الآخر من هذا المنظار ، فاليمنيون يرون العثمانيين فجرة عصاة " يتركون الصلاة ، ويرتكبوا (يرتكبون) المعاصى والفجور . ويتظاهروا (يتظاهرون) باللواط وشرب الخمور " بينما كان العثمانيون ينظرون إلى اليمنيين على أنهم " أشقياء ومذهبهم زيديه .... وأنهم خارجون عن الإسلام ... " (٢) .

وإلى جانب ذلك كان اليمنيون الزيديون ـ وعلى رأسهم الأئمة ـ لا يعترفون بالخلافة العثمانية ، على اعتبار أن المذهب الزيدى يتشدد فى شروط الخلافة ـ وتسمى عندهم إمامة ـ ومن ضمنها : أن يكون علوياً ، فاطمياً ، متصل النسب بالنبى صلى الله عليه وسلم (٣) ، وهذا لا ينطبق على السلاطين العثمانين الذين تسموا بالخلفاء ، ولذلك فان

---

(١) أباظه ، فاروق عثمان : الحكم العثمانى فى اليمن ، ص ١١٩ .

(٢) الواسعى اليمانى : مرجع سبق ذكره ص ص ٢٦٣ ، ٢٧٥ .

(٣) للاستزادة أنظر :

أبو زهرة ، محمد : الإمام زيد ـ حياته وعصره ، أرؤه وفقهه (بيروت : المكتبة الإسلامية ، د . ت :) ، ص ١٩٠ .

اليمنيين ـ ولاسيما الزيديين ـ يرون فى أئمتهم ـ وهم من السلالة النبوية كما يعتقدون ـ خير من يصلح لذلك ، ولو على الأقل فى بلادهم ـ اليمن ـ .

٢ ـ الفساد الادرارى : لقد كانت الادراة العثمانية ـ فى أغلب فتراتها ـ إدارة ظالمة جائرة فاسدة ، لأن أغلب الولاة والموظفين العثمانين فى اليمن كانوا يشعرون بأنهم منفيون ومبعدون ، ولذلك كان أغلب همهم أن يستفيدوا مادياً خلال مدة اقامتهم ، فكانوا يُسَخِّرون امكانيات ادارتهم ووظائفهم لتحقيق هذه الغاية (١) ، دون النظر إلى مصلحة اليمن أو راحة اليمنيين . وليس أدل على ذلك من موقف بعض الموظفين الذين يقومون بجباية الزكاه ، فقد كانوا يأخذون ما يجمعونه لأنفسهم ، ثم يبلغون الحكومة بأن اليمنيين لم يدفعوا ما عليهم " فتأمر الحكومة بنهبهم وخراب بيوتهم واحراقها " (٢) .

ومن هنا ، كان لابد للإمامة الزيدية فى اليمن ، أن تدعوا القبائل إلى الثورة والحروب ضد الحكم العثمانى ولعل فى ثورة (١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م) التى دعا إليها الإمام يحيى وقادها لحصار صنعاء ، وما انتهى إليه ذلك الحصار من خروج العثمانين إلى السواحل ، واستلام الإمام يحيى المدينة ، خير دليل على ذلك (٣) .

ثانياً : محاولات الصلح وتهدئة الأمور: ومن الملاحظ ـ أيضاً ـ فى علاقة العثمانين باليمنيين ، سمة أخرى تبرز بجوار الحروب والثورات أو من خلالها ، وهى محاولات الصلح التى كانت تقوم بها الحكومة العثمانية مع اليمنيين وأئمتهم .

ويجب أن نقرر هنا : أن هذه المحاولات لم تكن عن قناعة بأنها الأسلوب الأمثل لحل المشكلة اليمنية والقضاء على ثورات اليمنيين ، وإنما كانت حركات دبلوماسية لتهدئة الأمور واسكات الثورات مؤقتاً ، حتى تصلح الحكومة العثمانية أمرها وتقوى حامياتها ، ثم تعود للأساليب نفسها التى كانت تثير اليمنيين ضدهم .

---

(١) أباظة ، فاروق عثمان ، الحكم العثمانى فى اليمن ، ص ١٣٢ .

(٢) الواسعى اليمانى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .

(٣) زبارة ، محمد بن محمد بن يحيى : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر ، ص ص ٧ ـ ١٩ ؛
العرشى ، حسين أحمد : مرجع سبق ذكره ، ص ٨٤ .

ولقد مرت تلك المحاولات بعدة مراحل أهمها ما يلى :

١ ـ ارسال بعض الولاة المصلحين لتهدئة الأمور فى الولاية الثائرة ، أو عقد هدنة مؤقتة ، أوالقيام بعمل اصلاحى مميز ، يرضى عنه اليمنيون : ومن أولئك الولاة المصلحين : عثمان نورى ـ الذى تولى الادارة فى اليمن سنة (١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م) ، وقد كان « عادلاً ، صالحاً ، متواضعاً ، ... كثرت فى عهده الخيرات ، وانقطعت الفتن والمحاربات ... » ، { ومنهم الوالى حسين حلمى باشا ، الذى تولى الادراة سنة (١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م) } ، وكان « عالماً يحب العلم ... قلع شجرة الرشوة ... وأسس ادارة المعارف والمكاتب وادارة المعلمين ، ... ومكتب الصنايع الاعدادية ... »(١) .

٢ ـ محاولة الصلح مع الإمام يحيى سنة (١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م) : بعد الحصار الذى فرضه اليمنيون على صنعاء سنة (١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م) ـ السابق ذكره ـ أرسلت الدولة العثمانية وفداً إلى الإمام يحيى ، للمفاوضة فى الصلح ، وذلك فى (شهر صفر سنة ١٣٢٤هـ / مارس ١٩٠٦م) ، فقدم لهم الإمام مذكرة بالشروط التى يجب أن يبنى عليها الصلح ، وقد ركز الإمام فيها ، على الاعتراف بزعامته الدينية ، واصلاح الادارة العثمانية ، ومنحه صلاحيات كبيرة فى بلاده (٢) . إلا أن العثمانيين لم يوافقوا ، واعتبروا تلك المطالب انتقاصاً لسيادتهم .

وفى السنة التالية ـ أى سنة (١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م) ـ أرسلت الدولة العثمانية إلى الإمام يحيى ، وفداً من كبار علماء مكة المكرمة ليفاوضوه فى الصلح ، فرد عليهم الإمام يحيى بجواب طويل ـ فى (١٨ شعبان سنة ١٣٢٥هـ / سبتمبر ١٩٠٧م) ، أبدى فيه رغبته ورغبة اليمنيين فى الصلح ، وتعرض لسياسة العثمانين فى اليمن ، ودور الولاة والمأمورين فى الفساد الادارى ، ثم أبدى مطالبه وشروطه وركز فيها على مطلبه الأساسى وهو الاعتراف بسيادته فى اليمن ، وزعامته الدينية (٣) . إلا أن هذه المطالب

---

(١) الواسعى اليمانى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٦٨ ، ٢٩٢ .

(٢) زبارة ، محمد بن محمد بن يحيى : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر ، ص ص ٧٤ ـ ٧٥ .

(٣) زبارة ، محمد بن محمد بن يحيى : المرجع نفسه ، ص ١٠٤ ـ ١٠٩

Wenner, Manfred, W : Modern Yemen 1918 - 1966. (Poltimore : Johon - Hopkins.), 1968. P. 46.

والشروط لم ترض الحكومة العثمانية فعادت الأمور إلى ما كانت عليه من فتن وثورات .

ولما جاء العهد الدستورى وبدأ حكم الاتحاديين ، فرح اليمنيون واستبشروا بهذا العهد الجديد ، وتوقعوا أن تُحَلَّ مشكلتهم حلاً يرضون عنه ويرتاحون من عناء الحروب والثورات . ولكن الاتحادين خيبوا ظنهم ، فقد بنوا سياستهم على المركزية والتتريك ، واستخدام العنف والقوة ضد كل الولايات الثائرة ـ ولاسيما ولاية اليمن ـ وعدم السماح لأى منها بقدر من الحكم الذاتى (١) ، وقد طبق الاتحاديون هذه السياسة ضد اليمن ، فعارضوا كل المشاريع الاصلاحية التى قدمت لمجلس المبعوثان بشأن المشكلة اليمنية . ومنها :- اللائحة التى وضعها المجلس نفسه ، والتى تنص على أن يكون للإمام يحيى وضع خاص فى المناطق الداخلية من اليمن بحيث يصبح مثل الشريف حسين فى الحجاز ، ومنها المشروع الذى قدم فى (شهر شعبان سنة ١٣٢٧هـ / ٧ أغسطس ١٩٠٩م) ، والذى ينص على تقسيم اليمن إلى ولايتين : جبلية ، وساحلية ، وتعطى الولاية الجبلية للإمام يحيى ، والساحلية إلى أحد أصحاب الكفاءة والاقتدار من العثمانين (٢) ، ومنها ـ كذلك ـ المشروع الذى قدمه النواب اليمنيون فى مجلس المبعوثان (فى شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٨هـ / ١١ مارس ١٩١٠م) والذى ينص على أن تعقد الحكومة العثمانية صلحاً مع الإمام يحيى تعترف فيه بزعامته على اليمن ، وأن يكون القضاء والزكاة حسب الشريعة الإسلامية ، وأن يكون الجيش من الأهالى ، وأن يؤسس مجلس قبلى لحل المنازعات الداخلية ، وغير ذلك مما اشتمل عليه المشروع (٣) ، ولكن هذه المشاريع الاصلاحية كلها لم تقنع الاتحاديين بعمل شيئ لاصلاح اليمن وحل المشكلة اليمنية ، فعادت الثورات والحروب ، واشتد العثمانيون فى تطبيق سياسة العنف والقوة لاخضاع الثوار اليمنيين للحكم العثمانى ، فكان ذلك دليلاً على أن محاولات الصلح لم تكن إلا موقفا دبلوماسياً يسلكه العثمانيون لتهدئة الأمور فى اليمن ، كلما شعروا بضعفهم أو ضعف حامياتهم هناك ، أو كلما أحسوا بالخطر من حولهم .

---

(١) منسى ، محمود صالح : مرجع سبق ذكره ، ص ٢١٤ .

(٢) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ص ٩٧ ـ ٩٩ .

(٣) برو ، توفيق على : العرب والترك فى العهد الدستورى (القاهرة : معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٠م) ، ص ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ .

وأخيراً نستطيع القول : بأن العلاقات العثمانية اليمنية قد تميزت بخاصيتين اثنتين ، وهما : الحروب والثورات من قبل اليمنيين ، ومحاولات الصلح من قبل العثمانين ، وقد استمرت على ذلك حتى سنة (١٣٢٩هـ / ١٩١١م) عندما عقدت الدولة العثمانية مع الإمام يحيى صلح دعان . ويمكننا الآن أن نتبين موقف الادراسة فى عسير والمخلاف السليمانى من تلك العلاقات .

٢ ـ موقف الأدارسة من العلاقات العثمانية اليمنية :

عندما ظهر السيد محمد الادريسي فى عسير والمخلاف السليمانى ، كانت هذه المنطقة تعيش ظروفاً مشابهة للظروف التى كانت تعيشها منطقة اليمن تحت ظل الحكم العثماني ، ومن هنا نجد أن هذه الظروف قد فرضت على قطبى الحركة فى هاتين المنطقتين نوعاً من التقارب ، الذى أصبح ـ بعد فترة وجيزة ـ نوعاً من التحالف والاتحاد والعمل ضد العثمانين فى كلتا المنطقتين لطردهم والاستقلال عنهم . وقد أمكن العثور ضمن وثائق العهد الإدريسي على ما يشير إلى ذلك التقارب والتعاون ، ففى رسالة من الادريسي إلى أحد القضاة فى جبل النظير نجده يقول : " .. وأما الإمام (يعنى يحيى حميد الدين) حفظه الله ، فالاتفاق بيننا وبينه حاصل باتحاد الدعوة ، ويكون عدونا واحد ، ولاسيما فى مقاتلة هؤلاء الأعجام (يعنى الاتراك العثمانيين) ، وقد وجب أن يكون رأينا واحداً إن سلماً أو حرباً ، ولا أضر عليهم من هذا ، وما قدرهم بإذن الله فى نار عربية تتلظى عليهم من قرب صنعاء إلى مكة ، والخطابات بيننا وبين الإمام دائرة بهذا الخصوص ، وسيعقد الاتفاق قريباً إن شاء الله تعالى ... " ـ إلى أن يقول ـ " ... وبحمد الله نحب المدافعة عن الأمام كما نحب لأنفسنا ، لأن الإمام عربى ، أدخل عليهم الرعب من السطوة العربية ، وأقر بذلك عيون أخوانه فى الدِّين ... " (١) .

والذى يظهر لنا من خلال هذه الوثيقة ، أن هناك اتفاقاً بين الادريسي والإمام يحيى ،

---

(١) وثائق محلية (ادريسية) :

خطاب من : محمد بن على بن إدريس . إلى : القاضى مطهر بن عبد الله ـ قاضى جبل النظير . بتاريخ ربيع الأول سنة ١٣٢٩ هـ .

نقلاً عن : العقيلى : المخلاف السليماني ، جـ ٢ ، ص ص ٧٩٤ ـ ٧٩٦ .

والسبب : وجود العدو المشترك وهم العثمانيون ، ووجود الغاية المشتركة وهى محاربتهم حتى يخرجوا من المنطقة . كما يظهر ـ أيضاً ـ أن الزعيمين كانا يسعيان لاشعال نار عربية ضد العثمانيين ، تمتد من صنعاء ، وتعبر عسير والمخلاف السليمانى ، حتى تصل إلى مكة المكرمة ، وأنهما يتبادلان الرسائل من أجل تحقيق هذه الأهداف . وأخيراً فإن الادريسى كان يتابع بشئ من الفرح والسرور أخبار الثورات اليمنية ضد العثمانين وموقف الإمام يحيى الذى أدخل على العثمانين الرعب وأقر بذلك عيون اخوانه فى الدين كما يقول فى الرسالة السابق ذكرها .

ولقد تأكد ذلك التقارب والتحالف ضد العثمانين ، عندما قامت الجيوش الادريسية ـ (فى شهر صفر سنة ١٣٢٩هـ / ١٥ فبراير ١٩١١م) ـ بحملة هجومية على قافلة عثمانية كانت فى طريقها إلى اليمن ، واستولوا عليها . وكانت مكونة من ثمانين جملاً محملة بالمؤن والذخائر . ولما علمت القيادة العثمانية فى اللُّحَيَّة بذلك ، أرسلت فرقة عسكرية لمقاومة الأدراسة واسترداد القافلة ، ولكنها منيت بهزيمة كبيرة حيث قتل من جنودها حوالى خمسين رجلاً (١) .

ومن المواقف التى يجب أن نسجلها هنا ـ وهى تؤكد مدى التعاون بين الأدراسة واليمنيين ـ تزامن الثورتين اللتين قاما بهما ضد العثمانين فى عسير واليمن ـ فى أواخر سنة (١٣٢٨هـ / ١٩١٠م) وأوائل سنة (١٣٢٩هـ / ١٩١١م) ـ ، فقد حاصرت القوات الادريسية مركز المتصرف العثمانى أبها ـ ، فى نفس الوقت تقريباً ـ الذى حاصرت فيه جيوش الإمام يحيى مقر الوالى العثمانى ـ صنعاء (٢) ـ ، الأمر الذى جعل الدولة العثمانية ترسل جيشاً خاصاً إلى كل منهما فى فترة واحدة ـ أيضاً ـ . فقد أرسلت الشريف حسين وقواته الحجازية مع جيش عثمانى آخر إلى عسير ، وأرسلت إلى اليمن القائد العثمانى عزت باشا مع قوات كبيرة ، وتشير بعض الوثائق البريطانية إلى أن

---

(١) وثائق الخارجية البريطانية : No. 21 E. F. O. 195 / 2376.

خطاب من : نائب القنصل البريطانى فى الحديده . إلى : السفير البريطانى فى الأستانه ، بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩١١م . (وثيقة سبق ذكرها) .

(٢) حراز ، السيد رجب : مرجع سبق ذكره ، ص ٩٣ .

هذا القائد العثمانى قد مر – فى طريقه إلى صنعاء – بجده ، حيث اجتمع بالشريف حسين لمدة ساعتين تقريباً ، ويبدو أنهما اتفقا على أن يخرج الشريف حسين إلى عسير (١) .

وهكذا يتضح لنا أن هناك تعاوناً وتحالفاً واتحاداً بين الأدارسة فى عسير والإمامة الزيدية فى اليمن ضد العثمانيين . وقد استمر هذه التعاون فى الفترة من (١٣٢٦ – ١٣٢٩هـ / ١٩٠٨ – ١٩١١م) على أحسن ما يكون ، وقد كان موقف الأدارسة خلال ذلك التعاون والتحالف – موقفاً إيجابياً . ولكن الشيئ الذى يؤسف له ، أن هذه العلاقات الحسنة لم تدم طويلاً ، فلم تلبث أن تغيرت واعتراها التبدل ، بعد أن عقدت الدولة العثمانية مع الإمام يحيى صلح دعان سنة (١٣٢٩هـ / ١٩١١م) كما سنرى .

* * *

(١) وثائق الخارجية البريطانية : No. 10. F. O. 195 / 2376.

من : القنصل البريطانى فى جده . إلى : السفير البريطانى فى الأستانه ، بتاريخ ٨ مارس ١٩١١م .

(أنظر الملحق وثيقة رقم ٤) .

الفصلُ الثالِث

صلح دعان وآثره فى العلاقات العثمانية الإدريسية

(١٣٢٩ ـ ١٣٣٣هـ / ١٩١١ ـ ١٩١٤م)

أولاً : الصلح بين العثمانيين والإمام يحى :ـ

١ ـ العوامل والظروف المساعدة .

٢ ـ اتفاقيه الصلح والتعليق عليها .

ثانياً : أثر الصلح على علاقات الأدارسة بالإمام يحى :ـ

١ ـ صلح دعان ونقطة التحول فى العلاقات .

٢ ـ النتائج المترتبة على تغيير العلاقات .

ثالثاً : أثر الصلح على علاقات الأدارسة بالعثمانيين :ـ

١ ـ التحالف الإيطالى الإدريسى .

٢ ـ المساعى العثمانية للصلح مع الأدارسة .

أولاً : الصلح بين العثمانيين والإمام يحى

١ ـ العوامل والظروف المساعده :

لقد عاشت الدولة العثمانية ـ فى الفترة من سنة (١٣٢٩ ـ ١٣٣٣هـ/ ١٩١١ ـ ١٩١٤م) ـ ظروفاً سياسية صعبة ، فقد صادفت الكثير من المشاكل الداخلية والخارجية ، وتعرضت لكثير من الأزمات التى بدأت تهدد كيانها من كل جانب . وكان من ضمنها : الحروب البلقانية ، التى حاولت فيها الولايات البلقانية أن تستقل عن الدولة العثمانية ، وانفصال بلغاريا ، ومحاولات اوربا لاقتسام الأملاك العثمانية (١) .

على أن أعنف الظروف وأقساها : هو الغزو الايطالى على ليبيا ، والذى بدأ فى نفس الفتره التى كان اليمنيون يعلنون ثورتهم وحصارهم لصنعاء سنة (١٣٢٩هـ/١٩١١م) . ولذلك كان لزاما على الحكومة العثمانية أن تستجيب لهذه الظروف التى داهمتها ، وتغير من سياستها تجاه اليمن ، فقررت أن تعقد مع الامام يحيى صلحا تضمن به اليمن الى جانبها ، وتتفرغ لمشاكلها وأزماتها . وقد ساعد على هذا النهج العثمانى الجديد بعض العوامل والظروف ـ اضافة الى ما ذكر ـ يمكن أن نبينها فيما يلى :

١ ـ حصار صنعاء سنة (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م) : ـ

عندما أدرك اليمنيون المواقف الحقيقية للدولة العثمانية وحكومة الاتحاديين من القضية اليمنية ، وأنهم يسعون بكل وسائل العنف والقسوة لفرض سيطرتهم ، وتطبيق سياستهم المركزية ، والقضاء على الحكم الزيدى فى اليمن ، قرروا أن يقاوموا هذه المواقف ، وأن يضعوا بأنفسهم حلا لجميع هذه المشكلات . وكان السبيل الى ذلك هو الحروب والثورات .

وقد عاشت اليمن فى أواخر سنة (١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م) وأوائل سنة (١٣٢٨هـ / ١٩١١م) ، مرحلة حاسمة من الثورات العنيفة فى عهد الإمام يحيى حميد الدين ـ (١٣٢٢ ـ ١٣٦٨هـ/ ١٩٠٤ ـ ١٩٤٨م) ـ حيث نادى فى القبائل اليمنية بالثورة والجهاد ضد العثمانين ، فاستجابت القبائل لذلك النداء ، وزحفت صوب صنعاء من كل

---

(١) أباظة ، فاروق عثمان : الحكم العثمانى فى اليمن ، ص ١٨٠ .

اتجاه ، وفرضت عليها حصاراً شديداً فى (أواخر شهر ذى الحجة ١٣٢٨هـ/ ديسمبر ١٩١٠م)، واستمر حتى (شهر ربيع الثانى ١٣٢٩هـ/ أبريل ١٩١١م) . أى حوالى أربعة أشهر تقريبا ـ (١) عانى فيها العثمانيون أشد أنواع التعب والارهاق حتى خشيت الحكومة العثمانية على مستقبلها فى اليمن ، فأصدرت أوامرها بتوجيه حملة كبيرة الى اليمن يقودها أحمد عزت باشا ومنحته صلاحيات واسعة لحل المشكلة اليمنية بالطرق السلمية بعد أن يفك حصار صنعاء بالطرق العسكرية . وكانت هذه الحملة تضم شخصيات عسكرية ومدنية كان لها دور كبير فى اقرار الأمور فى اليمن ، مثل عزيز على المصرى ، وسليم الجزائرى ـ وكانا من خيرة الضباط العرب في الجيش العثمانى ـ وعصمت باشا ـ الذى أصبح رئيسا للجمهورية التركية بعد ذلك (٢) ، ومحمود نديم بك ـ الذى تولى ولاية اليمن عقب الصلح ـ ، اضافة الي القوات العثمانية المرابطة فى الحديدة وغيرها من المدن اليمنيه ، وهذا يدل دلالة أكيدة على النية القوية لدى العثمانين للقضاء على الثورة اليمنية .

ولما تجمعت القوات العثمانية في الحديدة توجه بها عزت باشا نحو صنعاء ، وعلى طول الطريق بين الساحل والداخل ، نشبت معارك مع الثوار اليمنيين ، تمكنوا في بعضها من الانتصار ، الأمر الذى جعل قائد الحملة ـ عزت باشا ـ يقول : " لوأن للدولة ألف رجل من هؤلاء الرجال لأخذنا أوربا بأسرها " (٣) ، وبالرغم من ذلك فقد وصلت الحملة الى صنعاء وعجزت القوات اليمنية المحاصرة عن مقاومتها فاضطر الامام يحيى لسحب قواته ، فى الوقت الذى دخلت فيه القوات العثمانية صنعاء ، معلنة فتحها وفك حصارها وانهاء الثورة اليمنيه ، وكان ذلك فى (السادس من شهر ربيع الثانى سنة (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م) .

٢ ـ دور عزت باشا وأركان حربه لعقد الصلح :

بعد أن تمكن عزت باشا من تحقيق أولى مهماته وقضى على الثورة اليمنية ، قرر

---

(١) زياره ، محمد بن محمد بن يحيى : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر .. ، ص ١٨٥ .

(٢) سعيد ، أمين : اليمن ـ تاريخه السياسى منذ استقلاله فى القرن الثالث الهجرى . (القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابى الحلبى وشركاه ، د . ت .) ، ص ٣١ .

(٣) الواسعى اليمانى : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٨٧ .

البدء فى المرحلة التالية من تلك المهمات وهى تحقيق الصلح . ويبدو أن الدولة العثمانية قد اقتنعت ـ أخيرا ـ بأن الطريق الأسلم لحل المشكلة اليمنية هو طريق الصلح ، ولا شك أن المشاكل والأزمات ـ السابق ذكرها ـ قد فرضت عليها هذا الاقتناع فقد وجدت نفسها امام خيارين : فإما أن تواصل سياستها فى اليمن وهى سياسة التتريك والمركزيه ، واخماد الثورات بالعنف والقوة ، مع ما يكلفها ذلك من خسائر ، وإما أن تلجأ الى طريق الصلح والسلم ، وهو الطريق الذى سيوفر على الدولة جهدها وأموالها وقواتها . فكان الخيار الثانى هو الذى يمكن أن يحقق للدولة العثمانية بعض ما تريده من اليمن كولاية تابعة لها ، ولذلك جاء اختيار عزت باشا لطريق الصلح والسلم فكان اختياراً منطقياً ومتمشياً مع الواقع ، ومستجيباً للحظة التاريخية التى تعيشها اليمن والدولة العثمانية (١) ، لاسيما وأنه جاء بعد انتصار عسكرى على القوات اليمنيه . فأثبت بذلك أن الدولة العثمانية ، بقدر ما هى قوية وقادرة على انهاء كل المشاكل والثورات بالقوة والحروب ، فهى مستعدة للتفاهم وحل المشاكل بالطرق السلميه . فحفظ بذلك كرامة الدولة العثمانية وعلو مكانتها (٢) .

وقد استعان عزت باشا في مهمته ببعض الشخصيات اليمنية التى وسّطها للصلح لدى الامام يحيى ، أمثال حسين على العمرى ، وقاسم بن حسين العزى أبو طالب ، وقد قاما بدور كبير فى تقريب وجهات النظر بين عزت باشا والامام يحيى (٣) ، كما استعان بأركان حربه ، الذين قاموا ـ أيضا ـ بجهود كبيرة لتحقيق الصلح ، ولا سيما عزيز المصرى (٤) الذى زار الامام اكثر من مره وتمكن من اقناعه بوجوب الصلح ، مستخدما

---

(١) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ص ١٢٥ ـ ١٢٧ .

(٢) أباظة ، فاروق عثمان : الحكم العثمانى فى اليمن ، ص ٢٨٠ .

(٣) الحداد ، يحيى بن على ناجى : عمدة القارى فى سيرة امام زماننا سيف البارى ، (مخطوط) . ص ٩٣.

(٤) احدى الشخصيات العربية المهمه فى الجيش العثمانى ، تلقى تعليمه العسكرى فى الاستانه ، وأصبح من اعضاء الاتحاد والترقى ، شارك فى أحباط الانقلاب المضاد سنة ١٩٠٩م وكان له دور كبير فى الحرب الايطاليه التركية فى ليبيا ١٩١١ ـ ١٩١٢ كما كان له دوره الكبير في عقد الصلح مع الامام يحيى ،
انظر مزيدا من التفاصيل فى :
منسى ، محمود صالح ، حركة اليقظة العربية فى الشرق الاسيوى ، ص ص ١٧٥ ـ ١٨١ .

فى ذلك الأساليب الدينية التى تتمشى مع طبيعة الامام يحيى (١) ، والوالى محمود نديم بك (٢) الذى اعتمد عليه عزت باشا كثيراً فى التفاوض مع الامام حتى استطاع أن يذيب كل الخلافات التى اعترضت طريق الصلح (٣) .

ومما سهل جهود عزت باشا وأركان حربه ، تدخل بعض الشخصيات العربية للتوسط والتوفيق بين العثمانيين والامام يحيى ، حيث قامت هذه الشخصيات بما يمكن أن نسميه (المساعي الحميده) ، ومنهم الشريف حسين ـ شريف الحجاز ـ ، والسلطان أحمد العبدلى ـ سلطان لحج ـ ، حيث قام الأول فى (شهر ربيع الأول ١٣٢٩هـ/ مارس ١٩١١م) وأرسل كتابا للسلطان العبدلى يرجوه فيه أن يتصل بالإمام يحى ويحاول اقناعه بضرورة التفاهم مع الحكومة العثمانية ، وقد استجاب السلطان العبدلى ورد على الشريف حسين برسالة أخرى تحتوى على ذلك المعنى . وفى الوقت نفسه أرسل الشريف حسين كتابا الى الإمام يحى أوضح فيه دقة الموقف الذى تمر به الدولة العثمانية ، ويدعوه للتفاوض مع عزت باشا والاتفاق معه (٤) ، وقد نجحت هذه المساعى حيث اقتنع الامام يحى ووافق على الصلح ، وبهذا يكون للجهود التى قام بها عزت باشا وأركان حربه اكبر الأثر فى تحقيق صلح دعان .

٣ ـ موقف الأدارسة فى عسير والمخلاف السليماني :

لقد كان للموقف الحربى فى عسير والمخلاف السليمانى والذى كان يقوده السيد محمد الادريسى ضد الدولة العثمانية ، دور فى التمهيد لذلك الصلح ، فعندما وجدت الدولة العثمانية نفسها محاطة بالأخطار الداخلية والخارجية ، ولا سيما الحرب الايطالية فى ليبيا ، والثورة اليمنية فى صنعاء ، والادريسية فى عسير والمخلاف السليمانى ـ والتى كانت متضامنة ومتحالفة مع ثورة الامام يحيى ـ أرادت أن تقوم بسياسة (فرق تسد)

---

(١) برو ، توفيق على : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣٩ .

(٢) شخصية عربية من سوريا ، شارك فى هذه الحملة كرجل مدنى ، وتولى ولاية اليمن بعد صلح دعان ، وظل فى خدمة اليمن حتى بعد الاستقلال وخروج العثمانين بعد الحرب العالمية الأولى .
أنظر : سالم ، السيد مصطفى ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٠ .

(٣) يعقوب ، هاورلد . ف : مرجع سبق ذكره ، ص ٧٨ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٤٥ .

لتضمن أحد الفريقين الثائرين الى صفها ، وتتفرغ للقضاء على الآخر . فكان اتجاهها نحو الامام يحيي لعقد الصلح معه ، وتجعل هدفها ـ بعد ذلك ـ السيد محمد الادريسي لتقضي على ثورته .

هذا من جانب العثمانيين ، أما من جانب الامام يحيى ، فيبدو أن العوامل التى دفعته لهذا الصلح تتمثل فيما يلى :

١ ـ وجود المنافسين له فى الامامه : فالمعروف أن المذهب الزيدى يبيح تعدد الأئمة فى الأقاليم المختلفة (١) ، ولذلك نجد الامام يحيى ـ منذ توليه الحكم فى اليمن ـ وهو يعانى من المنافسين أمثال أحمد قاسم الضحيانى ، وأسرة آل شرف الدين ، والقاسمى ، وقد استمرت هذه المنافسة حتى عقد صلح دعان . ومن هنا كان وجود المنافسين يشكلون خطرا على الامام يحيى الذى كان لزاما عليه أن يحاربهم فى نفس الوقت الذى يحارب فيه العثمانيين ، ولما أدرك صعوبة موقفه قرر أن يوافق على الصلح لتأكيد شخصيته التاريخية أمام العثمانيين والتفرغ لمنافسيه (٢) .

٢ ـ احساسه بقوة العثمانيين وضعفه أمامهم : بالرغم من موقف الامام يحيى وقواته اليمنية فى سنة (١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م) ضد القوات العثمانية ودخوله صنعاء ، وبالرغم من حصاره لها بعد ذلك فى سنة (١٣٢٩هـ / ١٩١١م) ، الا أن ذلك لا يعنى قوته والاعتزاز بها بقدر ما يعني الضعف الذى كانت تعانيه القوات العثمانية ولذلك كان سرعان ما ينسحب الامام وقواته الي المعاقل الجبلية عندما ترسل الدولة العثمانية نجداتها . وهذا يدل على احساس الامام بضعفه العسكرى أمام القوات العثمانية . ومن هنا كان الامام يرغب فى الصلح ويسعى اليه (٣) .

وهكذا تجمعت هذه العوامل والظروف لتؤدى ـ فى النهاية ـ الى عقد صلح دعان بين الحكومة العثمانية ـ ويمثلها عزت باشا ـ واليمنيين بقيادة الامام يحيى ، وذلك فى سنة (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م) .

---

(١) أبوزهرة ، محمد : مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٩٣ ـ ١٩٤ .

(٢) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ص ٣٧ ، ١٣٧ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

٢ ـ اتفاقية الصلح والتعليق عليها :

عرفنا فيما سبق ، أن عزت باشا قد استفاد من بعض الشخصيات اليمنية للقيام بدور الوساطة بينه وبين الامام يحيي ، وقد نجحت هذه الخطة حيث كان الوسطاء يحملون الكتب والرسائل من عزت باشا ، والتى تبين وجهة النظر العثمانية ، الى الامام يحيى فى مقر اقامته فى (خَمِرْ) (١) ويعودون الى صنعاء حاملين جوابات الامام يحيي ومرئياته والتى تبين ، وجهة النظر اليمنية .

وقد استمرت هذه الزيارات والمقابلات حوالى ستة أشهر (٢) ، وانتهت ـ أخيرا ـ بموافقة الامام يحيي على الصيغة المبدئية للصلح ، والاجتماع بعزت باشا لا ستكمال المفاوضات ، ومناقشة الأمور التى لم يتوصل اليها الطرفان ، وتقرر أن يتم اللقاء فى قرية تسمى (دَعَّان) (٣) . ولذلك أصدر الامام يحيى أوامره الى رجال قبائله للاستعداد لهذه المناسبة ، وتهيئة المنازل التى سيقيم فيها الوفدان (٤) ، ثم توجه الامام الى هذه المدينة ليكون فى استقبال العثمانيين ، وكان يصاحبه مجموعة من العلماء وكبار الشخصيات الزيديه للمشاركة فى المفاوضات (٥) .

ولما وصل الوفد العثمانى ، واستقبله الامام يحيى ورجال قبائله بمايجب من الاحترام ، بدأت الاجتماعات والمفاوضات ، والتى استمرت عدة أيام ، وانتهت ـ أخيراً ـ باقرار شروط الصلح ، والتوقيع عليها من قبل عزت باشا والامام يحيى ، تمهيدا لرفعها الى العاصمة العثمانية للتصديق عليها ، وكان ذلك فى (٢٦ شوال سنة ١٣٢٩هـ / سبتمبر ١٩١١م) (٦) ، وقد نصت هذه الشروط على ما يلى :ـ

١ ـ عقد الاتفاق بين الامام المتوكل على الله يحيى بن محمد حميد الدين ، وبين قائد

---

(١) خَمِرْ : احدى المدن اليمنية تقع الى الشمال من صنعاء بحوالى ٤٠ كيلو .

(٢) زياره : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر ... ، ص ١٩٩ .

(٣) دَعَّان : احدى المدن اليمنيه ، وتقع شمال غرب صنعاء على بعد ٥٥ كيلو تقريبا .

(٤) الواسعى اليمانى : مرجع سبق ذكره ، ص ٣٢٠ .

(٥) الحداد ، يحيى بن على ناجى : عمدة القارى فى سيرة إمام زماننا سيف البارى . (مخطوط) ، ص ٩٤ .

(٦) زياره : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

الحملة اليمانية ، عزت باشا ، على اصلاح أمور بلاد صنعاء ، وعمران ، وكوكبان ، وحجور ، وأنس ، وذمار ، وحراز وتعز ، التى يقطنها الزيديون الذين هم تحت ادارة الدولة .

٢ ـ ينتخب الامام حكاما لمذهب الزيدية ، ويبلغ الولاية بذلك ، وهذه تخبر الأستانه ، لتصديق المشيخة على ذلك الانتخاب .

٣ ـ تشكيل محكمة استئنافية للنظر فى الشكاوى التى يعرضها الامام .

٤ ـ يكون مركز هذه المحكمة صنعاء ، وينتخب الامام رئيسها واعضائها وتصدق على تعيينهم الحكومة .

٥ ـ يرسل الحكم بالقصاص الى الأستانه للتصديق عليه من المشيخه وصدرور الاراده السنية به ، وذلك بعد أن يسعى الحاكم فى التراضى ولا يفلح ، ولا ينفذ الحكم الا بعد التصديق ، وصدور الاراده ، بشرط أن لا يتجاوز أربعة أشهر .

٦ ـ اذا أساء أحد المأمورين من الحكام والعمال استعمال الوظيفة ، يحق للامام أن يبين ذلك للولاية .

٧ ـ يحق للحكومة أن تعين حكاما للشرع من غير اليمانيين فى البلاد التى يسكنها الذين يتمذهبون بالمذهب الشافعى والحنفى .

٨ ـ تتشكل محاكم مختلطة من حكام الشافعية والزيديه للنظر فى دعاوى أصحاب المذاهب المختلفة .

٩ ـ تعيين الحكومة محافظين تحت اسم مباشرين للمحاكم السياره التى تتجول فى القرى ، لفصل الدعاوى الشرعية وذلك دفعا للمشقات التى يتكبدها أرباب المصالح فى الذهاب والاياب الى مراكز الحكومه .

١٠ ـ تكون مسائل الوقف والوصايا منوطة بالامام .

١١ ـ صدور عفو عام عن الجرائم السياسية والتكاليف (الضرائب) الأميرية التى سلفت .

١٢ - عدم جباية التكاليف الأميرية لمدة عشر سنوات من اهالى أرحب وخولان ، لفقرهم وخراب بلادهم ، على شرط أن يحافظوا على صداقتهم وارتباطهم التام بالحكومة .

١٣ - تؤخذ التكاليف الأميرية بحسب الشرع .

١٤ - اذا حصلت الشكوى من جباة الأموال الأميرية لحكام الشرع أو للحكومة فعلى هذه أن تشترك مع الحكام فى التحقيق وتنفذ الحكم الذى يحكم به عليهم .

١٥ - يحق للزيدية تقديم الهدايا للامام ، إمَّا تَوّاً ، وإما بواسطة المشايخ أو الحكام .

١٦ - على الامام أن يسلم عشر حاصلاته للحكومة .

١٧ - عدم جباية الأموال الأميرية من أهالى جبل الشرق (١) لمدة عشر سنوات .

١٨ - يخلى الامام سبيل الرهائن الموجودين عنده من أهالى صنعاء وماجاورها ، وحراز ، وعمران .

١٩ - يمكن لمأمورى الحكومة ، وأتباع الامام أن يتجولوا فى انحاء اليمن بشرط أن لا يَخِلوُّا بالسكينة والأمن .

٢٠ - يجب على الفريقين أن لا يتعديا الحدود المعينة لهما بعد صدور الفرمان السلطانى بالتصديق على هذه الشروط " . (٢)

ومما يجدر ذكره أن هذه المعاهدة قد تعرض لها المؤرخون والباحثون بالنقد والتحليل والتعليق . ويظهر من خلال ذلك أن الآراء التى توصلوا اليها لا تخرج عن قسمين :

قسم يؤيد هذه المعاهدة ، والقسم الثانى يعارضها . ونود هنا أن نلقى نظرة سريعة وموجزة على أهم آراء الفريقين ، لنصل - بعد ذلك الى الرأى الذى نعتقده ونميل اليه .

---

(١) جبل كبير فى اليمن ، جنوب غرب صنعاء ، على بعد حوالى ٩٠ كيلو متر .

(٢) زبارة : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر ، ص ص ٢٠٤ - ٢٠٦ .

أولاً : أراء المؤيدين :

لقد أشادت بعض المخطوطات والكتب اليمنية بهذه المعاهدة ، واعتبرتها من الفرص الكبيره التى استفاد منها الإمام يحيى لتثبيت أقدامه فى اليمن ، حيث بعث ـ على إثرها ـ بعماله الى النواحى والأقاليم اليمنية ، وبدأ فى تنفيذ أحكام الشريعة الاسلامية ، فهدأت بذلك الفتن والثورات وأصبحت الحياة فى المناطق الزيدية هادئة ومستقرة (١) .

كما يرى فيها البعض أنها كانت استجابة منطقية للواقع اليمنى ، كما أنها اعتراف بواقع الزيود وهم أصحاب جذور عميقة ، وأنها التقاء بين رغبة الفريقين ـ العثمانى واليمنى ـ لكى يعترف كل منهما بوضع الآخر وحقوقه وأنها تحمل جوهر وخلاصة عروض الأئمة السابقين ، وأنها ـ أخيرا . خلقت حالة سلمية في اليمن لمدة عشر سنوات بين قوتين تتحكمان فى مجرى الأحداث هناك ، وأن هذه الحالة السلمية المعترف بها بين الجانبين تكفى أن تكون الكسب الوحيد من هذه المعاهدة (٢) .

وبالاضافة الى ذلك فان هذه المعاهدة ـ فى رأى البعض ـ قد جعلت من الامام يحيى حاكما مستقلا ، ويستطيع أن يعقد أية اتفاقية مع أية حكومة يريدها (٣) .

أما من ناحية الدولة العثمانية فان هذا الفريق من المؤيدين يرى أن هذه المعاهدة قد هيأت للجيش العثمانى عضدا قويا يبلغ عدده ثلاثة ملايين ، لان الامام يحيى يحكم على هذا العدد (٤) .

ثانياً : أراء المعارضين :

وكما وجدنا فى الآراء السابقة من أشاد بالمعاهدة من اليمنيين وغيرهم ، وجدنا منهم أيضاً من عارضها، واعتبرها معاهدة غير ناجحة على أساس أن هذا الصلح الذى «اعتبر

---

(١) الجندارى ، أحمد بن عبد الله : الجامع الوجيز ... ، (مخطوط) . ص ٢١٧ ؛
الحداد ، يحيى بن على ناجى : عمدة القارى ... ، (مخطوط) . ص ١٠٠ ؛
الواسعى اليمانى : مرجع سبق ذكره ، ص ٣٢١ ؛
زباره : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠٧ .

(٢) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ص ١٤٩ ـ ١٥٦ .

(٣) اللواء ، العدد ٣٧٧٩ ، محرم ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢/١/٧م ، ص ١ .

(٤) المنار ، م ١٥ ، جـ ٢ ، العدد ١ ، صفر ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢/٢/١٨م ص ص ١٣٨ ـ ١٤٨ .

نصراً مؤزراً [لم يكن في الواقع] الا فشلا ذريعا لا يمكن أن يحسب عند التحقيق مردودا مقبولا لمعركة منتصرة " (١) . وأن هذه المعاهدة كانت " عملا خيانيا [لمصالح الشعب الطامح] لا نتزاع الاستقلال الكامل دون شروط ... وأن الإمام يحيى أبقى على الاحتلال العثماني لقاء احتفاظه ببعض المناطق تحت حكمة (٢) وان هذه المعاهدة لم تحقق لليمنيين ما كانوا يرجونه ، وأن الامام يحيي لم يكن يطمع في اكثر مما أعطى له فيها « وما البنود التى شملت تصحيح الفساد العثماني والحصول على بعض المكاسب الاقشور خارجيه » (٣) .

كما يرى هذا الفريق من المعارضين أن هذه المعاهدة قد انصبت على ناحية القضاء الشرعى وليس للإمام أى تعلق بالادارة المدنيه ، وأن كل المعطيات للإمام يحيى والتى تعتبر مكاسب ، كانت مقيدة بسلطة الآستانة التى لم تكن محدده ، وأن بعض المواد لم تعط الإمام اكثر من دور الشاكى فى حين احتفظت الدولة العثمانية بحق اعطاء الكلمة الأخيرة والموافقة الرسمية على قرارات الإمام يحيى ، وأنه لا يوجد أى نص - فى المعاهدة - يحدد موقف الإمام يحيى أو حقوقه وصلاحياته اذا رفضت الدولة العثمانية تأييد وجهة نظره ، وأن هذه المعاهده - أخيرا - لم تشر الى أى شيئ من الادارة المالية والمشروعات الحيويه ، ولهذا فانها لا يمكن أن تحل مشاكل اليمن حلا حاسما (٤) .

ويذهب البعض - من هؤلاء المعارضين - الى حد القول بأن العثمانيين قد عقدوا صلحا غير مجيد مع الإمام يحيى بعد أن رشوا زعماء الثورة ووعدتهم باصلاح اليمن (٥) .

---

(١) الوزير ، زيد بن على : محاولة لفهم المشكلة اليمنية . (د . ت) ، ص ٥٥ .

(٢) مقبل ، سيف على : من تاريخ المقاومة الشعبية اليمنية فى العصور الحديثه . مقال بمجلة الحكمه ، صنعاء : العدد ٧٨ ، السنه ٩ ، يناير - مارس ١٩٧٩م . ص ص ٣٢ - ٤٣ .

(٣) مطهر ، محمد محمد : صلح دعان - تحليله وأثاره على العلاقات الاماميه العثمانية . مقال بجريدة الثورة ، صنعاء : العدد ٣٤ ، الملحق الأسبوعى ، الخميس ١٩٨٠/٧/٣١م . ص ٣ .

(٤) برو ، توفيق : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٤٢ - ٢٤٣ ؛
أباظه ، فاروق عثمان : الحكم العثمانى فى اليمن ، ص ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٥) المنار ، م ١٥ ، جـ ٢ ، عدد ١ ، صفر ١٣٣٠هـ / ١٩١٢/٢/١٨م ، ص ١٠٦ .

وبعد استعراض آراء الفريقين ، يمكن أن نوضح موقفنا من هذه المعاهده ، وذلك من خلال التحليل التالي لأهم مواد شروط الصلح . فالذى نراه أن المعاهدة لم تشمل البلاد اليمنية كلها ، وانما خصت المدن والقرى الزيديه والتى يوجد فيها أقليات زيدية أيضا ، وهى ـ كما جاء في الشرط الأول : صنعاء ، عمران كوكبان ، حجور ، أنس ، ذمار ، رداع ، حراز ، تعز . وهذا يعنى أن المعاهدة قسمت اليمن قسمين ، قسم عثمانى ، وقسم زيدى تحت اشراف الإمام يحيى . ولكن هذا التقسيم لا يعنى استقلال الإمام يحيي بالقسم الزيدى ، بل هو خاضع للقسم العثمانى . وأكدت فى اخر الشرط نفسه ـ بأن هذه البلاد الزيدية لم تزل تحت الادارة العثمانية ولم تنفصل عنها . كما اكدت ذلك عندما سمحت لمأمورى الحكومة واتباع الإمام يحيي بالتجول في انحاء اليمن شريطة المحافظة على الأمن والسكينه (الشرط ١٩) وعندما أوجبت على الفريقين أن لا يتعديا الحدود المعينة لهما بعد صدور الموافقة العثمانية (الشرط ٢٠) . ولهذا السبب أيضا ـ أوجدت المعاهدة ما ينص على أن اختيار الإمام يحيىلحكام المحكمة الاستئنافية ، لا يتم الا بعد تصديق الدولة العثمانية عليه (الشرطين ٣ ، ٤) ، كما أوجدت حكاماً من غير اليمنيين ـ ومن غير الزيديين أيضا ـ فى المناطق التى يتمذهب أهلها بغير المذهب الزيدى شافعيا كان أو حنفيا (الشرط ٧) ، وأوجدت كذلك محاكم مختلطة من حكام الشوافع والزيديين للنظر في القضايا التى تحصل بين أصحاب المذاهب المختلفة ، حتى لا ينفرد الزيديون بالحكم (الشرط ٨) .

ومما يؤكد هذا الأمر ، احدى الوثائق اليمنية المعاصرة لفترة ما بعد الصلح ، فقد أشارت الى أن أحد أعوان الإمام يحيى والمقيم فى تعز ، وجه الى الإمام رسالة يطلب فيها المساعدة بعرض قضيته على المحاكم الزيديه ، فأجابه الإمام يحيى بعدم استطاعته ذلك ، لأن القضية حصلت في تعز وهى شافعية ، فلابد من عرضها على محاكم تعز ، وذلك بناءً على اصرار السلطات العثمانية فى صنعاء ، تنفيذا للمواد التى كان عليها قرار الائتلاف (١) .

---

(١) سالم ، السيد مصطفى : وثائق يمنيه . (القاهرة : المطبعة الفنية ، ١٩٨٢م) ، الوثيقة رقم ٣٤ ، ص ص ٢٩٠ـ ٢٩٤ .

ومن ناحية أخرى نجد أن هذه المعاهدة لم تجعل الإمام يحيى اكثر من موظف عثمانى ، أو وال فرعى فى المناطق الزيدية يرجع الى الوالى الرئيسى فى صنعاء أو الحكومة العثمانية فى الأستانه فى كل ما يخص شئون منطقته ، (الشروط ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ١٤). كما فرضت عليه أن يسلم عشر حاصلاته للحكومة العثمانية (الشرط ١٦) . وأن يخلى طرف الرهائن الموجودين لديه من أهالى صنعاء وماجاورها (الشرط ١٨) .

واذا كان هناك من ايجابيات فى هذه المعاهدة بالنسبة لليمنيين والإمام يحيى ، فليست الا مكاسب بسيطة لا تقارن بمكاسب العثمانيين فيها . فقد أعطى الإمام يحيي مسائل الوقف والوصايا (الشرط ١٠) ، وأن تجبى الضرائب حسب الشريعة الاسلامية (الشرط ١٣) ، والسماح له بقبول الهدايا (الشرط ١٥) ، واصدار العفو العام عن الجرائم السياسية والضرائب السابقة (الشرط ١١) ، وعدم جباية الضرائب من أهالى أرحب وخولان وجبل الشرق لمدة عشر سنوات (الشرطين ١٢ ، ١٧) ، كما أعطت فى (الشرط ٩) أهم مكسب لليمنيين وهو تشكيل المحاكم السياره للتنقل بين القرى والمدن اليمنية البعيده لتخفف عن أهاليها مشقة الذهاب والاياب الى مراكز الحكومة ومحاكمها المختلفة . ولكن المشرفين عليها كانوا من العثمانيين وليسوا من قبل الإمام يحيى . وهذه العطاءات ـ وان عدت مكسبا لليمنيين والإمام يحيى ـ فانها نوع من تأليف القلوب اليمنية واستمالتها لقبول الصلح ومعاضدة الإمام يحيى فى قبوله .

ومن هنا يمكن القول بأن هذه المعاهدة بالنسبة للعثمانيين ، تعتبر معاهدة ناجحه ، لأنها تمت بعد انتصار حربى حققه عزت باشا ، وأكد فيه سيادة العثمانيين على اليمن ، ثم جاءت هذه المعاهدة لتؤكد تلك السياده ولتأخذ من الإمام يحيى اقرارا بذلك ومزيدا من التنازلات .

أما بالنسبة لليمنيين عامة ، والإمام يحيى بصفة خاصه ، فانها معاهدة ناقصه ، لأنها لم تعطهم ما يستحقونه من حقوق وواجبات تتناسب مع ما بذلوه من تضحيات خلال حروبهم وثوراتهم ضد الحكم العثمانى ، ولأنها لم تضمن لهم استقلال بلادهم أو إصلاحها وعمرانها ، ولأنها لم تضمن اصلاح الادارة العثمانية أو القضاء على الفساد الادارى ، بل ولم تعترف للإمام يحيى بالوضع الدينى الكامل على فئة الزيديين ـ فضلا

عن اليمن كله ـ وهذا ما يجعلنا نميل إلى الرأى المعارض والقائل بأن المعاهدة ليس فيها كسب يذكر للإمام يحيى واليمنيين بقدر ما فيها من مكاسب للدولة العثمانية .

ولكى نؤكد وجهة نظرنا هذه ، يجب أن نعود الى الوراء قليلاً ، وبالتحديد الى عام (١٣٢٤هـ /١٩٠٦) لنرى الشروط التى قدمها الإمام يحيى للقائد العثمانى أحمد فيضى باشا (١) . والتى كانت تمثل الحد الأدنى الذى يقبل به الإمام يحيى لعقد صلح مع العثمانيين ، كما كانت تمثل خلاصة المطالب السابقة للأئمة السابقين ، وكانت ـ أخيرا ـ تعد مكسباً للإمام يحيى لو تحقق له مثلها فى معاهدة دعان .

ونحن اذ نعود لهذه الشروط ، فمن أجل المقارنة بينها وبين الشروط التى وافق عليها الإمام يحيى فى صلح دعان سنة (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م) ، ومن هنا يتضح التالى :

أولاً : كان الإمام يحيى يطالب فى (سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م) باستقلاله فى حكم اليمن ، حيث طالب بتطبيق الاحكام على الشريعة الغراء ، وطالب بأن يرجع اليه عزل وتعيين القضاة وحكام الشرع ، وأن تعود اليه معاقبة الخائنين والمرتشين ، وأن تحال اليه الأوقاف والوصايا ، واليه تعود مجازاة الموظفين الذين يأخذون زيادة على الضرائب ، وأن تشمل هذه المطالب صنعاء وتعز وملحقاتها (٢) . أما المعاهدة الحالية ـ معاهدة دعان ـ فلم تعط الإمام يحيى الا بعض تلك المطالب مقرونة بموافقة العاصمة العثمانية أو الولاية فى صنعاء .

ثانياً : لم يتحقق للإمام يحيى فى دعان من مطالب سنة (١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م) إلا ما يلى : احالة الأوقاف والوصايا ، وتطبيق الشرع فى أخذ الضرائب ، واعفاء بعض القبائل من دفع الضرائب ، واعلان العفو العام . (٣)

---

(١) أنظر :

زباره : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر ... ، ص ص ٧٤ ـ ٧٥ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ص ٧٤ ـ ٧٥ (الشروط ١ . ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٨) .

(٣) زبارة : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر ... ، ص ص ٧٤ ـ ٧٥ (الشروط ٥ ، ٧ ، ١١ ، ١٢) .

ثالثاً : ولكى تؤكد الدولة العثمانية للإمام يحيى عدم استقلاله فى اليمن ، لم تضمن له رواتب كافية للحكام والعمال ليتم القضاء على أسباب الرشوة ـ كما طلب فى الشرط (٤ سنة ١٩٠٦م) ، ولم تضمن له تسليم الخائنين الذين يلجئون الى كل منهما ـ كما طالب فى الشرط (١٠ سنة ١٩٠٦م) ـ بينما طلبت منه فى معاهدة دعان أن يخلى طرف الرهائن المحجوزين لديه ، وأخيرا فانها لم تضمن له حماية بلاده من العدوان الأجنبى كما طالب فى الشرط (١٥ سنة ١٩٠٦م) .

وهكذا تبين لنا من خلال المقارنة أنه لم يتحقق للامام يحيى في معاهدة دعان سنة (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م) الا الشيئ اليسير مما كان يطالب به فى سنة (١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م) ، وأنه قدم تنازلات كثيرة بموافقته على هذه المعاهده ، الأمر الذى يدفعنا لأن نقول ان الإمام يحيى قد تسرع في قبولها والموافقة عليها ، ولاسيما في ذلك الوقت الذى كانت فيه الدولة العثمانية تعيش أسوأ الظروف . فلو أنه تمهل قليلا وحاول أن ينتهز تلك الظروف وتضامن مع السيد محمد الادريسى فى عسير ، لكان بامكانه أن يفرض الشروط التى يريد ، وستضطر الدولة العثمانية أن تقبلها .

ولكن يبدو أن الإمام يحيى قد شعر بضعفه أمام القوات العثمانية ـ بعد أنتصار عزت باشا ـ وأدرك المخاطر التى تحيط به من المنافسين على الإمامة ، واستشعر قوة الجانب الادريسى فى عسير والمخلاف السليمانى ، فأراد أن يقبل بما أعطته الدولة العثمانية فى تلك المعاهدة ـ مؤقتا ـ ليحصل فيما بعد على الكثير . وهذا ـ فى نظرنا ـ هو الذى جعله يقنع نفسه بالمنصب الدينى الذى منحه العثمانيون له ـ ظاهريا ـ وهو الزعامة الدينية على فئة الزيديين ، بينما هو ـ فى الواقع ـ مجرد وال فرعى على هذه الفئة ، ويعود للعثمانيين ـ سواء فى العاصمة أو فى صنعاء ـ فى كل صغيرة وكبيره .

ومما يؤكد ذلك أن بعض اليمنيين ـ ولاسيما من طبقة القضاة والشعراء والمثقفين ـ لم يكونوا راضين عن الصلح ،وقد اعترضوا ـ منذ البداية على الوسطاء الذين كانوا يسعون

بين الفريقين ، وأعلنوا سخطهم لأن المعاهدة لم تخرج العثمانيين من اليمن كله (١) . وهذا يدل على أن هذه المعاهدة لم تكن هى التى تنشدها فئات كثيرة من الشعب اليمنى ، ولم تعطهم ما كانوا يحاربون من أجله ، ولم توجد ما يحل مشاكل اليمن حلا حاسما ، مما جعل هذه المشاكل تعود من جديد ، وتتطور الى ما هو أسوأ بسبب ازدواج السلطة ، فحصل التذمر من أهالى صنعاء وما حولها ، وقاموا بمراسلة الحكومة فى الاستانة فى (شعبان ١٣٣٣هـ/ يونيو ١٩١٤م) مطالبين فيها بأحد أمرين : إما أن تجبى الحكومة الضرائب وتدفع للإمام مايستحقه ، أو أن تسمح للإمام أن يقوم بالجباية ويتدبر أمره مع الحكومة لأن الأهالى ـ على حد قولهم ـ لا يستطيعون دفع الضريبة مرتين (٢) .

وعلى أية حال ، فقد وافق الإمام يحيى على صلح دعان ، ووقع الطرفان على تلك المعاهدة ، وأصبحت سارية المفعول بعد فترة وجيزة . فقد صادق عليها السلطان

---

(١) يشير ، زياره ـ اثناء حديثه عن المفاوضات بين العثمانيين والامام يحيي لعقد صلح دعان ـ الى أن هناك مكاتبات شعرية تمت بين القاضى حسين بن احمد العرشى ، والقاسم العزى ـ أحد الوسطاء فى الصلح ، يعترض فيها الأول ويبدى سخطه من تلك المعاهدة فيقول :

" قالوا اللحية والبنادر كلها	مأخوذة فإلى متى الإعراض
أإلى انتصار المتهمين وقد بدت	راياتهم نصبت لها الأغراض
ما عذرنا ما قولنا ما عندنا	ماذا به المجد الرفيع يماض
ما الاشتغال به بأية آية	نام اللبيب وما به إغماض ؟ !

فأجابه الثانى بقوله :

قلنا لمصلحة رأينا وجهها	فدع الملام فانه أحماض

ثم رد عليه الأول بقوله :

قلت المصالح قورنت بمفاسد	ولأصلكم فى مثل ذا الأدحاض

فأجابه الثانى بقوله :

قلنا مفاد كلامكم شرف الهدى	يبقى العنا وقلوبنا أمراض "

انظر : زياره : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر ... ، ص ١٨٩ .

(٢) برو، توفيق : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤٣ .

العثمانى ، وأرسل فرمانا خاصا بذلك فى (شهر ذى العقدة ١٣٣٢هـ/ ٢٢ سبتمبر ١٩١٣م) ، وقرئ فى صنعاء أمام جمهرة من الناس ليتأكد الوفاق بين العثمانيين واليمنيين[1] .

وهكذا تم صلح دعان بين الحكومة العثمانية والإمام يحيي فتغيرت طبيعة العلاقات بينهما ، حيث ساد السلم والهدوء مكان الحروب والثورات . ولكنه ـ من جانب آخر ـ أوجد فجوة بين الادريسي والإمام يحيى ـ قطبى المقاومة فى جنوب الجزيرة العربيه ـ وتغيرت بها صورة العلاقات بينهما . وسنعرف فى الفصل التالى أبعادها وآثارها .

* * *

---

(١) Wenner, op. cit. P 47.

ثانياً : أثر الصلح على علاقات الأدارسة بالإمام يحيى

١ ـ صلح دعان والتحول فى العلاقات :

لقد كان وجود الادريسى فى تهامة عسير والمخلاف السليمانى ، شوكة مزعجة للعثمانيين في اليمن وعسير ، فقد أثار الحروب ضدهم واستطاع ـ فى وقت من الأوقات ـ أن يحاصرهم فى مركز المتصرفية ـ أبها ـ ، بل انه قام باعتراض القوات العثمانية المرسلة الى اليمن . وأقرب مثال على هذا ، تعرضه لقوات عزت باشا التى قدمت لفك حصار صنعاء سنة (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م) ، وهذا يعنى أن هناك نوعا من التخطيط المشترك بين الإمام يحيى والسيد الادريسى جعل الأخير يقوم بما قام به ـ في منطقته ـ ضد العثمانيين ، تضامنا مع الإمام يحيى .

ولعل السبب فى ذلك ، ما كان يعيشه كل من الإمام يحيى والسيد الادريسى من ظروف حربية تجاه الدولة العثمانية ، فقد فرضت عليهما أن يلتقيا ويعملا يدا واحدة ضد العدو المشترك ، ليتحقق لكل منها الاستقلال بمنطقته وطرد العثمانيين منها . ولهذا فقد رأى الإمام يحيي أن من مصلحته أن يتحالف مع السيد الادريسى لكى يحميه من القوات العثمانية اذا ما هاجم المراكز الساحلية أو زحف نحو صنعاء [١] . وبناء على ذلك فان الادريسى وجد من مصلحته ـ أيضا ـ أن يتحالف مع الإمام لكى يمنع الأخير العثمانيين المتواجدين فى صنعاء وسواحل اليمن ، اذا ما هاجم الادريسى سراة عسير أو الموانئ التهامية ، وبذلك تكون المصلحة المشتركة قد أوجدت بين الزعيمين بداية حلف مشترك [٢] ، وقد أثمر عن قيام كل منهما بالثورة وحصار مركزى الولاية والمتصرفية فى كل من صنعاء وأبها في وقت متقارب جدا كما مر بنا .

وبعد صلح دعان ، بدأ التحول فى مسار العلاقات الطيبة بين الإمام يحيى والسيد الادريسى ، فبعد أن أوقف الإمام يحيى نشاطه الثورى ضد العثمانيين ـ بناء على شروط

---

(١) برو ، توفيق : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣٧ .

(٢) حراز ، السيد رجب : مرجع سبق ذكره ، ص ٩٣ ؛
Kornwallis, op.cit. P. 28.

الصلح ـ ، ظل الادريسى وحده يحمل لواء الكفاح والثورة ، مما أدى الى الاختلاف بين الزعيمين ، وتغير العلاقة بينهما تبعا لذلك .

ولا شك أن هناك سببا وراء هذا التغير في العلاقات ، فالعثمانيون عندما عقدوا الصلح مع أحد أقطاب المقاومة فى جنوب الجزيرة العربية، وأهملوا القطب الآخر ـ والذى كان يشكل خطرا كبيرا عليهم ـ كانوا يطبقون المبدأ المعروف (فرق تسد) ، فقد ضمنت الإمام يحيى الى صفها وتفرغت ـ في نفس الوقت ـ للادريسى ، بل وألبت حليفها ـ الإمام يحيى عليه وهذا ـ بدون شك ـ هدف سياسى خطير ، كان له أبعاده وآثاره على مستقبل العلاقات بين الزعيمين .

ولقد برر العثمانيون عملهم هذا ، بأن الادريسى شخص دخيل على المنطقة ، وليس له من الإرث التاريخى والمجد القديم ، ومن الانصار والاتباع ، كما للإمام يحيى ، وأنهم يخشون اذا عقدوا معه صلحا ـ أن يظهر مئات من أمثاله (١) . فى كل الولايات العربيه .

ولذلك رأت الدولة العثمانية أن تعقد صلحا مع الإمام يحيى دون الادريسى وأن تسلك مع الاخير طريق الحرب والقوة ، لأنه ـ فى نظرهم ـ هو الطريق الذى يمكن أن يخضعه ويقضى على كل أماله وطموحاته فى المنطقة .

ولكن الذى تثبته الوقائع التاريخية ، أن الادريسى لم يكن دخيلا على البلاد ، او شخصا ضعيفا يفتقد الى الأنصار والاتباع ، بل كان يتمتع بقوة وصلابة فى منطقته وكان يناصره الكثير من قبائل عسير والمخلاف السليمانى جعلته يقاوم العثمانيين ويحاربهم فى أكثر من موقع ، ولنا فى ثوراته وحروبه ، وفى انتشار نفوذه وزيادته ، أكبر دليل على ذلك . ولكن العثمانيين ـ وقد سيطرت عليهم ، وعلى مشاعرهم مبادئ التمسك بالمركزية ، والرغبة فى تتريك كل الولايات التى تحكمها ، والحرص على اخضاع المناوئين لها بالقمع والاستبداد (٢) ـ جعلهم يسلكون هذا السبيل مع السيد الادريسى ليبلغوا الهدف الذى كانوا يسعون إليه .

---

(١) المنار ، م ١٥ ، جـ ٢ ، ص ١٥٨ ، (من حديث الأمير لاى احسان بك فى جريدة المفيد البيروتية) .

(٢) أباظة ، فاروق عثمان : الحكم العثمانى فى اليمن ، ص ٣٠٦ .

ولقد تحقق للعثمانيين ذلك الهدف ، حيث نجحوا فى التفريق بين الزعيمين ، فتحولت العلاقة بينهما ، وحل الشقاق والخلاف والحروب محل التحالف والتعاون ، وأصبح كل واحد منهما ينظر إلى الآخر بشيئ من الحقد والعداء . فالادريسى كان يشعر بأن الإمام يحيى قد وجّه إليه طعنة فى ظهره وأنه خان القضية التى تحالفا من أجلها ـ وهى طرد العثمانيين من المنطقة ـ وكان دائماً يقول : « نحن حاربناهم (يعنى العثمانيين) فى تهامة لنردهم عن ابن حميد الدين (يعنى الإمام يحيى) وأوقفناهم مراراً فى زحفهم عليه ، دفعناهم عنه ، فراح يعقد واياهم صلحاً وراء أظهرنا ... ، ولما جاءوا (العثمانيون) يمرون فى بلادنا ليضربوه من جهة الشمال أوقفناهم ، وقلنا لهم : كيف نقبل وبيننا وبينه عهد الله . وصل الترك بعدئذ إلى صنعاء فهمّوا بضربنا من وراء الجبال فلم يمنعهم ابن حميد الدين ، حليفنا صنو عهدنا . كأن العهد عنده قصاصه من ورق » (١) .

أما الإمام يحيى فكان ينظر إلى الادريسى ، على أنه شخصية قوية ، ويخشى أن تطغى على شخصيته وينافسه فى مركزه ، فجعل من صلح دعان ، وسيلة للقضاء عليه . ولذلك نجده يتجه هذا الاتجاه العدائى ضد صديقه وحليفه بالأمس القريب ويعلن أنه سيؤيد الاتراك إذا لم يستطيعوا القضاء على الادريسى (٢) .

ومن هنا ندرك مدى التغير فى علاقات الزعيمين ، فالإمام يحيى أصبح يسعى ـ منذ عقد صلح دعان ـ إلى القضاء على الادريسى ، ويتمنى أن يتم ذلك على يد الدولة العثمانية ، وان لم تتمكن فانه سيمد يده إليها ويتعاون معها للقضاء عليه ، وبالتالى فإن الادريسى لن يستسلم لذلك ، وسيواجه هذه المرحلة الجديدة . بشيئ من الحزم والقوة ، مستفيداً من كل الظروف التى بدأت تسير فى صالحه .

٢ ـ النتائج المترتبة على تغير العلاقات :

لا شك أن نجاح الدولة العثمانية فى عقد صلح مع الإمام يحيى دون السيد محمد الادريسى ، قد أدى إلى التفريق بينهما ، وهذا فى حد ذاته أهم نتيجة لصلح دعان

---

(١) الريحانى ، أمين : مرجع سبق ذكره ، ص ٣٤٨ .

(٢) يعقوب ، هارولد . ف : مرجع سبق ذكره ، ص ١٦٩ .

ـ فيما يخص علاقات الأدراسة بالإمام يحيى ، وستبنى عليها كل النتائج الأخرى ، والتى سنبينها فيما يلى :

أولاً : انسلاخ بعض القبائل اليمنية عن الإمام يحيى وميلها إلى الادريسي :

فلقد فقدت هذه القبائل ثقتها فى الإمام يحيى ، وراحت تبحث عن قائد جديد فى الحرب ضد العثمانيين فلم تجد إلا الادريسي فى عسير والمخلاف السليمانى فمالت إليه [(١)] ، ومن ضمن هذه القبائل ، قبيلة حاشد الزيدية ـ وهى من أهم القبائل التى كان الإمام يحيى يعتمد عليها أعتماداً كلياً فى ثوراته وحروبه [(٢)] ـ ، ولكن بعد صلح دعان ، قام زعيمها الشيخ (ناصر مبخوت الأحمر) وأرسل بيعته إلى الادريسي فى صبيا ، مصحوبة بمجموعة من أبناء القبيلة كرهائن لديه ، لتكون ضماناً وتأكيداً لهذه البيعة [(٣)] . وفى الوقت نفسه ، كان الادريسي يسعى من جانبه لاستمالة بعض القبائل اليمنية القريبة من حدوده ، مثل قبائل بنى نشر ، والواعظات ، فتمكن من ذلك وجاءته القبيلتان طائعة ومبايعة [(٤)] .

ولا شك فى أن انسلاخ هذه القبائل عن الإمام يحيى ، وتحولها إلى السيد محمد الادريسى ، يعد خسارة فادحة للإمام يحيى ، لأن وجود قبيلة مثل قبيلة حاشد القوية فى جانب الادريسي ، يعنى قوة له ، وزيادة فى نفوذه ، بقدر ما هى انتكاسة خطيرة فى جانب الإمام يحيى . ولكن بعض اليمنيين المطلعين على تاريخ اليمن وأحوال سكانه وقبائله . يعلل اتجاه بعض القبائل اليمنية نحو الادريسي ، بأنه مجرد طلب للغنائم والأموال التى افتقدوها بعد صلح الإمام يحيى مع العثمانيين ، ولا يعد ذلك انسلاخاً عن

---

(١) برو ، توفيق : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤٣ .

(٢) Kornwallis, op. cit. 28.

(٣) المؤيد ، عدد ٦٩٦٦ ، فى ١٩١٣/٤/٢١م ؛

وثائق الخارجية البريطانية F.O : 371 / 1570 No : 221 E من نائب القنصل فى الحديده . إلى السفير البريطانى فى الأستانة . التاريخ : ٨ يوليو ١٩١٢م . (أنظر الملحق وثيقة رقم ٥) .

(٤) العقيلى : المخلاف السليماني ، جـ ٢ ، ص ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

طاعة الإمام يحيى أو اقراراً بزعامة السيد الادريسي (١) ، كما يذكر بعض اليمنيين المعمرين فى السن ـ تأكيداً لذلك ـ أن زعيم قبيلة حاشد ـ الشيخ ناصر مبخوت الأحمر ـ قد استأذن الإمام يحيى فى الخروج إلى الادريسي مع قبيلته ، ومساعدته ضد العثمانيين طلباً للرواتب المغرية التى كان يقدمها الادريسي ، وطمعاً فى الغنائم ومخلفات الحرب ، فأذن له الإمام وقال له : لا تنسَ حق الله ، أى لا تتأخر عن تقديم الحقوق الشرعية المفروضة عليكم وهى الزكاة (٢) .

وإن كنا لا نستطيع أن نؤكد هذه الروايات ، فاننا ـ أيضاً ـ لا نستطيع أن نرفضها ، لاسيما وأننا وجدنا فى الوثائق البريطانية أن الادريسي أثناء الحرب العالمية الأولى ، كان يعطى لزعيم القبائل الحاشدية مرتباً شهرياً قدره ٧٠٠ دولار ، ولكل جندى من قبيلته ٢٨ ريال ، وهذه مبالغ خيالية إذا قيست بما كان يعطيه البريطانيون للموالين لهم من أبناء عدن ، إذ يحصل الجندى منهم على مبلغ ١٠ ريال شهرياً (٣) .

وعلى أية حال فان هذه الروايات ، قد تساعد فى تفسير انسلاخ القبائل عن الإمام يحيى واتجاهها نحو الادريسى ، ولكن أيا كان السبب فى ذلك فهى تعنى رغبة اليمنيين فى مواصلة الحرب ضد العثمانيين وطردهم من المنطقة ، فاستبدلوا بقيادة الإمام يحيى ـ المتصالح مع العثمانيين ـ قيادة الادريسي الذى مايزال رافعاً راية الثورة والحرب ضدهم ، لأن الإمام يحيى فى نظر تلك القبائل ، لم يعد ذلك الشخص الذي يقف أمام العثمانيين ويحاربهم ، وإنما هو الشخص المتحالف معهم ، وأنه قد تخلى عن القضية العامة إلى القضية الخاصة ، وهى الاعتراف به زعيماً للطائفة الزيدية (٤) .

---

(١) محادثة شخصية مع الأستاذ على عبد الكريم الفضيل ـ وهو أحد الشخصيات اليمنية التى كان لها دور بارز فى عهد الإمام أحمد بن الإمام يحيى حميد الدين والإمام محمد البدر بن الإمام أحمد يحى حميد الدين ـ أثناء زيارتى له فى الطائف يوم ٥/ ٣/ ١٤٠٢هـ .

(٢) محادثة شخصية مع الدكتور السيد مصطفى سالم أثناء زيارتى له فى صنعاء يوم ١٤٠٤/٤/١٩هـ .

(٣) وثائق الخارجية البريطانية F.o. 371 / 3056 من : مساعد المقيم السياسى فى عدن ـ الميجور جنرال رايلى بتاريخ : ٢٦ أكتوبر ١٩١٧م .

(٤) سالم ، السيد مصطفى : وثائق يمنية ، الوثيقة رقم ٣٠ ، ص ٢٦٥ .

ثانياً : الحروب بين الادريسى والإمام يحيى :

لقد ترتب على النتيجة السابقة ، أن نفوذ الادريسي أخذ يزحف من تهامة عسير والمخلاف السليمانى إلى بعض الأراضى اليمنية داخل حدود الإمام يحيى ، مما سيؤدى إلى الحرب بينهما ، لأن الإمام يحيى يحاول أن يرد خصمه إلى حدوده ويوقفه عندها بل ويستعيد نفوذه على تلك القبائل التى خرجت عنه .

ومن هنا نجد القوات الادريسية تقوم بحصار مدينة (ميدى) من البـر ، فى الوقت الذى كانت فيه إيطاليا تساعدها من البحر ، حتى تمكنت ـ أخيراً وبعد ستة أشهر من الحصار ـ أن تدخلها وتفرض عليها النفوذ الادريسى (١) .

ولما وصلت البشائر إلى صبيا بهذه الانتصارات ، توجه الادريسي إلى ميدى ، حيث وصلها فى (شعبان سنة ١٣٣٠هـ/ يوليه ١٩١٢م) وأقام فيها مدة يراقب سير العمليات الموجهة ضد الإمام يحيى والعثمانيين ، ومن هذه المدينة كتب منشوراً ووزعه على قبائل تلك الجهات ، وقد بين فيه مسار العلاقات مع الإمام يحيى قبل الصلح وبعده (٢) ، وبعد هذا المنشور خطوة دبلوماسية جيدة ، أراد بها الادريسي أن يكسب الرأى العام اليمنى ، ويؤلبه ضد الإمام يحيى ، فى الوقت الذى يؤكد فيه سيطرته على القبائل اليمنية ، التى لجأت إليه بعد صلح دعان .

ولم يتوقف الادريسي عند هذا الحد ، بل نجده يرسل من (ميدى) قوة من رجاله تحت قيادة محمد طاهر رضوان إلى (حرض) وتمكنت من دخولها . أيضاً ـ . ثم أرسل قوة أخرى إلى (جزر فرسان) ـ وكان فيها حامية عثمانية ـ فحاربتها حتى استسلمت ، وسلمت الجزر للقوات الادريسية (٣) .

---

(١) العقيلى : المخلاف السليمانى ، جـ ٢ ، ص ٧٢٦ .

(٢) وثائق محلية (ادريسيه) :

منشور ادريسي : من / محمد بن على الادريسي ـ ميدى إلى القبائل اليمنية بتاريخ ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م .

نقلاً عن العقيلى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٧٤٤ ـ ٧٤٥ .

(٣) العقيلى : المرجع نفسه ، ص ٧٢٦ .

وفى السنة التالية ـ (١٣٣١هـ / ١٩١٣م) ـ أرسل الادريسي قواته لتغزو « بلاد حجور ... وخولان الشام ... وسوق عاهم »[١] . كما حاول فى نفس الفترة أن يثير بعض القبائل اليمنية ضد الإمام يحيى ، وأمدهم بالسلاح والمؤن والأموال ، فقاموا بالحروب ضد قوات الإمام يحيى ، واستمرت لفترة طويلة « أصابت الجيوش الإمامية بالبلبلة والانشغال »[٢] ، واستطاع الادريسي ـ خلال ذلك ـ أن يستولى على (جبل حُرُمْ) ، وقلعة (رَازِحْ) و (غِمَارْ) ، ولكن الإمام يحيى استعادها مرة أخرى بعد حروب طويلة خسر فيها جيشه ما يقارب « الخمسمائة قتيل »[٣] .

وبعد هذه المناوشات الحربية بين الادريسي والإمام يحيى على الجبهة الجنوبية ، تجمد الموقف لينتقل إلى الجبهة الشمالية ، وإلى صبيا ـ عاصمة الادريسي ـ بالذات . حيث ستشترك الدولة العثمانية مع الإمام يحيى فى الحروب هناك ضد القوات الادريسية .

ثالثاً : اتفاق العثمانيين والإمام ضد الادريسي:

كانت الدولة العثمانية ـ أثناء حروب الادريسي والإمام ، تراقب الموقف ، وتنتظر الفرصة لتدخل إلى جانب الإمام يحيى . ولما وجدت أن الفرصة قد حانت ، شكلت حملة كبيرة من قواتها فى اليمن ، وقواتها فى عسير ، وبعض القوات الحجازية بقيادة الشريف فيصل بن الحسين ، إلى جانب قوات الإمام يحيى ، وكانت تهدف إلى القضاء على الادريسي فى مقر اقامته ـ صبيا ـ ، ولكنها لم تتمكن من ذلك ، فقد فشلت خطتها وعادت كل قوة إلى بلادها .

وقد قيل : أن هذا الفشل يعزى إلى « عدم كفاءة القوة الشريفية (الحجازية) وانعدام الحافز لديها »[٤] .

ثم قام العثمانيون بحركة حربية جديدة ضد الادريسي لمنعه من الاتصال بقبائل الزرانيق ـ الشديدة البأس ـ ولحماية الحديدة من محاولاته التوسعية ، فأمرت جزءاً من

---

(١) قرى وبلاد يمنية من أملاك الإمام يحيى ـ إلى الشمال الغربي من صنعاء ، أنظر : الجندارى : الجامع الوجيز ، (مخطوط) ص ٢١٩ .

(٢) الحداد : عمدة القاري ... ، (مخطوط) ، ص ١٠٠ .

(٣) العقيلي : المخلاف السليماني ، جـ ٢ ، ص ٦٦٢ .

(٤) Pury, OP. Cit, 35

قواتها بالمرابطة على طول الطريق على الحدود بين اللحية والزهره (١) .

وهكذا يتضح لنا ، أن الادريسي ، ـ وبالرغم من انفراده بالحرب بعد صلح دعان ـ كان يشكل خطراً كبيراً على العثمانيين ، وعلى الإمام يحيى ، ولذلك فإن سليمان باشا ـ المتصرف العثمانى فى عسير ، كان يخشى أن يقوم الادريسى وقواته بحصار جديد على مركز المتصرفيه ـ أبها ـ ، ولاسيما وأن معظم القبائل فى عسير والمخلاف السليمانى رفعت لواء الثورة والتمرد ، مثل قبائل غامد وزهران ، وبنى شهر ـ التى قطعت كل الطرق البريدية التى تصل إلى أبها ـ ، وكذلك قبائل محايل ، ورجال ألمع ، وأبى عريش . ومن أجل ذلك قرر سليمان باشا زيادة القوة العثمانية فى (ربيعة رفيده) (٢) ، لأنها تشرف على قبائل رجال ألمع ، تحسباً لأى طارئ جديد من جانب الأدراسة (٣) .

ولقد بلغ الادريسي ـ فى هذه الفترة ـ ما جعله مطمئناً على مركزه بين كل من العثمانيين والإمام يحيى ، فقد تجمع لديه من السلاح أكثر من ١٠٠ر٠٠٠ مائة ألف بندقية ، و٥٠ خمسين مدفعاً وأكثر من ٢٠ عشرين مدفعاً يتراوح مرماها بين ١٢ ـ ١٤ كم (٤) . وفوق ذلك ، فان الادريسى أخذ يعمل كل ما فى وسعه لتدعيم قواته ومحاربيه بكل جديد وحديث من الأسلحة الحربية الخفيفة والثقيلة ، كما كان يستفيد من الأسرى العثمانيين ـ ولاسيما ممن لهم خبرة فى المدفعية ـ لتدريب رجاله ورفع كفاءتهم الحربية ، كما أنه اهتم بانشاء الحصون والقلاع على الثغور والسواحل الهامة فى منطقته (٥) . وهذا يعنى أن الادريسي قد بلغ حداً من القوة والكفاءة والاستعداد الحربى يمكنه من مقاومة الدولة العثمانية وحليفها الإمام يحيى ومواصلة الحرب ضدهما ، لاسيما وأن العثمانيين ـ فى هذه الفترة ـ كانوا يعيشون أكبر أزمة سياسية ، وهى الحرب الإيطالية الليبية ، مما جعل الادريسي ينتهز هذه الفرصة ويستفيد منها لتقوية مركزه ومواصلة الحرب ضد أعدائه فى عسير والمخلاف السليمانى .

* * *

---

(١) Pury, OP. Cit, 35

(٢) أحدى القرى فى سراة عسير بجوار أبها .

(٣) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » ، مجلة العرب ، الرياض . م ١ ، جـ ٣ ، السنة السابعة ، ١٣٩٢هـ ، ص ١١٢ .

(٤) المنار ، م ١٦ ، جـ ٦ ، ٧ مايو ١٩١٣م ، ص ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨ .

(٥) أباظة ، فاروق عثمان : الحكم العثمانى فى اليمن ، ص ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧ .

ثالثاً : أثر الصلح على علاقات الأدراسة بالعثمانيين

١ ـ التحالف الإيطالى الادريسي :

فى أواخر أيام الحصار الادريسي لأبها ـ مركز المتصرف العثمانى فى عسير ـ ، تعرضت الدولة العثمانية للغزو الإيطالى على احدى ولايتها ، وهى ولاية طرابلس الغرب ـ ليبيا ـ ، سنة (١٣٢٩ ـ ١٣٣٠هـ / ١٩١١ ـ ١٩١٢م) . وقد بدأ ذلك الغزو فى (شهر شوال ١٣٢٩هـ / ٢٩ سبتمبر ١٩١١م) وانتهى باعلان معاهدة أوشى (لوزان) فى (شهر ذى القعدة ١٣٣٠هـ / ١٨ أكتوبر ١٩١٢م) ، والتى قضت بالاحتلال الإيطالى على ليبيا ، وخروج العثمانيين منها [١] .

ولا أريد هنا أن اتحدث عن هذا الغزو والاحتلال ، بقدر ما أريد أن استنتج من أحداثه ، ما يمس موضوع البحث ، إذ يتضح من خلال تلك الأحدث ، أن السياسة الإيطالية ـ وهى تخطط لهذا الغزو ـ تجاوزت ولاية طرابلس الغرب ، لتصل إلى جنوب غرب الجزيرة العربية ، وبالذات عسير والمخلاف السليمانى ، حيث أدركت ما تعانيه الدولة العثمانية فى هذه المنطقة من حروب وثورات على يد الأدراسة ، فأرادت إيطاليا أن تتقرب إليهم وتتعاون معهم فيما يخدم أهدافها ويحقق غايتها لاحتلال طرابلس الغرب . وقد نجحت فى ذلك عندما تكوُّن بينهما حلف وتعاون .

ومن هنا نستطيع أن نستنتج الأسباب التى أدت إلى ذلك التحالف والتعاون بين الفريقين ، ويمكن تلخيصها فيما يلى :

---

(١) لمزيد من المعلومات أنظر :

١ ـ الشتيوى ، منصور عمر ، الفزو الإيطالى لليبيا ، (الطبعة الأولى ، طرابلس : مؤسسة الفرجانى ، ١٩٧٠م) .

٢ ـ الزاوى ، الطاهر أحمد : جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب (الطبعة الثانية ، بيروت : دار الفتح للطباعة والنشر ، ١٣٩٣هـ) .

٣ ـ منسى ، محمود حسن صالح : الحملة الإيطالية على ليبيا ـ دراسة وثائقية فى استراتيجية الاستعمار والعلاقات الدولية (القاهرة : دار الطباعة الحديثة ، ١٩٨٠م) .

أولاً : رغبة إيطاليا فى اشغال الدولة العثمانية فى مكان آخر من ممتلكاتها ، لكى تتفرغ لولاية طرابلس الغرب . لأن هذا سيؤدى إلى اضعاف القوات العسكرية العثمانية ، ويشتت جهودها الحربية (١) ، وبذلك فلن تتمكن الدولة العثمانية من مواجهة الحرب فى جبهتين بعيدتين من أملاكها ، فيسهل على إيطاليا أن تحقق غايتها وتستولى على طرابلس الغرب .

ثانياً : رغبة الادريسي فى مواصلة الحرب ضد الدولة العثمانية ، لاسيما وأنه أصبح فى وضع سيئ بعد تخلى الإمام يحيى عن دوره فى الحرب ضدهم ورغبته فى الاستفادة من المساعدات الإيطالية المادية والعسكرية ، ليحقق أهدافه وغاياته . ومن هنا التقت رغبات الإيطاليين برغبات الأدراسة فحصل التقارب وبدأت العلاقة بينهما .

ويجدر بنا هنا ، أن نناقش الكيفية التى تمت بها هذه العلاقة ، حيث اختلف حولها الكثير من المؤرخين ، فالبعض يرى أنها تمت على يد مترجم المفوضية الإيطالية فى القاهرة ، ويعللون ذلك ، بأن الادريسي ـ أثناء تعلمه فى القاهرة ـ قد تعرف عليه ، ولما عزمت إيطاليا على القيام بحربها ضد الدولة العثمانية فى طرابلس الغرب ، وأرادت فتح جبهة جديدة عليها فى جنوب غرب الجزيرة العربية ، قام ذلك المترجم « بمذاكرة السيد الادريسي فقبل تنفيذ هذا المشرع » (٢) . والبعض الآخر يرى أن تلك العلاقة قد تمت على يد أبناء عمومة الادريسي ، المتواجدين فى القاهرة أثناء الحرب الإيطالية فى طرابلس الغرب (٣) . وهناك رأى ثالث يعتقد أن العلاقة بين الإيطاليين والأدراسة قد تمت بواسطة التجار العرب أصدقاء الادريسي على السواحل الغربية للبحر الأحمر فى عصب ومصوع (٤) .

ومن خلال هذه الآراء تبدو لنا عدة ملاحظات ، فالرأى الأول يحتمل تفسيرات ثلاثة :

---

(١) أباظة ، فاروق عثمان : الحكم العثمانى فى اليمن ، ص ٣٠٩ .

(٢) الواسعى اليمانى : مرجع سبق ذكره ، ص ١٢٦ ؛
شرف الدين ، أحمد حسين : مرجع سبق ذكره ، ص ص ١١٠ ـ ١١١ .

(٣) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » مجلة العرب ، الرياض ، م ٢ ، جـ ١٢ ، السنة الخامسة ، ١٣٩١هـ ، ص ١١٠٧ .

(٤) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ص ١٨٠ ـ ١٨١ .

١ ـ أن يكون الادريسى قد بدأ علاقته مع الإيطاليين على يد هذا المترجم أثناء دراسته فى القاهرة ، وهذا رأى خاطئ لأن الادريسي لم يكن فى تلك الفترة قد فكر فى تأسيس حكومة ، ولم يفكر ـ أيضاً ـ فى منابذة الدولة العثمانية ، فكيف يعقل ـ إذا ـ أن يبدأ علاقة مع إيطاليا حول أمر بعيد عن تفكيره .

٢ ـ أن يكون الادريسي قد عاد إلى القاهرة ـ مرة أخرى ـ وتذاكر مع المترجم حول العلاقة مع الإيطاليين ، وهذا ـ أيضاً ـ رأى مرفوض لأنه لم يثبت لنا أن الادريسى قد غادر منطقته بعد أن عاد إليها من رحلاته العلمية (١) .

٣ ـ أن يكون ذلك التعارف بين الإدريسي والمترجم له أثر فى كيفية العلاقة وبدايتها ، وهذا يمكن أن نقبله على اعتبار أنه سبب غير مباشر .

وأما أصحاب الرأى الثانى ـ فبالرغم من معرفتنا بوجود قرابة كبيرة للادريسي فى القاهرة ـ إلا أن هذا لا يكفى أن يكون دليلاً قاطعاً على أن العلاقة تمت بواسطتهم ، وإن كنا نستبعد أن يكون لهم دور فى ذلك ، ولهذا فلن نعارض هذا الرأى بقدر ما نتحفظ عليه .

وأما الرأى الآخير ـ وهو الذى نميل إليه ـ ، فإننا نعرف ان للإيطاليين مستعمرة فى ارتيريا ، على الشاطئ الغربى للبحر الأحمر المواجه لعسير والمخلاف السليمانى ، وأنه يقيم على تلك السواحل الكثير من التجار العرب أصدقاء الإدريسي وأصدقاء الإيطاليين ، فمن المؤكد أن هذه العلاقات قد تمت عن طريق الإيطاليين فى عصب ومصوع سواء بواسطة التجار العرب أو بدون واسطتهم . وتزداد قناعتنا بهذا الرأى ، عندما نعلم أن الإيطاليين قد أرسلوا رسلهم من مصوع إلى صبيا تعرض على الادريسي مسألة الاتفاق معهم ضد العثمانيين (٢) .

وعلى أية حال فقد تم التقارب ، وبدأت العلاقة ، حيث اتخذت صبغيتن : عسكرية واقتصادية ، فأما العسكرية : فإن إيطاليا تكلفت بامداد الادريسي بالمال والذخيرة

---

(١) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ١٨١ .

(٢) سعيد ، أمين محمد : الدولة العربية المتحدة ، جـ ٣ ، ص ٥ .

والسلاح ، كما تكلفت بمساعدته عسكرياً فى الحرب ضد العثمانيين وحصار بعض المدن والموانئ العسيرية التى يسيطر عليها العثمانيون ليمتد نفوذ الادريسي عليها . بينما تكفل الادريسي بأن يستفيد من هذه المساعدات الإيطالية ويزيد من عنف قتاله للعثمانيين فى منطقة ـ عسير والمخلاف السليمانى ـ لكى يشغلهم ويشتت قواتهم .

وأما الاقتصادية : فإن إيطاليا أبدت كامل استعدادها لأن تفتح موانئها فى مستعمراتها الإفريقية على الشاطئ الغربى للبحر الأحمر للتبادل التجارى مع موانئ الأدراسة ، واستقبال تجارتهم وبضائعهم ، مما سيؤثر تأثيراً إيجابياً على الوضع الاقتصادى فى عسير والمخلاف السليمانى فتنشط بذلك التجارة وتتوسع (١) ، كما أبدت كامل استعدادها لشراء المحاصيل الزراعية التى تنتجها منطقته ، مما دفع الأهالى إلى الاهتمام بالزراعة (٢) .

وعلى هذين الأساسين ـ العسكرى والاقتصادى ـ تم التحالف الإيطالى الادريسي ، وأصبح ميناء مصوع قاعدة بحرية للنشاط الحربى الإيطالى فى البحر الأحمر (٣) ، حيث بدأت منه أولى العمليات العسكرية لمعاونة الأدراسة ، فقد أرسلت إيطاليا سفينة حربية تحمل وفداً عسكرياً وأسلحة وذخيرة إلى صبيا ، فقابلها الادريسي واستلم تلك الامدادات من بنادق ومدافع وذخيرة ، وكان الوفد يتشكل من جنود المدفعية الإيطالية لتدريب القوات الادريسية على استعمالها (٤) .

وفى تلك الفترة ـ وبالتحديد فى (شهر رجب ١٣٢٩هـ / ١٣ يونيو ١٩١١م) كانت القوات الادريسية تخوض معركة هامة ضد العثمانيين الذين أرسلوا قواتهم إلى صبيا للقضاء على الحكومة الادريسية ، وكانت مُشَكَّلة من ثلاثة كتائب ، وفرقة نظامية من كتائب المشاه يصل مجموعها حوالى ٣٠٠٠ رجل ، وبطارية واحدة من المدفعية ، إلى

---

(١) أباظة ، فاروق عثمان : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩ ـ ١٩١٨م (القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٦م) ، ص ٥٤٨ .

(٢) النعمى ، هاشم سعيد : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣٦ .

(٣) Bury, op. cit. P. 17

(٤) البركاتى ، شرف عبد المحسن : مرجع سبق ذكره ، ص ٩ .

جانب ستة مدافع جبل ، واثنين مكسيم ، وعدة مئات من البغال ، وكمية كبيرة من الذخائر والمعدات الحربية [1] ، تحت قيادة محمد علي باشا ومحمد راغب بك .

أما جيوش الأدراسة فقد جمعها السيد محمد الادريسي من قبائل حَلِي وبني حُمُد وبني شُبَيْل وغيرهم من القبائل العسيرية تحت قيادة محمد طاهر رضوان [2] وفي الحفائر ـ قرب جازان ـ وقعت المعركة بين الفريقين ، ورغم قلة أعداد القوات الادريسية وقلة امكاناتهم الحربية إلا أنها انتصرت على العثمانيين وقضت على أغلب جنودهم ، وطاردت الفارين حتى وصلوا إلى جازان ، ومنها ـ عبروا البحر ـ إلى فرسان والقنفذه [3] ، وفي جازان ، خلفوا ورائهم الكثير من المؤن والأسلحة بعد أن حاولوا احراقها ، ولكن الادريسي أرسل رجاله فأطفئوا النار واستولوا عليها [4] .

ولقد قدر البريطانيون في الحديده خسارة العثمانيين في هذه المعركة بحوالى ألف إلى ألف وستمائة قتيل ، وأربعمائة من الجرحى ، وكثير من المفقودين ، بناء على اعترافات العثمانيين أنفسهم . كما أشيع أن قائدهم ـ محمد راغب بك ـ قد اختفى وقت القتال ، ويعتقد أنه أنتحر أو فر إلى ميناء مصوع ، كما أشيع ـ أيضاً ـ أن مرض الكوليرا قد انتشر فيمن بقى من الجنود العثمانيين ، واضطرت الدولة العثمانية أن ترسل سفينة النقل التركية (بحرى جديد ، BAHRI JADID) لنقل حوالى (٦٢٠) من المرضى والجرحى[5] .

---

(١) وثائق الخارجية البريطانية : No. 34 E F.o. 195 / 2376 من : نائب القنصل فى الحديده ، إلى : السفير البريطانى فى الأستانة . بتاريخ : ٢٣ يونيو ١٩١١م .

(٢) وثائق محلية (ادريسية) :
من محمد بن علي الادريسي ، إلى :الشريف الهمام ناصر بن حيدر . بتاريخ : ٢٨ جمادى الأول ١٣٢٩هـ .
نقلاً عن العقيلي : المخلاف السليماني ، جـ ٢ . ص ٧٩٩ .

(٣) وثائق الخارجية البريطانية : No. 22 E. F.o. 371 / 1570 من : ريتشارد سون ، نائب القنصل فى الحديده ، إلى : السير ج . لوثر ، السفير البريطانى فى الأستانة. بتاريخ : ٨ يوليو ١٩١٢م . (وثيقة سبق ذكرها) .

(٤) العقيلي : المخلاف السليماني ، جـ ٢ . ص ٧٠٧ .

(٥) وثائق الخارجية البريطانية : No. 34 E. F.o. 195 / 2376 من : نائب القنصل فى الحديدة ، إلى : السفير البريطانى فى استانبول . بتاريخ : ٢٣ يونيو ١٩١١م . (وثيقة سبق ذكرها)

وفى أحد المنشورات الادريسية نجد بياناً تفصيلياً لهذه المعركة ، وكيف صبر العيسيريون وقبائل المخلاف السليمانى حتى استطاعوا كسر شوكة القوات العثمانية والانتصار عليهم ، ـ والاستيلاء على نخائرهم ، وما حل بهم من أمراض وأوبئة (١) .

والجدير بالذكر أن هذه المعركة بين العثمانيين والأدراسة ، تعد من أروع الوقائع وأشهرها ، حيث تكبدت فيها الدولة العثمانية من الخسائر المادية والبشرية ما ضعضع كيانها فى المنطقة ، واضطر النواب العثمانيون فى مجلس المبعوثان أن يستجوبوا ناظر الداخلية ـ خليل بك ـ عن سبب الهزيمة التى حلت بالجيش العثمانى فى معركة الحفائر « فأجاب بكلام مختصر : أنهم (أى الجنود العثمانيين) وقعوا فى كمين نصبه لهم ثوار اليمن (يعنى ثوار عسير والمخلاف السليمانى) » (٢) . ولاشك فى أن الادريسي ـ بعد هذه المعركة ـ قد شعر بقوته المتزايدة ، وأن فى امكانه عمل الكثير فى سبيل استقلال المنطقة وطرد العثمانيين منها ، مما شجعه على مواصلة الحرب ضدهم مستفيداً من المساعدات الإيطالية . وكانت خطوته التالية تجاه القنفذة التى كانت ترابط فيها حامية عثمانية ، اضافة إلى الفلول الهارية من قوات العثمانيين بعد معركة الحفائر ، وقد أرسل الادريسي إلى قادة جيشه فى تهامة عسير بأن يجمعوا قواتهم فى (حلى بن يعقوب) انتظاراً لوصول الأسطول الإيطالى (٣) .

وفى شهر (ذى الحجة سنة ١٣٢٩هـ / ١٩ نوفمبر ١٩١١م) وصلت جيوش العثمانيين الهارية من معركة الحفائر إلى القنفذة بقيادة محمد على باشا ، بناءً على مشورة سليمان باشا ـ متصرف عسير ـ (٤) وعلى أثرها وصلت الأساطيل الإيطالية إلى سواحل القنفذة ، فى الوقت الذى كانت فيه القوات الادريسية من قبائل (قنا والبحر ،

---

(١) أنظر نص المنشور لدى :

العقيلى : المخلاف السليمانى ، جـ ٢ ، ص ص ٧٦٩ ـ ٧٧٩ .

(٢) برو ، توفيق : مرجع سبق ذكره ، ص ٣٢٨ .

(٣) العقيلى : المرجع نفسه ، ص ٧٠٨ .

(٤) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » مجلة العرب ، الرياض ، م١ ، جـ ٢ ، السنة السابعة ، ١٣٩٢هـ ، ص ص ١١٢ ـ ١١٣ .

وآل منجع ، والقوز الشاهد) (١) تفرض حصارها البرى على القوات العثمانية فى المدينة ، فقامت الأساطيل الإيطالية الراسية فى الميناء باطلاق النار والقنابل عليها ، فقتلت بعض أفراد الحامية العثمانية وأغرقت أربع سفن عثمانية من سفن خفر السواحل . وبذلك تمكنت القوات الادريسية من دخول القنفذة والاستيلاء عليها .

وفى العام التالى ، وبالتحديد فى (شهر ربيع الثانى ١٣٣٠هـ . مارس ١٩١٢م) تحولت الحرب إلى الجبهة الجنوبية حيث ميناء ميدى اليمنى . فقد أمر الادريسي قواته بأن تحاصر المدينة من البر فى الوقت الذى كانت فيه البوارج الحربية الإيطالية تقصفها من البحر ، حتى اضطرت الحامية العثمانية إلى الاستسلام ونقل أفرادها إلى صبيا كأسرى حرب (٢) .

وقد مر بنا أن الادريسي قام بزيارة إلى هذه المدينة فى (شهر شعبان ١٣٣٠هـ / يوليو ١٩١٢م) بعد استيلاء قواته عليها لكى يشرف على سير العمليات الحربية ضد الإمام يحيى وحلفائه العثمانيين ، ومن هنا حرر منشوره السياسى الهام ، الذى بين فيه تطور العلاقات بينه وبين الإمام يحيى ، كما بين فيه أسباب علاقته بالإيطاليين ، لأنه شعر بشيئ من السخط بين قبائله والقبائل اليمنية التى مالت إليه بعد صلح دعان ، وقد برر موقفه هذا بأنه من القوة التى أمر الله باعدادها عندما يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » (٣) .

وفى نفس العام ، وبالتحديد فى (شهر جمادى الثانى ١٣٣٠هـ / مايو ١٩١٢م) توجهت من ميدى قوة ادريسية بقيادة ابراهيم بن عطيف ـ كما مر بنا ـ إلى جزيرة

---

(١) من قبائل تهامة عسير .

(٢) وثائق الخارجية البريطانية : No. 22 E F.o. 371 /1570

من : نائب القنصل فى الحديدة ، إلى : السير جـ . لوثر ، السفير البريطانى فى الأستانة .

بتاريخ : ٨ يوليو ١٩١٢م . (وثيقة سبق ذكرها) .

(٣) وثائق محلية (ادريسية) :

منشور ادريسي ، من : محمد بن على الادريسي ـ ميدى ـ ، إلى : القبائل اليمنية .

بتاريخ : ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م . (وثيقة سبق ذكرها) .

نقلاً عن العقيلى : المخلاف السليمانى ، جـ ٢ . ص ص ٧٤٤ ـ ٧٤٥ .

فرسان(١) لقتال الحامية العمثانية فيها ، وقد زودت هذه القوة ببعض المدافع الإيطالية التى حملت على سبع أو ثمانى سفن كبيرة ولما اقتربت من سواحل الجزيرة قامت بفتح النيران على القوات العثمانية المرابطة هناك حتى تقهقرت إلى الداخل وبعد مقاومة فاشلة من العثمانيين سلموا أنفسهم للقوات الادريسية ، وتم ترحيلهم إلى ميدى كأسرى حرب (٢) . وبهذا تمكن الأدراسة من الاستيلاء على جزيرة فرسان التى أصبحت تشكل لهم أهمية اقتصادية ، ظهرت آثارها بعد الحرب العالمية الأولى (٣) .

وهكذا كان الادريسي يحارب العثمانيين مستفيداً من المساعدات الإيطالية التى كانت تقدمها له ، وكل ذلك على مرأى ومسمع من الدولة العثمانية التى كانت تدرك أبعاد هذا التعاون الإيطالى الادريسي ، وما قد أصابها من جراء المساندة الإيطالية البحرية للقوات الادريسية مما أثر على موقفها فى طرابلس الغرب ، فحاولت مبدئياً أن تجمد الموقف الحربى علي الجبهة الادريسية لتتفرغ لإيطاليا فى الجبهة الليبية ، وأرسلت من أجل ذلك ، رسالة إلى المتصرف العثمانى فى عسير ، تأمره فيها بأن يستفيد من النفوذ الأدبى والشخصى لدولة أمير مكة وأن يحسن المحافظة على الحالة الحاضرة فى بلاد عسير ، إلى أن يحل الوقت المناسب ، وأن يحاول انتهاز الفرص إلى أن تنتهى الحرب (٤) .

ولما وصلت هذه الأوامر العثمانية إلى متصرفها فى عسير ، وكان ـ أنذاك ـ فى محاولة للصلح مع الادريسي ، تراجع عن ذلك وقطع اتصالاته ، وفى الوقت نفسه أرسل

---

(١) جزيرة فرسان : احدى الجزر الهامة فى البحر الأحمر وأكبرها ، مقابل ساحل جازان بحوالى ٥٠ ميلاً إلى جهة الغرب .

أنظر العقيلى : المعجم الجغرافى ـ مقاطعة جازان ... ، ص ١٢٥ .

(٢) وثائق الخارجية البريطانية : No. 22 E F.o. 371 /1570

من : نائب القنصل فى الحديدة ، إلى : السفير البريطانى فى الأستانة .

بتاريخ : ٨ يوليو ١٩١٢م . (وثيقة سبق ذكرها) .

(٣) أنظر المزيد من التفاصيل لدى :

بالدرى ، چون : القوى والامتيازات المعدنية فى إمامة الادريسي فى عسير ، ترجمة : مركز دراسات الخليج العربى رقم ٢٨ من السلسلة الخاصة . (جامعة البصرة : ١٩٨٠م) . ص ص ٥ ـ ٤٠ .

(٤) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » مجلة العرب، الرياض ، م١ ، جـ ١ ، السنة السابعة ، ١٣٩٢هـ ، ص ٥٥ .

إلى حكومته فى استانبول يصور لها الحالة الحربية فى عسير وما وصلت إليها ، ويبلغها أنه لا سبيل إلى تجميد الموقف ، وطالبها بأن ترسل له قوات جديدة تواجه بها الحالة المتأزمة فى تهامة عسير وخاصة حول سواحل القنفذة (١) ، فاستجابت الحكومة العثمانية ، وأصدت أوامرها إلى قيادة الحجاز بأن ترسل قوة عسكرية إلى عسير والمخلاف السلميانى ، ولكن شريف مكة انتهز هذه الفرصة واقترح على الحكومة العثمانية أن يرافق القوة العثمانية فرقة من العربان تحت قيادة ابنه الشريف فيصل ، وما كان من الحكومة العثمانية إلا الموافقة وتكليف الشريف فيصل بتلك المهمة (٢) ، وقد أوحت إليه الحكومة العثمانية ببعض الحوافز المعنوية ليقوم بدوره كاملاً ومضاعفاً للقضاء على النفوذ الادريسي ، ومن تلك الحوافز اعطاءه ولاية عسير إذا نجح فى مهمته (٣) .

ومن هنا قامت القوة العثمانية الحجازية بقيادة الشريف فيصل بن الحسين ، وتوجهت إلى القنفذة ، وكان فى طريقه يراسل الشيوخ ويستميلهم إليه ، ويغدق عليهم الهبات ، مما جعل بعض القبائل ـ الموالية للادريسي ـ تميل إليه ، وأما القبائل التى مازالت على ولائها للادريسي ، فقد واجهت حروباً كثيفة من القوات العثمانية الحجازية ، التى تمكنت من احتلال (حلى ، ومحائل ، وقنا ، والبحر) ، وأحرقت قصر القائد الادريسى ـ مصطفى النعمى ـ (٤) ، ثم واصلت ـ القوة الحجازية ـ مسيرها نحو القنفذة حيث احتلتها وطردت القوات الادريسية إلى مواقعها فى قوز أبى العير (٥) . وانتهز الشريف فيصل هذه المناسبة وأرسل خطاباً إلى متصرف عسير بتاريخ (جمادى الثانى ١٣٣٠هـ / مايو ١٩١٢م) يخبره بتلك الانتصارات (٦) .

---

(١) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » ، المصدر نفسه ، ص ص ١١٧ ـ ١١٨ .

(٢) نصيف ، حسين محمد : ماضي الحجاز وحاضره ، ص ٢٠ .

(٣) Bury, op. 247.

(٤) النعمى ، هاشم سعيد : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣٦ .

(٥) العقيلي : المخلاف السليماني ، ص ٧٢١ .

(٦) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » مجلة العرب ، الرياض ، م٢ ، جـ ٧ ، السنة السابعة ، ١٣٩٣هـ ، ص ص ٥٢٧ ـ ٥٢٨ .

وفى هذه الفترة يصل التحالف الايطالى الادريسي إلى نهايته ، وذلك عندما أعلنت الهدنة بين إيطاليا والدولة العثمانية ، ووقع الطرفان معاهدة أوشى (لوزان) فى (شهر ذى القعدة ١٣٣٠هـ / ١٨ أكتوبر ١٩١٢م) ، والتى تقرر فيها أن يخرج العثمانيون من ولاية طرابلس الغرب ، لتصبح ضمن المستعمرات الإيطالية فى أفريقيا (١) .

ويجدر بنا هنا أن نناقش كيف انتهت علاقة الايطاليين بالأدارسة ، وكيف توقف التحالف بينهما ، لأن بعض المؤرخين يعتبرون ذلك تخلياً من الإيطاليين بعد أن حققوا أهدافهم ـ عن حلفائهم الأدارسة (٢) .

ولكى نرد على هؤلاء المؤرخين ، لابد أن نؤكد أن الإيطاليين والأدراسة قد اجتمعوا حول هدف مشترك ، فالإيطاليين كان هدفهم أن يشغل الأدارسه الدولة العثمانية فى جزء بعيد من ولاياتهم ليتفرغوا لغزو ليبيا واستعمارها . بينما كان هدف الأدراسة الاستمرار فى حرب الدولة العثمانية فى عسير والمخلاف السليمانى والحصول على السلاح والمعدات والأموال اللازمة لذلك عن طريق الإيطاليين ، ليتحقق لهم الاستقلال بالمنطقة عن الحكومة العثمانية ، أو ـ على الأقل ـ الاعتراف بالحكومة الادريسية كزعامة دينية وسياسية تحت سيادتهم ، وبناء على ذلك يكون من الطبيعى ـ بعد أن تحقق إيطاليا هدفها ـ أن تنتهى علاقتها بالأداسة ، وتوقف مساعداتها لهم (٣) ، وهـذا لا يعنى أنها قد تخلت عنهم بقدر ما هى نتيجة طبيعية ومتوقعة لعلاقة ارتبطت بهدف معين وغاية معينة ، فإذا ما تحققت هذه الأهداف وتلك الغايات ، فلابد أن تصل هذه العلاقة إلى نهايتها . ولاشك أن الادريسي كان مدركاً لهذه الخطوة من إيطاليا ، ومتقبلاً لكل نتائجها ، لاسيما وأن أقصى غايته من التحالف معها ، هو كسب السلاح والمال والمعدات ليواصل حربه ضد العثمانيين ، ولاشك أنه ـ أيضاً ـ كان يعلم أن انتهاء النزاع بين الإيطاليين والدولة العثمانية لا يعنى نهاية نزاعه معهم (٤) ، ولهذا نجد الادريسي قد ادخر من السلاح

---

(١) منسى ، محمود حسن صالح : الحملة الإيطالية على ليبيا ، ص ص ١٦١ ـ ١٦٨ .

(٢) الواسعى اليمانى : مرجع سبق ذكره ، ص ١٢٧ ؛
سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ١٨١ .

(٣) يعقوب ، هارولد . ف : مرجع سبق ذكره ، ص ١٦٨ .

(٤) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ١٨٢ .

الإيطالي ـ الذى امدته به خلال التحالف ـ ، ومن السلاح العثمانى ـ الذى غنمه نتيجة للمساعدات الحربية الإيطالية ـ ما أمكنه من مواصلة الحرب مع العثمانيين بعد انتهاء العلاقة بينه وبين إيطاليا . ولقد قدر بعض المعاصرين ذلك السلاح بحوالى « ٩٠ مدفعاً و ٢٠٠,٠٠٠ بندقية جديدة مع نخيرتها ... » (١) .

وقبل أن نختم هذا الموضوع ، يجدر بنا أن نُقوِّم علاقة الادريسي بإيطاليا ، والدور الذى قام به كل منهما تجاه الآخر . فمن تتبعنا للاحداث نرى أن الادريسي ـ منذ أن عاد إلى منطقته عسير والمخلاف السليمانى ـ وهو يسعى لتحقيق هدف محدد ، ووجدناه يسلك كل السبل الممكنة لتحقيق ذلك الهدف ، ومن ضمن هذه السبل ، اتفاقه مع إيطاليا . وأعتقد أن لجوءه لهذا السبيل كان نتيجة حتمية لعدة عوامل يمكن تلخيصها فيما يلى :

أولاً : موقف الدولة العثمانية : فلقد أصرت حكومة العثمانيين أن تحارب الأدراسة ، وأن تقضى على السيد الادريسي ، كما أصرت على ألا تعترف له بأى وضع مستقل فى المنطقة . ولاشك أن هذا الموقف العثمانى قد دفعه للتحالف مع إيطاليا عندما مدت يدها إليه .

ثانياً : موقف الإمام يحيى : ويتجلى هذا الموقف ، عندما وافق إمام اليمن على عقد صلح دعان مع الدولة العثمانية . وبذلك قطع كل ما كان بينه وبين الادريسي من تحالف واتحاد ، ليس هذا فحسب ، بل انه تحامل عليه وأصبح يناصر العثمانيين ضده ، مما جعل الادريسي يشعر بضعف موقفه وحاجته إلى من يناصره ـ ولو كان أجنبياً ـ ، فكان من الطبيعى أن يميل إلى إيطاليا بعد أن مالت إليه .

ثالثاً : موقف شريف مكة : لقد كان الشريف حسين فى صف العثمانيين ، وكان كثير التعاون معهم ضد الأدراسة ، ولاسيما بعد مساعدته فى فك حصار أبها ، حيث كان يرسل أبناءه على رأس الجيوش الحجازية لمشاركة القوات العثمانية فى حرب

---

(١) المنار ، م ١٦ ، جـ ١ ، ٧ مايو ١٩١٣م ص ص ٤٦٥ ـ ٤٧٠ .

الأدراسة ، ولاسيما القبائل الواقعة تحت النفوذ الادريسي فيما بين صبيا ، والحجاز (١) ، وهذا أيضاً دفع الادريسي لموالاة الإيطاليين بعد أن مالوا إليه .

كل هذه العوامل والظروف كانت سبباً مباشراً ، ودافعاً قوياً لاتجاه الأدراسة نحو إيطاليا ـ بعد أن تقربت إليهم ـ ليحققوا أهدافهم فى المنطقة وهى طرد العثمانيين ، والاستقلال بها . ولاشك أن الادريسي كان يشعر بضعف موقفه بين تلك القوى الثلاث ـ العثمانيين والإمام يحيى والشريف حسين ـ فخشى على نفسه منها ، ولذلك كان من الطبيعى أن يوالى أية قوة تواليه ضد أعداءه (٢) .

وعلى هذا الأساس يمكن القول : أن الادريسي ـ عندما تحالف مع إيطاليا ـ لم يكن خارجاً عن الجماعة الإسلامية ـ كما يقول بعض المؤرخين ـ (٣) ولكنه كان مدفوعاً بظروف سياسية حتمت عليه الالتقاء مع القوة الإيطالية ، فاستفاد منها وأفادها ، دون أن تكسب منه أى مغنم مادى ، أو كسب اقتصادى أو امتياز سياسى ، « وانطوت صحيفة الحساب فى حقلى الأخذ والعطاء . سلاح ومال ، يقابله مجهود حربى ، ولا شيئ غير ذلك » (٤) أى أن الادريسي لم يعط إيطاليا ـ مقابل مساعدتها له ـ أى مركز فى اقليمه يمس استقلاله .

وأما الدور الذى قام به كل من الأدارسة والإيطاليين بالنسبة لبعضهما ، فإنه يبدو واضحاً أن كلا منهما قد أفاد واستفاد ، وتحققت له غايته ، فالأدراسة ، قاموا بدورهم كاملاً ـ كما يجب ـ ، فأشغلوا القوات العثمانية فى عسير والمخلاف السليمانى ، حتى تحقق ما أرادته إيطاليا ، وانفردت بطرابلس الغرب . وهى أكبر مساعدة كان ينتظرها الإيطاليون من الأدراسة ، بل هى الغرض الوحيد الذي طلب منهم (٥) . وبذلك يكون

---

(١) أباظه ، فاروق عثمان : الحكم العثمانى فى اليمن ، ص ٣١٠ .

(٢) الريحانى ، أمين : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤ .

(٣) يعقوب ، هارولد . ف : مرجع سبق ذكره ، ص ١٥٥ .

(٤) العقيلى ، المخلاف السليماني جـ ٢ ، ص ٨٢٠ ؛

النعمى ، هاشم سعيد : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣٧ .

(٥) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ١٨٣ .

الأدراسة قد ساعدوا حلفاءهم مساعدة جادة وفعالة ، بعكس ما يراه أحد المؤرخين عندما يقول : ان الادريسي لم يساعد الإيطاليين بصورة جدية وباخلاص ، وأن مساعدته لم تكن فعالة (١) .

وأما الإيطاليون ، فقد أعطوا للأدراسة مالاً وسلاحاً ، حيث استخدموها فى حربهم ضد العثمانيين ، وادخروا منها ما يفيدهم فى المستقبل . ولم يكن هذا فحسب ، بل انهم ساعدوهم عملياً فى حصار القنفذة ، والاستيلاء على ميدى ، وفرسان . كما أرسلوا إليهم بعثة عسكرية لتدريب الجنود العسيرية على استعمال المدافع (٢) ، وهذه المساعدات الإيطالية ، زادت الأدراسة قوة وتمكناً لمواجهة العثمانيين . وهذا الدور من إيطاليا هو أقصى ما كان ينتظره الأدراسة بل هو الهدف الوحيد الذى أرادوه من التحالف مع الإيطاليين.

وسواء أكان الادريسي يعلم أن تحالفه مع إيطاليا سيسهل عليها الاستيلاء على طرابلس ، أو لم يكن يعلم ، فانه كان يدرك ، أن الوجود العثمانى فى طرابلس الغرب لا يُمَكِّنها من الدفاع عنها ، وقد أشار الادريسي إلى ذلك فى خطاب أرسله إلى الإمام يحيى ، اتهم فيه الحكومة العثمانية بأنها سحبت قواتها من طرابلس - أثناء الغزو الإيطالى على ليبيا - ومنعت الأهالى من الدفاع والجهاد ، وأن الكثير من كبار العسكريين الأتراك فى طرابلس ، قد أخذوا الرشوة فى سبيل اخلاء مواقعهم لإيطاليا ، ومن ضمنهم الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) ، الذى استقال من منصبه أثناء ذلك الغزو (٣) . ومما يؤكد وجهة نظر الأدريسي هذه ، أن الصدر الأعظم ، - فعلاً - قد قدم استقالته بسبب الحرب الطرابلسية لاتهامه بالتواطؤ مع إيطاليا ، اضافة إلى أن العثمانيين - فعلاً - قد سحبوا حامياتهم من هناك قبيل الغزو الإيطالى ، وأرسلوها إلى عسير لمحاربة الأدراسة (٤) .

---

(١) يعقوب ، هارولد . ف : مرجع سبق ذكره ، ص ١٥٦ .

(٢) برو ، توفيق : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤٦ .

(٣) أنظر نص الخطاب :

زبارة : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر ... ، ص ص ٢٣٦ - ٢٣٧ ؛

المنار ، م ١٦ ، جـ ٤ ، ٧ أبريل ١٩١٣م ، ص ص ٣٠٠ - ٣١١ .

(٤) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ١٧٩ .

وعلى أية حال ، فإن التحالف الإيطالى الادريسى ، قد حقق للأدراسة نتيجة هامة ، وهى أن الدولة العثمانية أحست بموقفهم الثابت وخطورتهم المتزايدة ، فراحت تسعى للصلح معهم .

٢ ـ المساعى العثمانية للصلح مع الأدراسة :

مر بنا ـ أنفا ـ أن الأدراسة قد بلغوا من القوة والاستعداد الحربى ـ نتيجة لتحالفهم مع إيطاليا ـ ما يمكنهم من مواصلة الحرب ضد الدولة العثمانية ، التى كانت ـ أنذاك ـ تمر بظروف حرجة ، فقررت أن تصل معهم إلى سلام ، لعلها تتفرغ للمشاكل والظروف التى داهمتهم .

ولاشك فى أن الدولة العثمانية لم تسلك هذا الطريق قناعة بزعامة الادريسي ، وحقه فى أن يدير شئون المنطقة . ولكنها كانت مجرد خطوة ساسية ، الهدف منها تهدئة الأمور وتسكينها على جبهة الأدراسة ، لتتفرغ للجبهات الأخرى . وعندما تنتهى منها تعود ـ من جديد ـ لحرب الأدراسة ، ومحاولة التخلص من زعيمها ، وهذا نابع من السياسة المركزية التى تطبقها حكومة الاتحاديين والتى تنادى بعدم الاعتراف بأى قوة محلية أو وضع خاص للزعماء المحليين ، إلا إذا أجبرتها الظروف (١) .

ومن هنا فقد قامت الحكومة العثمانية بمحاولات مكثفة للصلح مع الأدراسة وقد كان الإمام يحيى فى بعضها وسيطاً ومشاركاً كما أن الادريسي كان سريع الاستجابة لكل الخطوات السلمية التى تقدمت بها الحكومة العثمانية ، طمعاً منه فى أن يجد لديها اعترافاً بوضعه ومركزه وتفهماً لقضيته التى ثار من أجلها ، ولقد مرت تلك المحاولات بالمراحل التالية :-

أولا : محاولة المتصرف العثمانى فى عسير :-

عندما أعلنت إيطاليا حربها فى طرابلس الغرب ، واتجهت بعض أساطيلها نحو الجنوب من البحر الأحمر ، ـ حيث السواحل اليمنية والعسيرية أدرك سليمان باشا ـ

---

(١) أباظه ، فاروق عثمان : الحكم العثمانى فى اليمن ، ص ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

متصرف عسير ـ ، خطورة الموقف إذا ما استمر الأدراسة فى عدائهم وحروبهم للعثمانيين ، ولذلك قرر أن يقوم بجهد فردى ، يحاول فيه أن يضمنهم إلى جانب الحكومة العثمانية ويبعدهم عن أى علاقة مع إيطاليا فقام بالخطوات التالية :

١ ـ جمع مشايخ سراة عسير فى (٢٣ ذى القعدة عام ١٣٢٩هـ / النصف الأول من نوفمبر ١٩١١م) ـ أى بعد قيام الحرب الإيطالية الليبية بشهر ونصف ـ وأخبرهم بكل أبعاد الموقف ، وأن إيطاليا لن تكتف بالسواحل العسيرية فقط ، بل أنها ستمد يدها إلى الجبال ، وطالبهم بالدفاع عن بلادهم ، والوقوف إلى جانب الحكومة العثمانية ، فأجابوه بالسمع والطاعة .

٢ ـ عرض على المشايخ موقف الأدراسة والقبائل المناصرة لهم فى تهامة عسير والمخلاف السليمانى ، وأنهم لايزالون فى حالة ثورة ومحاربة للحكومة العثمانية ، وطالبهم بأن يقفوا بجانبه ضد الأدراسة ، واستشارهم فيما يمكن أن يعمله ضدهم .

٣ ـ اتفق الجميع على أن يكتب المتصرف العثمانى إلى السيد محمد الادريسي كتاباً يدعوه إلى الصلح مع الدولة العثمانية ، فإن استجاب فهذا هو المطلوب ، وإن رفض وتمادى كانوا جميعاً حرباً عليه وعلى أنصاره (١) .

وعلى الفور قام المتصرف العثمانى وحرر رسالة إلى الادريسي فى (٢١ شوال ١٣٢٩هـ / سبتمبر ١٩١١م) بين له فيها ما حل بطرابلس الغرب على يد الإيطاليين ، وما يجب على المسلمين من اتحاد واجتماع ضد أعداء الدين ، ويدعوه فيها إلى الصلح والسلم . وما أن قرأ الادريسي هذا الكتاب حتى بادر بالرد عليه فى آخر الشهر المذكور ، وقد بين فيه رغبته الأكيدة فى الصلح ، وأخبره أنه قد انتدب الشيخ محمد باصَهِىْ على رأس وفد للمفاوضة والاتفاق ، على أن لا يتجاوز الوفد مدينة رجال ألمع ـ وهى أحدى القبائل الهامة فى تهامة عسير المناصرة للادريسي ـ لأنه لا يطمئن إلى نوايا العثمانيين

---

(١) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » ، مجلة العرب ، الرياض ، م ١ ، جـ ١ ، السنة السابعة ، ١٣٩٢هـ ، ص ص ٥١ ـ ٥٤ .

لو وصل وفده إلى أبها – مركز المتصرفية – فإن أراد المتصرف العثمانى الصلح ، فلتكن هذه المدينة هى مقر الاجتماع والمفاوضات (١) .

ولما وصل الوفد الادريسي إلى (رجال ألمع) ، تبودلت الرسائل مع المتصرف العثمانى لكى يحضر ، أو يرسل وفده للمفاوضات فى الصلح ، لكنه رفض وأصر أن يكون الاجتماع عنده فى أبها ، معللاً ذلك بأن نزوله إلى (رجال ألمع – وهى ما تزال ثائرة – يعنى زيادة فى نفوذ الادريسي ، واختلف الطرفان على مكان الإجتماع وأصر كل منهما على رأيه فلم تسفر هذه المحاولة عن أى نتيجة .

ويجب أن نشير هنا إلى أن هذا الاصرار من جانب المتصرف العثمانى كان بناء على موقف الحكومة العثمانية من هذه الخطوة الانفرادية التى يقوم بها المتصرف ، فقد أرسلت برقية تبين فيها ، أن هناك محاولة من جانب عزت باشا لدعوة الادريسي إلى الأستانة ، وقد فهم المتصرف من تلك البرقية أن حكومته تمنعه من مواصلة التفاوض مع رجل يتولى زعامة الثورة على الدولة بدون استئذان منهم ، ولهذا السبب تشدد فى مسألة تحديد مكان الاجتماع ، وتذرع بالأعذار السابقة حتى توقفت المحاولة وانقطعت المفاوضات (٢) . وقد كان لاخفاق هذه المحاولة ، أسوأ الأثر فى نفس السيد الادريسي ، الذى حلل هذا الموقف العثمانى تحليلاً منطقياً ضمن رسالة أرسلها للإمام يحيى ، وسنتعرض لها بعد قليل .

ثانياً : محاولة الادريسي مع حامية ميدى العثمانية :-

وأثناء المحاولة السابقة ، كان الادريسي يحاول أثبات رغبته الأكيدة فى أن يتم بينه وبين العثمانيين صلح يعترفون فيه بوضعه ومركزه الخاص فى المنطقة ، فأرسل إلى قائد الحامية العثمانية فى (ميدى) رسالة مؤرخة فى (شوال ١٣٢٩هـ/ سبتمبر١٩١١م) ،

---

(١) زياره : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر ... ، ص ص ١٩٦ – ١٩٩ ؛ المنار ، م ١٦ ، جـ ٥ ، ٧ مايو ١٩٢٣م ، ص ص ٣٨٨ – ٣٩١ .

(٢) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » ، مجلة العرب ، الرياض ، م ١ ، جـ ١ ، السنة السابعة ، ١٣٩٢هـ ، ص ص ٥١ – ٥٤ .

وقد قدم فيها عروض الصداقة والتعاون كبداية للصلح بين الفريقين . وقد أجاب القائد العثمانى فى (ميدى) على تلك الرسالة ، بأنه أرسل صورة منها إلى الآستانة ، وأنه ينتظر الجواب من حكومته ، وسيخطره بالنتيجة عندما تجيب العاصمة العثمانية ، واختتم القائد العثمانى رسالته بقوله : « وربنا يؤلف بين القلوب ويصلح ذات البين ... » (١) . وقد اشار الادريسي إلى هذه المحاولة ـ أيضاً ـ فى رسالته إلى الإمام يحيى التى سنتعرض لها فيما بعد .. وهذا يعنى أن الادريسي كان راغباً ـ من ناحيته ـ فى الصلح مع العثمانيين لو اعترفوا بمركزه داخل نطاق الدولة العثمانية .

ثالثاً : وساطة الإمام يحيى للصلح بين الأدراسة والعثمانيين :-

بعد عقد معاهدة (دعان) بين الإمام يحيى والعثمانيين ، رأت الحكومة العثمانية أن تستفيد من الإمام يحيى ، فوسطته بينها وبين الأدريسي لعقد صلح مماثل لصلح دعان . وقد استجاب الإمام يحيى . فشكل وفداً يمنياً يضم كلاً من السيد أحمد بن محمد بن قاسم الأهنومى ، ومحمد بن على أحمد الذارى والسيد عبد العزيز بن يحيى المتوكل الشهارى ، ومحمد بن محمد الشراعى الحسينى الحوشى (٢) ، وأمرهم بالمسير إلى صبيا والاجتماع بالسيد الادريسي ، وأن يعرضوا عليه الصلح « للم شعث الإسلام وحقن دماء أمة سيد الأنام ، والتعاون على ما يتم به اعزاز الإسلام وصون البلاد عن الكافرين والمشركين » (٣) .

وفى شهر (ربيع الأول سنة ١٣٣٠هـ / فبراير ١٩١٢م) وصل الوفد إلى صبيا واجتمعوا بالادريسي ودارت بينهما المفاوضات ـ حيث أكد الادريسي رغبته الجادة فى السلم ، ولكنه بين لهم أن الشروط التى منحها العثمانيون للإمام يحيى فى دعان لا ترضيه .

---

(١) المنار ، م ١٦ ، جـ ٥ ، ٧ مايو ١٩١٣م ، ص ٣٩١ .

(٢) زباره : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر ... ، ص ٢٣٣ .

(٣) الحداد ، يحيى بن على ناجى : عمدة القارى ... ، (مخطوط) ، ص ص ١٠٠ ـ ١٠١ .

ولما عزم الوفد اليمنى على العودة إلى صنعاء حملهم خطاباً للإمام يحيى جواباً على الرسالة التى حملوهـا إليـه ، وكان تاريخ الرسالة فى (١٧ ربيـع الأول ١٣٣٠هـ / فبراير ١٩١٢م) (١) . ولقد بين فيها الكثير من النقاط الجديدة بالاشارة والتعليق ، وهى كما يلى :

أولاً : لقد أوضح الادريسي فى هذا الخطاب موقفه من الحكومة العثمانية ، وسعيه الجاد نحو الصلح فى الوقت الذى كانت فيه الدولة تعطيه الوعود بذلك ثم تخلفها ، إيماناً من زعمائها بالحكم المركزى المبنى على السيطرة بالقوة وعدم السماح لأية قوة محلية أن ترفع رأسها أو تتمتع بكيانها الخاص ولو تحت السيادة العثمانية .

ثانياً : ثم استعرض الادريسي كل المساعى والمحاولات العثمانية للصلح معه ليؤكد للإمام يحيى ذلك الموقف العثمانى تجاهه ، وهى أربع محاولات نوجزها فيما يأتى :

الأولى : بواسطة محمد توفيق ، ويقصد به توفيـق الأرنؤوطى الذى توسـط لعقد اتفاق الحفائر ، وقد مر بنا أنهم اتفقوا على شروط معينة ، ومن ضمنها الأعتراف به كقائمقام فى المنطقة ، وأن يعترف بالسيادة العثمانية . وقد كان هذا الاتفاق مؤقتاً لتهدئة الأمور ـ أنذاك ـ حيث أرسلت إليه بعذ ذلك قوة حربية للقضاء عليه .

الثانية : بواسطة الإمام يحيى وعزيز المصرى ، وقد حصلت هذه المحاولة بعد صلح دعان مباشرة ، حيث أرسل عزت باشا أحد أركان حربه العرب وهو عزيز على المصرى ليطلب من الادريسي زيارة الأستانة واللقاء بحكومة الاتحاديين هناك ، ولكن الادريسي إدرك أن هذه خطة سياسية ضده ، فامتنع عن ذلك ، وفشلت هذه المحاولة .

الثالثة : بواسطة السيد الشراعى ، وقد وافق السيد الادريسي على هذه المحاولة ، ولكن الدولة العثمانية تراجعت ولم تتم هذه المحاولة .

الرابعة : مع سليمان باشا ـ متصرف عسير وهى المحاولة التى تعرضنا لها قبل قليل ، وقد اتهم الادريسي ـ فى كتابه هذا ـ متصرف عسير ، بأن هذه المحاولة كانت مناورة

---

(١) زباره : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر ... ، ص ص ٢٣٣ ـ ٢٤١ ؛ المنار ، م ١٦ ، جـ ٤ ، ٧ أبريل ١٩١٣م ، ص ص ٣٠٠ ـ ٣٠٧ .

سياسية لتهدئة الموقف حتى يتمكن المتصرف من الاستعداد بالمؤن والأرزاق والعتاد ، لأنه كان حينذاك ـ معدماً وضعيفاً ، فلما وجد فى نفسه القوة أرسل قواته لمحاربة الادريسي .

والجدير بالذكر هنا ، أن متصرف عسير ، عندما نشر مذكراته ، رد على الادريسي فى هذه التهمة وقال : إنه اطلع على الرأى الذى أبداه الادريسي فى كتابه للإمام يحيى ـ عن محاولة المتصرف الاصلاحية ، وأن الحقيقة التى يجب أن تعرف ، هى أنه ـ يعنى المتصرف ـ لم يرفض الإتفاق مع الادريسي بكبرياء بعد أن استفاد من فرصة السكينة وثبت نفوذه وقوى مركزه ، وأنه لم يستعمل الحيل والدسائس مع أحد فى عسير صغيراً أو كبيراً ـ كما قال عنه الادريسي ـ ، كما يشير المتصرف فى رده هذا ، إلى السبب الحقيقى الذى دفعه لقطع المفاوضات ، وهو رفض الحكومة العثمانية أن يقوم المتصرف بعمل فردى ، فى الوقت الذى كانت تخطط فيه لاستدعاء الادريسي إلى الأستانة ، كما يضيف المتصرف رأياً جديداً فى موقف الادريسي من محاولة الصلح المنفردة ، فيقول : ان موافقة الادريسي على الصلح ـ آنذاك ـ لم تكن عن رغبة أكيدة منه للتفاهم والصلح ، وإنما هى خطوة سياسية يوهم بها الرأى العام فى عسير والعالم الإسلامى لئلا ينقلب ضده إذا علم بتحالفه مع إيطاليا ، ويدلل على ذلك باصرار المندوب الادريسى ـ الذى وصل إلى (رجال ألمع) بعدم مغادرتها إلى (أبها) ـ مركز المتصرفية ـ ، ولذلك أصر المتصرف على ألا يغادر أبها إلى رجال ألمع ، خوفاً من الهلكه ، وخوفاً على مركز الدولة العثمانية ونفوذها وسمعتها ، ويقول ـ أيضاً ـ : لو أن الادريسي أذن لمندوبه أن يصل إلى أبها والاذعان لشروط الدولة العثمانية ، لتم ذلك الصلح ، ونجحت تلك المحاولة (١) .

ومن خلال هذا الرد العثمانى ـ على لسان متصرف عسير ـ يتضح لنا نقطة هامة ، وهى أن الحكومة العثمانية تريد من كل تلك المساعى والمحاولات ، أن تفرض وجهة نظرها ، والشروط التى تناسبها على الادريسي ، تاكيداً لسيطرتها ونفوذها . وهذه ـ بلا شك ـ ترجمة حقيقية للسياسة المركزية التى سيطرت على العقلية العثمانية أثناء حكم الاتحاديين .

---

(١) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » ، مجلة العرب ، الرياض ، م ١ ، جـ ٢ ، السنة السابعة ، ١٣٩٢هـ ، ص ١١٩ .

ثالثاً : كما أشار الادريسي - فى هذه الرسالة - إلى محاولته مع حامية (ميدى) العثمانية من أجل السلام ، والتى لم تقابل من الحكومة العثمانية إلا بالصد والاعراض .

رابعاً : ثم يستطرد الادريسي فى ذكر الموقف العسكرى للحاميات العثمانية المتواجدة فى السواحل العسيرية عندما تقوم الأساطيل الإيطالية بقصفها ، حيث تهرب من مواقعها إلى داخل المدنية ولا تقوم بأى عملية دفاعية ، ثم يشبه هذه المواقف العثمانية بمواقفهم فى طرابلس الغرب ، عندما سلموا المدينة للمحتلين الإيطاليين دون القيام بأى عمل عسكرى دفاعى ، وهو هنا يندد بالسياسة العثمانية فى عسير والمخلاف السليمانى ، ويصفها بعدم القدرة على حمايتها أو اسعاد أهلها .

خامساً : ورداً على طلب الإمام يحيى بأن يوافق الادريسي على عقد صلح مماثل لصح دعان ، نجد الادريسي فى هذه الرسالة ، يبدى رأيه فى ذلك الصلح ، وأنه غير مشرف ، بل انه يشمئز كلما ذكره ، ثم يلقى اللوم الشديد على الإمام يحى الذى تناسى الحلف الذى بينهما وآثر العثمانيين عليه ، مؤكداً للإمام أن العثمانيين لم يلجئوا للصلح معه إلا لظروفهم وحرج موقفهم .

سادساً : ثم يحمل الادريسي على حكومة الاتحاديين ، لضعفها وابتعادها عن الجامعة الإسلامية ، واحلال الجامعة العثمانية محلها . فبدأت المشاكل تحيط بها من كل جانب . ففى الداخل ضج الرعايا المسلمون من الأتراك وغيرهم ، واستقلت ولاية البلغار ، وولايتا البوسنه والهرسك ، وفرطت فى طرابلس الغرب للإيطاليين . ويؤكد الادريسي هنا ، أن ذكره لهذه الأحداث التاريخية التى مرت بها الدولة العثمانية فى عهد الاتحاديين ، إنما يرجع إلى سوء سياستهم الإسلامية ، ويؤكد - أيضاً - أنهم - يعنى الاتحاديين - هم السبب فى انهيار الدولة العثمانية ، وفيما حل بالبلاد العربية والإسلامية . ويبدو لنا هنا ، أن الادريسي كان على علم كبير وثقافة تاريخية وسياسية واسعة ، عندما تعرض لهذه الأحداث السياسية التى أثرت فى كيان الدولة العثمانية .

سابعاً : ويؤكد الادريسي فى رسالته ، أن الحكومة العثمانية لم تصدق فى وعودها ، ولم تف بمواثيقها فهى ان عاهدته - فانما يكون عهداً مؤقتاً ، حتى تتمكن وتتقوى ، فتعود لحربه من جديد . ويضرب للإمام يحيى مثلاً بصلح الحفائر وما اعقبه من حروب.

ثامناً : وأخيراً يختم الادريسي رسالته بالتأكيد على رغبته فى الصلح مع العثمانيين ، وأنه يوافق على كل ما فيه صلاح الإسلام والمسلمين ، ولكن على شروط تختلف عن شروط صلح دعان ، ويقترح أن يكون هذا الصلح على أساس المشاركة بينه وبينهم فى كل شيئ « شركاء فى المواقع بدون خداع فى الحال والاستقبال (أى فى الحاضر والمستقبل) ، شركاء فى الرأى ، حتى نعلم ما يراد بنا ونؤدى ما أوجب علينا ربنا ، ولا نكون ألعوبة للاتراك ، بل نكون على أمن من ذلك كله ، (فإذا وافقوا) فأهلاً بالوفاق وسهلاً »(١) . ولا شك أن هذه المطالب الادريسية ، تدل دلالة أكيدة على قوة نفوذه ، واعتداده بمركزه ، فهو يطمح إلى أن يكون مشتركاً مع العثمانيين فى كل شيئ ، فى الرأى والموقع ، والدفاع عن الدين .

وهكذا أوضح الادريسي بجلاء ، موقفه من محاولة الإمام يحى وتوسطه للصلح ، وكذلك موقفه من المساعى العثمانية للصلح معه ، مدعماً رسالته « بكل الأدلة القاطعة ، والبراهين الواضحة التى تؤكد ـ بما لا يدع مجالاً للشك ـ لباقته وسعة اطلاعه ، ونبوغه السياسى »(٢) .

رابعاً : محاولة الوالى العثمانى فى صنعاء ـ محمود نديم ـ بمشاركة الإمام يحيى :

وفى سنة (١٣٣١هـ ١٩١٢م) ، قررت الحكومة العثمانية أن تقوم بمسعى جديد للصلح مع الأدارسة ، فأصدرت أوامرها إلى والى صنعاء ـ محمود نديم بك ـ للقيام بهذه المحاولة ، وأن يزور الادريسي فى صبيا ، مع هيئة علمية من كبار رجال الإمام يحيى وذلك « لالقاء النصائح الدينية ، وحمله على العدول عن شق عصا المسلمين ، والإنابة عن سفك دماء الموحدين ، والخوض فيما يكون به اطفاء نار فتنته المضلة التى أشعلها فى البلاد »(٣) . وقد قام الوالى العثمانى بتشكيل وفد يضم كلاً من عصمت بك

---

(١) أنظر نص الراسلة لدى :

زباره : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر ... ، ص ص ٢٣٣ ـ ٢٤١ ؛

المنار ، م١٦ ، جـ ٤ ، ص ص ٣٠٠ ـ ٣٠٧ .

(٢) أباظه ، فاروق عثمان : الحكم العثمانى فى اليمن ، ص ٣١٥ .

(٣) سالم ، السيد مصطفى : وثائق يمنية ، وثيقة رقم ٣٢ ص ص ٢٨٠ ـ ٢٨٧ .(أنظر الملحق وثيقة رقم ٢) .

ـ رئيس أركان الحرب فى صنعاء ـ ، وحسين كامل بك ـ رئيس مجلس التدقيق ، والمتصرف العثمانى فى الحديدة ، وقائمقام اللحية ثم اتصل بالإمام يحيى ، ليختار له من رجاله المخلصين هيئة علمية تشاركه فى هذه المهمة ، فوقع الأختيار على السيد القاسم بن حسين العزى ، والقاضى عبد الله بن حسين العمرى ، والقاضى عبد الكريم مطهر ، والسيد محمد الأهدل ، والسيد عبد البارى الأهدل ، والسيد أحمد بن يحيى الأهنومى[١] .

وفى صنعاء اجتمع الوفدان العثمانى واليمنى ، ثم توجهوا إلى اللحية فوصلوها فى (٢٠ ربيع الثانى سنة ١٣٣١هـ / مارس ١٩١٣م) ، وفيها تشكل وفد فرعى برئاسة قائمقام اللحية ـ ابراهيم خليل بك ـ والسيد القاسم العزى ـ ناظر الوصايا ، وبعض الشخصيات العثمانية ، حيث اتجهوا إلى صبيا وقابلوا السيد محمد الادريسي فى (٢٣ ربيع الثانى من العام نفسه) ، وتباحثوا معه فى المهمة التى ارسلوا من أجلها ، وأخبروه بأن الوالى العثمانى ـ محمود نديم فى اللحية ، ويتطلع إلى لقائه لاستكمال المباحثات ، فوافق الادريسي على ذلك واتفق الجميع على أن يكون اللقاء فى مدينة ميدى .

ولما وصل الوفد العثمانى إلى هذه المدينة ، جاءهم الشيخ محمد بن يحيى باصَهِيْ ـ وزير الادريسي ـ ليخبرهم أن السيد محمد الادريسي قد تراجع عن الحضور ، وأنه لم يأت كمفوض رسمى للمحادثة فى أمور الصلح ، وإنما جاء لكى يستمع إلى مطالب العثمانيين وشروطهم ثم ينقلها إلى السيد الادريسي[٢] .

وقد يتساءل البعض : ولماذا لم يحضر الادريسي إلى ميدى حسب وعده واتفاقه المسبق مع الوفد الفرعى : ولعل الإجابة المنطقية لهذا السؤال هى أن الادريسي كان يستشعر الخوف والحذر فى مثل هذه اللقاءات ، لأنه لم يطمئن إلى سياسة العثمانيين تجاهه وسلامة نياتهم ، ولذلك كان يخشى الغدر به ، ولاسيما إذا علمنا أنهم قد حاولوا ـ أكثر من مرة ـ أن يقبضوا عليه ويرسلوه إلى العاصمة ، أو أن يقضوا عليه بأية وسيلة[٣] .

---

(١) زباره : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر ... ، ص ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

(٢) سالم ، السيد مصطفى : وثائق يمنية ، وثيقة رقم ٣٣ (سبق ذكرها) ، ص ٢٧٥ ؛ المنار ، م ١٦ ، جـ ٦ ، ٥ يونيو ١٩١٣م ، ص ٤٦٩ .

(٣) « بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا » ، مجلة العرب ، م ١ ، جـ ١ ، السنة السابعة ، ١٣٩٢هـ ، ص ص ٥٥ .

وعلى أية حال ، فقد تأثر الوفد العثماني من هذا الموقف الادريسي ، ولكنهم لم ييأسوا من امكانية اللقاء به ، وطلبوا إلى محمد باصهى ، أن ينقل إلى السيد الادريسي استعدادهم لأن يجتمعوا به فى أى مكان يحدده ، سواء أكان (حرض أو صامطه أو جازان) [١] . فاختار السيد الادريسي مدينة جازان ، وقد وصل الوفد العثمانى إليها فى (٢٨ جمادى الثانى ١٣٣١هـ / مايو ١٩١٣م) ، وتم الاجتماع بينهم وبين الادريسي ، حيث قدموا مذكرة بالشروط التى تناسبهم وتخدم مصالحهم ، وقالوا بأنها تمثل الحد الأدنى لما يمكن أن يتصالحوا عليه مع الأدارسة ، وهى كما يلى :

أولاً : أن يكون الادريسي رئيساً على جهات تهامة عسير والمخلاف السليمانى .

ثانيـاً : أن يتخلى عن علاقته بالأجانب .

ثالثـاً : أن يخضع لطاعة الإمام يحيى .

رابعاً : تضمن له الدولة العثمانية راتباً شهرياً [٢] .

ولكن الادريسي رفض هذه الشروط ، لاسيما وأنها أكدت فى الشرط الثالث على أن يكون خاضعاً للإمام يحيى ، وهذا ما لم يقبل به الادريسي ، لأنه يحمل من الحساسيات ضد إمام اليمن الشيئ الكثير فقد كانا ـ كما مر بنا ـ رفيقى درب فى النضال ضد العثمانيين ثم افترقا بعد صلح دعان ، بل أن الحرب بينهما قد زادت من تلك الحساسيات .

وقد حاول العثمانيون ـ أثناء الاجتماع ـ أن يقنعوا الادريسي بالموافقة على تلك الشروط ولكن بدون نتيجة ، وظل كل فريق متمسكاً بأرائه وأفكاره [٣] ، وبذلك تفشل هذه المحاولة الاصلاحية ، ويعود العثمانيون إلى صنعاء ولديهم انطباع سيئ عن الأدراسة وموقفهم تجاه هذه المحاولة . ولذلك كتب الوالى ـ محمود نديم بك ـ منشوراً وزعه على الأهالى اليمنيين ، بين فيه سبب هذه المحاولة ، ووصولهم إلى الادريسي ومفاوضته

---

(١) من مدن المخلاف السليمانى .

(٢) الواسعى اليمانى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦ .

(٣) زباره : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر ، ص ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

ورفضه لشروطهم ومطالبهم ولا شك أنه كان يهدف بذلك إلى تشويه صورة الادريسي فى نظر الرأى العام اليمنى لاثارتهم عليه (١) .

كما كتب السيد قاسم العزى تقريراً مفصلاً للإمام يحيى عن هذه المحاولة ، وموقف الارديسي من المفاوضات ، وبين فيها أراءه وانطباعاته عن الادريسي حيث وصفه بأبشع الصفات وأقذعها . الأمر الذى لا يليق صدوره من عالم فاضل مثله (رحمه الله) . وقد جعل هذا التقرير على هيئة كتيب وأسماه « محادثة الجليس بصفة العزم إلى ابن ادريس » (٢) . وعلى هذا الحال انتهت المرحلة الرابعة من محاولات الصلح .

خامساً : محاولة العاصمة العثمانية نفسها وموقف الادريسي منها :-

ولما وجدت الحكومة العثمانية ، أن كل مساعيها السابقة ذهبت سدى ، وأن الادريسي لم يقتنع بكل الشروط التى قدمتها له ، رأت أن تقوم بمحاولة جديدة ، وكانت صادرة من العاصمة العثمانية نفسها ، حيث أعلنت (فى سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م) عن شروطها الجديدة ، والتى ترجو أن يوافق الادريسي عليها ويقتنع بها . وكانت تتضمن ما يلى :

أولاً : أن يعترف الادريسي بنفوذ السلطان العثمانى .

ثانياً : أن يتعهد بعدم الدخول فى مفاوضات مع الدول الأجنبية دون موافقة الباب العالى .

ثالثاً : أن يرسل فائض واردات مقاطعته إلى الاستانة .

رابعاً : أن يرضى بتعليم وتدريب السكان من قبل ضباط عثمانيين لكى يخدموا فى الميلشيا وأن يرسلوا ـ إذ اقتضى الأمر ـ إلى ولايات أخرى (٣) .

---

(١) سالم ، السيد مصطفى : وثائق يمنية ، وثيقة رقم (٣٣) ، ص ص ٢٨٠ ـ ٢٨٧ . (وثيقة سبق ذكرها) .

(٢) أنظر : زباره : نزهة النظر فى رجال القرن الرابع عشر ، ص ص ٤٧٨ ـ ٤٧٩ ؛
أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر ، ص ص ٢٧٢ ـ ٢٧٧ ؛
الحبشى ، عبد الله محمد : مصادر الفكر الإسلامى فى اليمن ، ص ٤٦٩ .

(٣) برو ، توفيق : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤٥ .

ويبدو من خلال هذه الشروط ، أن الحكومة العثمانية قد اعترفت ـ ضمنا ـ بوضع السيد محمد الادريسي ومركزه فى المنطقة ، ولكنها طلبت منه صراحة أن يعترف بسيادتها عليه وعلى المنطقة ، وأن يرجع إليها فى كل الأمور السياسية والعسكرية والاقتصادية ، ولذلك فإن الادريسي أدرك أن الحكومة العثمانية لم تزل على سياستها السابقة معه ، وأنها ليست صادقة فى مساعيها الاصلاحية ، فرفض هذا العرض ، وأعلن أن هذه الشروط قد ترضيه لو عرضت عليه قبل عامين أو ثلاثة ـ أى قبل عام (١٣٣٢هـ / ١٩١٣م) ، أما وقد أصبح فى وضع أحسن مما كان عليه سابقاً ، وأن قوته ونفوذه فى زيادة وتقدم ، فإن موقفه يلزمه بألا يرضى بما قدمته الدولة من شروط . بل أنه يشجع على أن يفرض الشروط التى يريد ، ولهذا نجده يعلن شروطاً أخرى ، كان يرى أنها تمثل أساساً لعقد صلح مع الدولة العثمانية وقد جاءت كما يلى :

أولاً : الاستقلال الادراى التام تحت سيادة الدولة (الاسمية) .

ثانيـــاً : أن لا تتدخل الدولة فى شئون موظفى البلاد التى فى قبضته ، والتى يبين حدودها فى المعاهدة .

ثالثـــاً : أن تشمل الراية الهلال والنجمة مع كلمـة التوحيـد : لا إله إلا الله ، من جهة ، ومحمد رسول الله ، من الجهة الأخرى .

رابعـــاً : أن تكون الجنود محلية ، وعددها كافٍ لحماية البلاد فى زمن السلم والحرب .

خامساً : أن تكون الجمارك فى الثغور راجعة إلى الامارة الادريسية والمعاهدات التجارية مع الدول من حقها أيضاً .

سادساً : أن تكون الأحكام طبق الشريعة الإسلامية الغراء ، واللغة الرسمية هى اللغة العربية فقط ، بحيث لا تعرف لغة سواها فى التعليم والقضاء والادراة ، وفى المخابرات الرسمية مع الأستانة .

سـابعاً : كل ما ينشأ من المنافع العمومية كالسكك الحديدية ، والتلغراف ، والتليفون فى جهات عسير ، يجب أن تكون لمنفعة الامـارة ، وخاصـة بـها وخاضعة لها .

ثامناً : أن يصدر بهذا الاتفاق فرمان سلطاني يؤتى به من الآستانة على يد مندوب عال ، وعلى سفينة حربية ، ويقرأ باحتفال عام في المكان الذي يختاره الأمير (الادريسي) (١) .

وهكذا طرح الادريسي هذه الشروط التي يبدو أنه طرحها من مركز القوة والثقة في النفس . بحيث نجد مجلة المنار ـ التي أوردتها ـ تعلق عليها تعليقاً يظهر فيه الاكبار للادريسي ، والسخرية من العثمانيين لو وافقوا عليها ، فتقول : أن هذه الشروط لم تعط العثمانيين إلا اسم السيادة فقط ، ولذلك فلا يعقل أن تقبل بها . وإذا كانت الدولة العثمانية عاجزة عن الادريسي ـ في هذه الفترة ـ فإن الأفضل لها أن تسكت عليه ، ولا تعطيه فرماناً تقيد نفسها به . وترى المجلة ـ أيضاً ـ أن الشيئ المعقول الذي يمكن أن توافق عليه الدولة العثمانية هو : أن تكون لها بعض الحقوق العامة ، كاشتراط موافقتها على العهود التجارية مع الدول وأخذ شيئ مما يزيد على نفقات البلاد من داخلها (٢) .

كما علق على هذه الشروط ، بعض المؤرخين ، فأشاروا إلى أنها كانت شروطا قاسية جداً ، فقد افقدت الدولة العثمانية اسمها وسلطانها ، مما جعل الدولة ترفضها رفضاً باتاً ، كما أشاروا إلى اعجابهم بالشرط السادس ، ولاسيما حول اللغة العربية وجعلها لغة رسمية حتى في التخاطب مع الآستانة (٣) . وهذا بلا شك ـ شيئ يوحى بالاعجاب والاكبار ، بل ان كل الشروط التي طالب بها الادريسي تدعوا إلى الاعجاب لأنها تدلنا على عروبة الادريسي ، ومدى كرهه للدولة العثمانية في عهد الاتحاديين ومقاومته لها .

فإذا أمعنا النظر في تلك المطالب والشروط ، وجدناها تدل دلالة واضحة ، على المركز القوى الذي أصبح فيه الادريسي ، فهو لم يعط العثمانيين فيها إلا السيادة الاسمية فقط ، بينما استأثر بكل النواحي الادارية والمالية والعسكرية ، والقضائية والشرعية ، وهذا يعنى

---

(١) المنار ، م ١٦ ، جـ ٦ ، ٥ يونيو ١٩١٣م ، ص ص ٤٦٥ ـ ٤٦٩ .

(٢) المنار ، م ١٦ ، جـ ٦ ، ٥ يونيو ١٩١٣م ، ص ص ٤٧٠ ـ ٤٧١ .

(٣) برو ، توفيق : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ؛
سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ١٩٥ .

تطلعه إلى الاستقلال . وقد أكد ذلك بأن يكون لحكومته وبلاده علم يحمل مواصفات معينة كأى دولة مستقلة ، وكذلك مطالبته باللغة العربية كلغة رسميه لا يتعامل بسواها فى القضاء والتعليم والمراسلة مع العاصمة العثمانية . فى الوقت الذى كان فيه العثمانيون يفرضون لغتهم التركية كلغة رسميه وحيدة فى كل المعاملات والادارات فى أغلب الولايات العربية . وأخيراً مطالبته بأن يعلن هذا الاتفاق رسمياً فى مكان يختاره فى منطقته ، وبطريقة مثيرة ، تدل على اعتراف العثمانيين بوضعه ومركزه ، وفى نفس الوقت تقلل من نفوذ الدولة العثمانية وهيبتها .

ولا شك فى أن هذه المطالب الادريسية تدل على ثقة بالنفس عالية ، ولكنها ـ فى نفس الوقت ـ مبالغة إلى حد ما ، فهى تعنى الاستقلال الادرارى الذى يقود إلى الاستقلال السياسى مع الارتباط الاسمى بالدولة العثمانية (١) ، وهذا مالا يقبله العثمانيون ، إلا أننا نعتقد أن الادريسي لم يطلب هذه الشروط الصعبة ، إلا بعد أن أدرك تلاعب العثمانيين به ، وأن جميع العروض التى قدموها له لا تحقق الشيئ الذى يطمع فيه ، ويطمح إليه ، فرأى أن يبادلها بنفس الأسلوب ، فقدم هذه المطالب ، التى يعلم سلفاً أنها لن توافق عليها وبذلك يتحقق له أحد أمرين : فإما أن ترفضها الحكومة العثمانية ، فيحملها تبعة عدم الوصول معه إلى اتفاق ، وإما أن يشعرها بقوته ومركزه ، وانه فى وضع يمكنه من املاء الشروط التى يريدها ، فتلين وتعطيه ما يرضيه . ولكن الدولة العثمانية رفضت هذه الشروط واستبعدت أن تعقد معه صلحاً على أساسها .

والجدير بالذكر هنا أن هذه المطالب والشروط ، تحمل روح المبادئ والشعارات التى كان ينادى بها القوميون العرب فى بلاد الشام والعراق ، عندما ظهرت الجمعيات العربية هناك . فلو رجعنا ـ مثلاً ـ إلى المطالب التى قدمتها جمعية بيروت الاصلاحية فى (أواخر عام ١٣٣١هـ وأوائل عام ١٣٣٢هـ / ١٩١٢ ـ ١٩١٣م) لوجدناها تتشابه فى كثير منها مع مطالب الادريسي وشروطه ، ومن ضمن تلك المطالب ما يلى :

---

(١) برو ، توفيق : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٤٩ .

١ ـ أن تظل الولاية خاضعة للقوانين الأساسية للدولة العثمانية ، فيما يخص العلاقات الخارجية والدفاع والمواصلات ، وماعدا ذلك من المصالح ذات الطابع المحلى والاقليمى فهى من اختصاص المجلس الذى يمثل الولاية .

٢ ـ أن يتم تعيين كبار الموظفين بشرط معرفتهم باللغة العربية .

٣ ـ أن تكون اللغة العربية هى اللغة الرسمية ، ويجرى بها كافة المعاملات ، وتكون بجانب اللغة التركية كلغة رسمية فى مجلس المبعوثان .

٤ ـ أن تقتصر استخدام الوحدات العسكرية في بلادها فقط (١) .

وكذلك لو نظرنا إلى قرارات مؤتمر باريس فى (شهر شعبان ١٣٣٢هـ / يونيو ١٩١٣م) ، والذى دعا إليه حزبا اللامركزية ، والعربية الفتاة ، لوجدنا التشابه الكبير بينها وبين المطالب الادريسية . فمثلاً كانت القرارات تنص على ما يلى :

١ ـ أن تنشأ فى كل ولاية عربية ادارة محلية .

٢ ـ أن تصبح اللغة العربية لغة رسمية إلى جانب اللغة التركية فى البرلمان العثمانى ، ورسمية فى الولايات العربية .

٣ ـ أن تقتصر الخدمة العسكرية المحلية على الأقاليم العربية ، إلا فى الحالات الضرورية (٢) .

وهذا يعنى : ان هناك اتصالاً فكرياً وثقافياً وسياسياً بين الأدراسة فى جنوب غرب الجزيرة العربية ، وبين الحركات القومية العربية فى بلاد الشام والعراق ، وما ينادون به من مبادئ وشعارات ضد الحكومة العثمانية ، لاسيما وأن الفترة التى أعلنت فيها مطالب القوميين العرب هى نفس الفترة التى قدم فيها الادريسي هذه الشروط والمطالب وهى عام (١٣٣٢هـ / ١٩١٣م) مما جعل موقف العثمانيين من هذه المطالب جميعها موقفاً موحداً . وهو الرفض القاطع ، والمقاومة الشديدة لكل الحركات الداعية إليها والمطالب المماثلة لها .

---

(١) منسى ، محمود حسن صالح : حركة اليقظة العربية ، ص ص ١٦٣ ـ ١٦٤ .

(٢) منسى ، محمود حسن صالح : مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .

ولا نستبعد أن يكون هذا الاتصال الفكرى والثقافى بين الادريسي والقوميين العرب دليلاً على وجود علاقة متبادلة مع زعماء الحركات القومية العربية فى بلاد الشام والعراق ومصر ، وفى التقرير الذى رفعه قاسم العزى للإمام يحيى بعد زيارته للادريسي مع الوالى محمود نديم بك ـ والذى سبقت الاشارة إليه ـ يقول : انه اطلع عند الادريسي على رسائل موقعة من الجمعية العربية بمصر [1] . وفى هذا ـ من الدلالة ـ ما يكفى لترجيح وجود هذه العلاقة .

وأخيراً ، فإن هذا الاتصال الفكرى والثقافى بين الادريسي والقوميين العرب ، يدل على أن الادريسي كان أكثر انفتاحاً من الإمام يحيى ، على قضايا العالم العربى ، وأكثر تفاعلاً مع الحركات القومية العربية ضد الدولة العثمانية .

ولكن هذا الانفتاح وذلك التفاعل ، الذى كان يعيشه الادريسي ـ منهجـاً وسياسة ـ لم يجلب له إلا مزيداً من العداء والحروب من الحكومة العثمانية والإمام يحيى ، وقد استمر ذلك العداء وتلك الحروب بين الفريقين فى شد وجذب حتى قامت الحرب العالمية الأولى فى سنة (١٣٣٣هـ / ١٩١٤م) ليدخل الفريقان فى مرحلة جديدة تكون فيها بريطانيا طرفاً مسانداً للادريسي .

* * *

(١) زباره : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر ، ص ٢٧٦ .

الفصل الرابع

العثمانيون والأدارسة أثناء الحرب العالمية الأولى

(١٣٣٣ ـ ١٣٣٧هـ / ١٩١٤ ـ ١٩١٨م)

أولاً : الوضع فى جنوب الجزيرة العربية عند قيام الحرب :-

١ ـ القوى المتواجدة فى المنطقة .

٢ ـ خطورة الوجود العثمانى على المصالح البريطانية فى المنطقة .

ثانياً : موقف الأدراسة أثناء الحرب العالمية الأولى

١ ـ الاتفاق مع بريطانيا سنة ١٣٣٣هـ / سنة ١٩١٥م .

٢ ـ تطور العلاقات بينهما أثناء الحرب .

٣ ـ الأثر الاقتصادى لهذه العلاقات فى المنطقة .

ثالثاً : العمليات العسكرية فى عسير والمخلاف السليمانى وموقف الأدراسة منها

١ ـ الإدريسى يطلب السلاح من بريطانيا .

٢ ـ العمليات العسكرية فى الميدان الجنوبى .

٣ ـ العمليات العسكرية فى الميدان الشمالى .

٤ ـ العمليات العسكرية فى الميدان الأوسط .

رابعاً : الهدنة ونهاية الحرب وموقف الأدراسة منها :-

١ ـ موقف القوى فى المنطقة قبل الهدنة .

٢ ـ الهدنة وشروطها ونهاية الحرب .

٣ ـ قضية الحديدة بين بريطانيا والأدارسة والإمام يحيى .

٤ ـ ما بعد الحرب .

أولاً : الوضع فى جنوب الجزيرة العربية عند قيام الحرب

١ ـ القوى المتواجدة فى المنطقة :-

عندما قامت الحرب العالمية الأولى ، فى (سنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م) كان فى جنوب الجزيزة العربية خمس قوى تسيطر عليه ، وتتحكم فى مختلف شئونه ويمكن أن نقسمها إلى فئتين :

الفئة الأولى : القوى الخارجية ـ وهى قوتان ، بريطانيا ، والدولة العثمانية .

الفئة الثانية : القوى المحلية ـ وهى ثلاث قوىً ، تحكم كل منها فى جزء خاص بها من جنوب الجزيرة العربية ، وهى : الحكومة الادريسية ، والإمامة الزيدية ،والسلطنة اللحجية (١) .

وسنعرض فيما يلى ، موقف كل من هذه القوى فى منطقة جنوب الجزيزة العربية ، قبل أن تقوم الحرب العالمية الأولى ، وفى الشهور الأولى لقيامها .

أولاً : الاستعمار البريطانى :

بدأت العلاقة البريطانية بجنوب الجزيزة العربية ،منذ القرن السادس عشر الميلادى ، (حوالى القرن العاشر الهجرى) ، وذلك أثناء الصراع التجارى بين البرتغال وهولندا وبريطانيا حول البحر الأحمر والتجارة فيه ، حيث كانت (عدن) تمثل أهمية تجارية كبيرة فى جنوب الجزيرة العربية .

ومنذ ذلك الوقت ، أخذت بريطانيا تسعى لضم هذا الميناء لأملاكها ، فبدأت بايفاد البعثات التجارية لعقد معاهدات مع الحكام المحليين إلى أن نجحت فى عقد معاهدة الصداقة والتجارة (سنة ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م) التى عقدها السيرهوم (Sir Home)

---

(١) مطهر ، عبد الكريم بن أحمد بن عبد الله : (ت / ١٣٦٦هـ) : كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة المتوكل على الله يحيى بن محمد حميد الدين (مخطوط) ، صنعاء ، الجامع الكبير ، المكتبة الغربية ، رقم ١٤٥ تاريخ ، ص ١٠ .

سعيد ، أمين محمد ، اليمن تاريخه السياسي ، ص ٣٥ .

مع سلطان لحج وعدن (١) . وتعتبر هذه المعاهدة بداية التدخل البريطانى فى سلطنة لحج وعدن بصفة خاصة ، وجنوب اليمن بصفة عامة .

وبعد ذلك أخذت هذه العلاقة التجارية تتطور إلى الاحتلال الفعلى ، وذلك عندما تمكنت بريطانيا من احتلال مخا (٢) سنة (١٢٣٥هـ / ١٨١٩م) وتوقيع معاهدة مع إمام اليمن آنذاك ـ المهدى عبد الله بن أحمد (١٢٣١ ـ ١٢٥١هـ / ١٨١٥ ـ ١٨٣٥م) (٣) ، فتحقق للحكومة البريطانية وشركة الهند الشرقية من خلالها مركزًا ممتازًاومزايا تجارية هامة فى المنطقة .

وفى عام (١٢٥٢هـ / ١٨٣٧م) بدأ التخطيط البريطانى الفعلى لجعل عدن جزءاً من ممتلكات الامبراطورية البريطانية ، فانتهزت حادثة غرق السفينة دوريا دولت (Dowlut Dria) على مقربة من عدن فى نفس العام ، واتهمت السلطان محسن العبدلى وأهالى عدن باغراقها وتهريب بضائعها (٤) ، وطالبتهم بالتعويض أو بيعهم ميناء عدن لتأمين تجارتهم ولكن السلطان العبدلى رفض ذلك ، فلجأت بريطانيا لاستخدام القوة .

وفى سنة (١٢٥٥هـ / يناير ١٨٣٩م) قامت السفن البريطانية بضرب عدن ، حتى انسحب السلطان واتباعه ، وفر الأهالى إلى البلاد المجاورة ، فدخلت القوات البريطانية ورفعت العلم البريطانى على قصر السلطان محسن العبدلى (٥) معلنة بذلك احتلال الميناء ، وتحقيق الهدف التى كانت تسعى لأجله . ثم انطلقت ـ بعد ذلك ـ تتوسع فى المنطقة ، فضمت إليها السلطنات والمشيخات فى جنوب الجزيرة العربية وأخذت تتمركز فى النقط الاستراتيجية فى مداخل البحر الأحمر الجنوبية ، فأصبحت بذلك القوة

---

(١) طه ، جاد : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ، ص ٤٣ .

(٢) مخا : مدينة يمنية ساحلية ، على البحر الأحمر ، جنوب الحديده .

(٣) لقمان ، حمزة على : معارك حاسمة من تاريخ اليمن . (الطبعة الأولى ؛ صنعاء : مركز الدراسات اليمنية ، ١٩٧٨م . ص ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .

(٤) لمزيد من تفاصيل هذه الحادثة أنظر : Playfair : op. cit. p. 161

(٥) طه ، جاد : مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٧ .

المسيطرة فى أقصى جنوب الجزيرة العربية إلى أن أعلنت الحرب العالمية الأولى فى سنة (١٣٣٣هـ / ١٩١٤م) (١) .

ثانياً : الاحتلال العثمانى :

لقد مر بنا سابقا ، كيف وصل العثمانيون إلى جنوب الجزيرة العربية وحكمهم خلال الحكم الأول والثانى (٢) ، ولكن الذى يهمنا هنا أن الدولة العثمانية كانت تسيطر على أجزاء كبيرة من جنوب الجزيرة العربية ، فهى تحكم فى صنعاء وما جاورها جنوباً حتى حدود النفوذ البريطانى ، وإلى جهة الساحل حيث تهامة اليمن وبعض تهامة عسير ، وكذلك لها السيطرة فى سراة عسير ، حيث كان لها متصرفية فى أبها . وهذا الاتساع فى الرقعة التى تحتلها الدولة العثمانية ، يعنى أنها كانت تسيطر على مناطق أعم وأشمل مما تسيطر عليه بريطانيا (٣) .

ثالثاً : الحكومة الادريسية :

كانت الحكومة الادريسية ـ فى هذه الفترة ـ تسيطر على أغلب تهامة عسير والمخلاف السليمانى وبعض المناطق اليمنية الداخلية ، وبعض الجزر الهامة فى البحر الأحمر .

وبالرغم من ذلك فقد أصبحت ـ فى هذه الفترة ـ وحيدة فى الميدان الحربى ، بعد أن تخلى عنها الحليف الداخلي ـ الإمام يحيى ـ وبعد أن انتهى التحالف الخارجى مع ايطاليا ـ التى كانت عوناً لها فى الفترة السابقة .

ولذلك فان موقف الحكومة الادريسية ـ عند قيام الحرب ـ كان حرجاً للغاية ، فهى محتاجة لأى نصير يعاونها فى المرحلة الجديدة من علاقاتها مع العثمانيين ، ومن هنا نجد الحكومة الارديسية توجه نظرها صوب البريطانيين فى عدن .

---

(١) للتوسع أنظر : العبدلى ، أحمد فضل : هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن ؛
أباظة ، فاروق عثمان : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ؛
يعقوب ، هارولد . ف : ملوك شبه الجزيرة العربية .

(٢) أنظر الفصل الأول .

(٣) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ص ١٩٨ ـ ١٩٩ .

رابعاً : الإمامة الزيدية :

وكان يتزعمها فى هذه الفترة الإمام يحيى الذى عقد مع العثمانيين صلح دعان (سنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م) . وقد فرض عليه هذا الصلح اتجاهاً محايداً فلم ينضم إلى احدى القوتين المتحاربتين ـ بريطانيا أو الدولة العثمانية ـ وإن كان البعض يشير إلى أن الإمام يحيى كان متعاطفاً مع العثمانيين (١) . ورغم ذلك فإن بريطانيا لم تتوقف عن المحاولات الجادة لاستمالة الإمام يحيى ، فقد أرسلوا له بطريقة غير رسمية أن ينضم اليهم ، ولكنه اعتذر بالمعاهدة مع العثمانيين (٢) .

ويبدو أن معاهدة دعان ليست هى السبب الوحيد فى هذا الموقف الحيادى للإمام يحيى ـ وإن كانت من أهم الأسباب ـ ولكننا نستطيع من خلال الأحداث أن نستنتج أن الإمام يحيى كان ينظر إلى مصلحته الشخصية والخاصة فقط . فوقوفه الحيادى سيبعده عن تحمل النتائج المترتبة على الحرب لو اشترك فيها إلى أحد الفريقين ، ولذلك قرر أن يراقب الأحداث من بعيد ، وينتظر الفرصة ليحل مشكلاته الحالية والمستقبلية والتى « تتمثل فى وجود الادريسي والعثمانيين داخل أراضيه الخاصة ، ووجود الانجليز على حدوده » (٣) .

ومن ناحية أخرى نستنتج أن الذى فرض على الإمام يحيى ذلك الموقف ، هو نظرته إلى الإدريسي ، فبعد أن تعاهد الإمام مع العثمانيين ، أصبح ينظر إلى الادريسي ، على أنه العدو الأول ، ولذلك كان يرى أن هذا العدو هو الأولى بالحرب والمخاصمة ـ فى هذه الفترة ـ وليس العثمانيين . ولكنه فضل أن يتجنب هذا الاشكال فربما لو أعلن الحرب على الادريسي ، لتدخلت بريطانيا وفتحت فى منطقة الإمام يحيى ميداناً جديداً للحرب . ولو حارب العثمانيين فلن يؤد ذلك إلا إلى مزيد من الإنكماش وتقلص نفوذه ، وهذا سيكون فى صالح الادريسي (٤) .

---

(١) العبدلى : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠٨ .

(٢) الريحانى ، ملوك العرب ، جـ ١ ، ص ص ١٤٧ ـ ١٤٨ .

(٣) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٠٧ .

وأيا كان السبب فان الإمام يحيى وجد من مصلحته عند قيام الحرب - أن يقف ببلاده بعيداً عنها ، وأن ينظر إليها باعتباره متفرجاً فقط دون المشاركة فى أحداثها ونتائجها.

خامساً : السلطنة اللحجية :

وعند قيام الحرب العالمية الأولى ، كان على رأس الأسرة الحاكمة فى لحج السلطان على بن أحمد بن على بن محسن العبدلى ، الذى تولى السلطة بعد وفاة عمه السلطان أحمد فضل محسن فى (سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م) (١) وقد عقدت سلطنة لحج معاهدة ولاء وصداقة مع بريطانيا منذ أن استعمرت الأخيرة عدن واعترفت بآل العبدلى سلاطين على لحج ، واستمرت كذلك حتى قيام الحرب . وقد كان بديهياً أن تنحاز السلطنة اللحجية إلى الجانب البريطانى (٢) .

ومن هنا نستطيع أن نحدد القوى التى كانت تسيطر على الأوضاع فى منطقة جنوب الجزيرة العربية وتستطيع أن تؤثر عليها وهى : القوتان الخارجيتان المتعاديتان فى أثناء الحرب . بريطانيا والعثمانيين ، وكانت جميع القوى المحلية موزعة بينهما ، الأمر الذى سيؤدى إلى امتداد الحرب إلى هذا الجزء من العالم العربى .

٢ - خطورة الوجود العثمانى على المصالح البريطانية فى المنطقة :-

لقد برزت خطورة الوجود العثمانى على المصالح البريطانية فى جنوب الجزيرة العربية ، من خلال المواقع التى تسيطر عليها كل من القوتين . فالعثمانيون يسيطرون على مساحات شاسعة فى هذه المنطقة خاصة وفى الجزيرة العربية عامة ، بينما كان النفوذ البريطانى يتركز فى المناطق الاستراتيجية ، ولاسيما فى مداخل البحر الأحمر الجنوبية .

كما أن الوجود العثمانى يستطيع أن يهدد المصالح البريطانية فى نقطتين هامتين ، وهما : قناة السويس ، ورأس الخليج العربى . فأما قناة السويس : فإنها كانت تمثل

---

(١) العبدلى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٩٩ - ٢٠٥ .

(٢) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ٢٠٩ .

المدخل الشمالى للبحر الأحمر ، وأما الخليج العربى : فلأن آبار النفط الهامة والتابعة للشركة البريطانية الفارسية كانت تقع عليه [1] .

ومن ناحية أخرى ، فان العثمانيين كانوا يسيطرون على أغلب السواحل الشرقية على البحر الأحمر ، ولذلك فإنهم يستطيعون تهديد بريطانيا ومصالحها من خلال تلك السواحل ، إذ بامكانها أن تتخذ العديد من المراكز الخفية لتبث منها الألغام وتدمر البواخر البريطانية ، أو تعرقل سيرها ومرورها فى البحر الأحمر . وبامكانها - أيضاً - أن تستخدم هذه السواحل لارسال بعثاتها ورسلها إلى السودان ومصر وأفريقيا لشراء السلاح وإثارة مشاعر سكانها المسلمين ضد البريطانيين [2] .

وفى الوقت نفسه ، كانت بريطانيا تشعر بتفوق العثمانيين فى ميدان آخر من ميادين المنافسة بينهما فى هذه المنطقة ، فقد كانت تخشى أن يستخدم العثمانيون العامل الدينى ، وهو النداء بالجهاد الإسلامى ، فيستجيب له أشراف مكة ، فيتحول الحجاز إلى مركز لبث الدعاية ضد البريطانيين ويستثير العرب كلهم وخاصة عرب شبه الجزيرة العربية [3] .

وقد بدأت هذه الخطورة العثمانية تتبلور وتزداد وضوحاً ، عندما قامت - فى (شهر محرم ١٣٣٣هـ / نوفمبر ١٩١٤م) - بارسال شحنة كبيرة من الأسلحة والعتاد والأرزاق إلى صنعاء بعد أن اشترتها من جيبوتى [4] استعداداً للأيام القادمة . وفى الوقت نفسه كانت القوات العسكرية العثمانية فى اليمن قد ازدادت بشكل كبير ، فبينما كانت فى (جمادى الثانى سنة ١٣٣٢هـ/ابريل سنة ١٩١٤م) تبلغ حوالى خمسة آلاف جندى فقط ، أصبحت عند دخولها فى نوفمبر من نفس العام حوالى خمسة وثلاثين طابوراً عثمانياً ،

---

(١) سالم ، السيد مصطفى : المرجع نفسه ، ص ١٩٨ .

(٢) أباظة ، فاروق عثمان : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ، ص ٥٦٣ .

(٣) انطونيوس ، جورج : يقظة العرب . ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس . (ط ٦ ؛ بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٠م) ، ص ص ٢١٦ - ٢١٩ .

(٤) شرف الدين ، أحمد حسين : اليمن عبر التاريخ ، ص ٢٧٣ .

وعدد الجنود ما يقارب أربعة عشر ألفاً ، عدا المعدات والمستلزمات الحربية (١) . وقد قامت الحكومة العثمانية بتوزيعهم فى مناطق اليمن ومراكزها الرئيسية ، فجعلت فى صنعاء جزءاً كبيراً منهم ، وفى الحديدة كذلك . وأمرت فرقة خاصة بالخروج من الحديدة للمحافظة على اللحية والمراكز الواقعة بينها وبين زهرة والممتدة على طول ساحل تهامة اليمن ، وفى مناخه عسكر طابور عثمانى موزع بين القلاع والمراكز الحصينة ، كما أوجدت لها خطاً دفاعياً يمتد من مخا عبر تعز وماويه حتى يصل إلى قعطبه . وتحافظ عليه قوة كبيرة من الدوريات التى تعبره بصفة دائمة (٢) .

وفى المجال الدبلوماسى ، تنافس الطرفان فى استمالة الأمراء والزعماء العرب المحليين ، على اختلاف قوتهم وأهمية مراكزهم . ومما زاد المنافسة فى هذا المجال قوة وخطورة ، هو اعتماد كل فريق على ماله من نفوذ فى جنوب الجزيرة العربية بصفة خاصة ، وشبه الجزيرة العربية كلها بصفة عامة . فالعثمانيون لهم نفوذهم المعنوى والعسكرى الموزع فى انحاء الجزيرة العربية كلها ، كما أن بريطانيا كان لها مناطق نفوذ ومستعمرات . ولاسيما فى السواحل (٣) .

ولذلك قامت الحكومة العثمانية ــ فى مطلع الحرب العالمية الأولى ــ وبعثت رسلها إلى أرجاء الجزيرة العربية تحمل الهدايا إلى أمرائها وزعمائها وتطلب ودهم والتحالف معها ضد بريطانيا ، وقد استطاعت أن تكسب إلى صفها كلاً من الإمام يحيى فى اليمن على أن يبقى فى حياد تام ، وإن كان يناصرهم مادياً ومعنوياً (٤) . وابن رشيد فى شمال الجزيرة العربية . كما حاولت مع سلطان لحج لتضمه إلى صفها ولكن بريطانيا كانت قد سبقتها إليه ، وكذلك مع الحكومة الادريسية فى عسير التى اتجهت نحو بريطانيا أيضاً .

وعندما استشعرت بريطانيا كل المخاطر التى يسببها الوجود العثمانى فى الجزيرة العربية على مصالحها وارتابت من الاستعدادات العسكرية والمساعى الدبلوماسية ، قامت

---

(١) أباظة ، فاروق عثمان : الحكم العثمانى فى اليمن ، ص ٢٥١ .

(٢) Bury, op. cit. 168 - 169

(٣) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ١٩٨ .

(٤) سالم ، السيد مصطفى : وثائق يمنية ، وثيقة رقم ٣٦ ، ص ٣٢٠ .

بمواجهتها بنفس الأسلوب التى أقدمت عليه الدولة العثمانية ، فتقربت من القوى والزعامات العربية فى المنطقة ، وأثمر ذلك عن نجاح هائل عندما ضمت إلى صفها الأدراسة فى عسير والمخلاف السليمانى ، وآل سعود فى نجد ، وآل الصباح فى الكويت ، والشريف حسين فى الحجاز [١] ـ رغم اختلاف مواقف هؤلاء الزعماء من الحرب بين البريطانيين والعثمانيين ـ وكونت بذلك كتلة عربية تساندها ضد الوجود العثمانى الخطر على المصالح البريطانية فى جنوب الجزيرة العربية .

وهكذا يتضح لنا أن جنوب الجزيرة العربية بصفة خاصة ، وشبه الجزيرة العربية كلها بصفة عامة ، كانت ميداناً للتنافس البريطانى العثمانى فى مطلع الحرب العالمية الأولى ، مما جعل الأحداث تتلاحق منذ أن نشبت الحرب ـ فى الثانى من أغسطس سنة (١٩١٤م) ـ بين المانيا وروسيا ، ثم أخذت الدول الأخرى تنحاز إلى الجانب الذى ترى فيه مصلحتها . ولم تلبث الدولة العثمانية ، أن تورطت فى هذه الحرب إلى جانب المانيا والنمسا ودول الوسط ، ضد روسيا وفرنسا وبريطانيا وبقية الحلفاء [٢] .

ومن هنا فإن امتداد الحرب من ميادينها الأصلية إلى جنوب الجزيرة العربية ، كان شيئاً لابد منه ، لوجود التنافس البريطانى العثمانى فيها . ولقد حصل ذلك بالفعل ، عندما قامت بريطانيا فى (شهر محرم ١٣٣٣هـ / نوفمبر سنة ١٩١٤م) باطلاق مدافعها على منطقة الشيخ سعيد فى جنوب اليمن رداً على الاستعدادات العثمانية وحشد القوات العسكرية ، التى اعتبرها البريطانيون فى عدن ، مقدمة لعمليات حربية من الجانب العثمانى [٣] .

وبهذا انتشرت الحرب فى جنوب الجزيرة العربية ، فشملت فيما شملت ـ عسير والمخلاف السليمانى وأضافت إلى ميزان القوى المتحاربة قوة جديدة ، وهى قوة الحكومة الادريسية الثائرة ضد العثمانيين فى هذه المنطقة .

* * *

---

(١) منسى ، محمود صالح : حركة اليقظة العربية فى الشرق الأسيوى ، ص ص ٢٥٤ ـ ٢٦٢ .

(٢) أباظه ، فاروق عثمان : الحكم العثمانى فى اليمن ، ص ٣٤٥ .

(٣) يعقوب ، هارولد . ف : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠٧ .

ثانياً : موقف الأدراسة أثناء الحرب العالمية الأولى

١ ـ الاتفاق مع بريطانيا سنة (١٣٣٣هـ / ١٩١٥م) :-

عرفنا فى الفصول السابقة أن علاقة الأدراسة بالدولة العثمانية قد وصلت إلى حد القتال ، مما جعل الدولة تسعى بكل قوتها للقضاء عليهم ، ولذلك فإن السيد محمد الادريسي كان يتخذ كل الوسائل الكفيلة لتقوية مركزه لمواجهة الدولة العثمانية ، ومحاولة الاستقلال عنها ، فتحالف مع الإمام يحيى ، الذى كان ساخطاً ومتبرماً من الحكم العثمانى ، واستمر ذلك التحالف حتى سنة (١٣٢٩هـ / ١٩١١م) حيث عقدت الدولة العثمانية مع الإمام يحيى الصلح المعروف بدعان ، ففرقت بذلك بين قطبى المقاومة فى اليمن وعسير والمخلاف السليمانى ، وأنفردت بالادريسي تحاول اخضاعه ، ولكنه راح يحمل لواء النضال لوحده ، حتى لاحت له فرصة التحالف مع الحكومة الإيطالية ، فتحالف معها ، واستعمل سلاحها وأموالها ضد العثمانيين إلى أن انتهى الغرض من ذلك التحالف.

وفى هذه الفترة كان الحليف السابق ـ الإمام يحيى ـ يشن الحروب مع الدولة العثمانية ضد الأدراسة لمحاولة القضاء عليهم ، وابقاء عسير والمخلاف السليمانى تحت الراية العثمانية مؤملاً فيما يسفر عنه المستقبل (١) . ولكن الظروف كلها ، كانت تسير إلى صالح الأدراسة ، لأن العالم ـ آنذاك ـ كان يسير نحو حرب كبيرة ـ كما مر بنا ـ وكان فى جنوب الجزيرة العربية ـ إلى جانب العثمانيين ـ احدى القوى التى ستخوض غمار هذه الحرب . انها القوة البريطانية التى رأينا ـ سلفاً ـ أطماعها فى هذا الجزء من الجزيرة العربية ، ومصالحها الكبيرة فيها ، والتى كانت تهددها الدولة العثمانية ولذلك توفرت لكل من الأدراسة والبريطانيين ـ المصلحة المشتركة التى يمكن أن تؤدى إلى تحالف بينهما .

فلقد كان الادريسي ـ فى هذه الفترة ـ يعيش أسوأ الظروف ، فهو يقف وحده فى مواجهة الدولة العثمانية بعد أن تخلى عنه حليفه السابق الإمام يحيى ، وإزاء رغبته الجامحة فى مواصلة الثورة التى أشعلها سنة (١٣٢٨هـ / ١٩١٠م) ضد العثمانيين ،

---

(١) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ٢٢١ .

والحفاظ على مكاسبه التى حصل عليها ، لم يكن أمامه سوى الاتجاه نحو قوة كبرى تحالفه وتناصره ضد العثمانيين .

وفى الوقت نفسه ، كانت بريطانيا تشعر بمدى خطورة الدولة العثمانية وتهديدها لمصالحها فى شبه الجزيرة العربية ، عامة وجنوبها خاصة . فكان من مصلحتها أن تعقد الصلات والمعاهدات مع أمراء الجزيرة العربية وزعمائها . ولذلك كان من أول أهدافها ، السيد محمد الادريسي باعتباره ثائراً فى جنوب الجزيرة العربية ضد العثمانيين بعد توقف الإمام يحيى . ومن هنانجد أن المصلحة المشتركة كانت هى الدافع القوى لكل من الأدراسة وبريطانيا فى أن يضمها حلف مشترك لمجابهة الدولة العثمانية فى جنوب الجزيرة العربية .

وقد شجع الادريسي على هذه الخطوة وزاد من قناعته ، انه فى ظروف تؤهله للقيام بهذا الدور وسلوك هذا الطريق ، فهو فى نضال مع العثمانيين ، كما أن له سابق اتصال مع دولة أجنبية ـ وهى إيطاليا ، وفوق ذلك فهو فى منطقة قريبة من الساحل ، الأمر الذى يشجعه ويسهل عليه الاتصال بالقوى المسيطرة على البحر الأحمر والسواحل ، مثل بريطانيا (١) ، التى أدركت ـ فى الوقت نفسه ـ ما يمكن أن يقوم به هذا الثائر فى جنوب الجزيرة العربية ، بعد أن تخلى الإمام يحيى عن الدور الذى كان مفروضاً أن يقوم به . فهى تعلم أن الادريسي يسيطر على المنطقة الساحلية الممتدة ما بين القنفذة شمالاً وميدى جنوباً ، وامتلاكه لهذه السواحل الطويلة يهيئ له فرصة أكبر لمواجهة أى عدوان عثمانى على القوات البحرية البريطانية . كما يمكنه أن يحول دون استعمال العثمانيين لتلك السواحل كقواعد بحرية ، معادية ، وفوق ذلك يستطيع الادريسي وقواته أن يعطل خطوط المواصلات العثمانية بين الحجاز واليمن إذا أراد ، باعتبار أن منطقته تقع فى المنتصف بين اليمن جنوباً والحجاز شمالاً ، ويستطيع كذلك مع قواته ـ أيضاً ـ أن يشل حركة الحاميات العثمانية فى اليمن ويجعلها عاجزة عن العمل ويهددها من الخلف إذا حاولت الهجوم على عدن (٢) .

---

(١) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ ؛
أباظه ، فاروق عثمان : الحكم العثمانى فى اليمن ، ص ٣٦١ .

(٢) انطونيوس ، چورچ : يقظة العرب ، ص ٢١٩ ؛
منسى ، محمود صالح : حركة اليقظة العربية ، ص ٢٤٨ .

كل هذه الدوافع ، أوجدت المصلحة المشتركة بين الطرفين التى دفعتهما إلى التعاون والتحالف ، ولكن بريطانيا ، كانت ترى نفسها هى الأحوج والأقوى رغبة فى تحطيم الوجود العثمانى فى جنوب الجزيرة العربية الأمر الذى جعلها شديدة الثقة فى أن أهدافها ستحقق بواسطة الأدراسة (١) . ولذلك سارعت تطلب ود الادريسي للتعاون معه حيث اقترح عليها المقيم البريطانى فى عدن أن تتخذ زمام المبادرة فى الاتصال بالأدراسة (٢) .

ومن هنا بدأت الرسل تغدو وتروح بين عدن وجازان ، سعياً وراء عقد معاهدة بين بريطانيا والأدراسة ، يدخل بموجبها الأدراسة إلى جانب الحلفاء ، ولاسيما إلى الجانب البريطانى فى جنوب الجزيرة العربية (٣) . ولقد نجحت تلك المساعى البريطانية فى (١٥ جمادى الثانية ١٣٣٣هـ / ١٠ ابريل ١٩١٥م) ، عندما وقعت مع الادريسي معاهدة الصداقة وحسن النية .

وفى وثائق وزارة الخارجية البريطانية صورة النص الانجليزى لهذه المعاهدة ، ومرفق به خطابان أولهما / من : هولدرنس وزير الهند (T.W. Holderness) إلى : وزير الخارجية البريطانى . والثانى / من : المقيم البريطاني فى عدن ، شو (D.G.I. Shaw) إلى : حكومة الهند البريطانية (٤) .

ونستشف من هذه الوثيقة أن المعاهدة البريطانية الادريسية قد وقعت من قبل الجنرال شو (Shaw) المقيم البريطانى فى عدن ، والمقدم جاكوب (M.F. Jacob) المساعد الأول للمقيم فى عدن ، والرائد برادشو (C.R. Bradshaw) ضابط الأفراد فى لواء عدن ، عن الجانب البريطانى ، وعن الجانب الادريسي ، وقعها السيد مصطفى بن السيد عبد العلى (٥) ، والشيخ محمد عوض باصهى .

---

(١) أباظة ، فاروق عثمان : سياسة بريطانيا في عسير أثناء الحرب العالمية الأولى . (القاهرة : دار المعارف ، د . ت) ، ص ٣٩ .

(٢) بالدرى ، چون : القوى والامتيازات فى إمامة الادريسي ، ص ٥ .

(٣) يعقوب ، هارولد . ف : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠٥ .

(٤) وثائق الخارجية البريطانية : No. 66940. F.O. 371 / 2478 من : وزير الهند ت . و . هولدرنس . إلى : وزير الخارجية البريطانى . بتاريخ ٢٦ مايو ١٩١٥م . (انظر الملحق وثيقة رقم ٦) .

(٥) ورد هذا الاسم فى المعاهدة خطأ ، ونقلت هذا الخطأ كل المراجع التى أوردت المعاهدة . والصحيح (عبد المتعال) ، انظر الوشلى : نشر الثناء الحسن ... (مخطوط) ، ص ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ .

كما تستشف ـ أيضاً ـ أن المقيم السياسى فى عدن قد أرسل صورة المعاهدة مع خطاب منه فى (شهر رجب ١٣٣٣هـ / أول مايو ١٩١٥م) إلى حكومة الهند يبين فيه المساعى التى قام بها لعقدة المعاهدة وأشار إلى بعض الملاحظات التى اعترضت سير المفاوضات ، ومنها أن مندوب الادريسى السيد مصطفى قد أصر على حذف الفقرة التى تتحدث عن المؤن والأموال ، وذلك تجنباً لجرح مشاعر العرب ، كما أكد فى ذلك الخطاب على أهمية الادريسى ودوره بالنسبة لبريطانيا ، فهو يكره كل ماهو تركى ، وأوصى بضرورة مواصلة الأمر معه حتى النهاية . ومن جانب أخر ، قام حاكم الهند بارسال صورة الخطاب السابق والمعاهدة مع خطاب منه إلى وزير الخارجية البريطانية فى شهر (رجب ١٣٣٣هـ / ٢٦ مايو ١٩١٥م) ، أى بعد خمس وعشرين يوماً من توقيع المعاهدة ، للاطلاع والعلم بها .

ويمكن أن نلخص ـ فيما يلى ـ أهم الشروط التى نصت عليها هذه المعاهدة :

أولاً : لقد حددت ـ فى مادتها الثانية ـ الأهداف الرئيسية من عقدها ، وهى الحرب ضد الاتراك وتقوية روابط الصداقة بين الحكومة البريطانية والسيد محمد الادريسي وقبائله في عسير والمخلاف السليمانى .

ثانياً : تعهد السيد الادريسي ـ فى المادة الثالثة ـ بأن يهاجم القوات التركية ويحاول أن يطردها من مركزها فى اليمن ، وأن يعمل ما فى وسعه لمضايقتها وتوسيع أراضيه على حسابها .

ثالثاً : كما تعهد الادريسي بأن يكون هدفه الأساسى ضد الأتراك فقط ولن يقوم بأى عمل مثير ضد الإمام يحيى ، طالما أنه لم ينضم للأتراك ـ المادة الرابعة ـ .

رابعاً : أما الحكومة البريطانية ، فقد تعهدت ـ فى المادة الخامسة ـ بحماية أراضى الأدراسة من عدوان القوات العثمانية البحرية ، ويضمان استقلالهم فى المنطقة ، وأن تستخدم كل ما فى وسعها من الوسائل الدبلوماسية فى نهاية الحرب للتوفيق بين الأدراسة والإمام يحيى أو أى منافس أخر .

خامساً : وقد أعربت الحكومة البريطانية ـ فى المادة السادسة ـ عن عدم وجود أية

نية لتوسيع حدودها على حساب أراضٍ عربية فى الجزيرة العربية ، وأن كل ما تريده وتسعى إليه ، أن تجد الحكام العرب جميعهم يداً واحدة ، ويعيشون فى أمن وسلام كل فى منطقته ، والجميع ـ أيضاً يرتبطون بروابط الصداقة المتينة مع البريطانيين .

سادساً : وكدلالة على تقدير الحكومة البريطانية للأعمال التى سيقوم بها الادريسي وقبائله ، تعهدت بامداده بالأموال والذخيرة طوال أيام الحرب ، ليواصل نشاطه ضد العثمانيين ـ المادة السابعة ـ .

سابعاً : وأخيراً فان الحكومة البريطانية منحت الأدارسة الحرية الكاملة فى التبادل التجارى بين موانئ عسير وعدن ، فى الوقت الذى كانت تفرض الحصار البحرى على كل الموانئ العثمانية على البحر الأحمر منذ بداية الحرب ، ومع ذلك فقد تعهدت باستمرار هذه الميزة دون انقطاع ، كدليل على الصداقة القائمة بينهم وبين الأدراسة (١) .

وبالنظر إلى هذه المعاهدة نستطيع أن نستنتج بعض الحقائق والمواقف التاريخية التى لابد من توضيحها . فالبريطانيون لم يعقدوا هذا التحالف مع الأدراسة إلا من أجل هدف واحد ورئيسى ، وهو تدمير القوات العثمانية فى جنوب الجزيرة العربية التى تهدد المصالح البريطانية أو على الأقل شغلها فى هذه المنطقة وعرقلة جهودها ، وتشتيت قواها بعيداً عن الميادين الأصلية للحرب . وقد أبدى الادريسي موافقته واستعداده للقيام بهذه المهمة ، لاسيما إذا عرفنا مدى كرهه للحكم العثمانى وسعيه النشط للاستقلال عنه فى منطقة عسير والمخلاف السليمانى .

ومن أجل هذا فقد منحته بريطانيا الكثير من الامتيازات ، كتعهدهم بحماية بلاده من أى عدو أو منافس ، وضمانهم لاستقلاله بعد الحرب ، وسماحهم له بتوسيع نفوذه على

---

(١) وثائق الخارجية البريطانية : No. 66940 - F.o. 371 / 2478

من وزير الهند ، إلى : وزير الخارجية البريطانى ، فى ٢٦ مايو ١٩١٥م . (وثيقة سبق ذكرها) :

Hurewitz, J.C. ; Diplomacy in the Near and Middle East - A Documentary Record, Vol. II, (1914 - 1956) - Octagon Books, N.Y. 1972, PP. 12 - 13,

Aaitchison : A Collection of Treatiies, Engagments and Sanads Relating to India and Neighbouring Countries, Vol. XI, Delhi 1933, Kraus Thompson 1973, PP. 177 , 178.

حساب العثمانيين ، والسعى من جانبها للتوفيق بينه وبين الإمام يحيى أو غيره من المنافسين ، وامداده بالأموال والذخائر والأسلحة طوال فترة الحرب . وفوق ذلك فقد منحته امتيازاً اقتصادياً هاماً ، حيث سمحت له ولأهالى عسير والمخلاف السليمانى بالتبادل التجارى مع عدن ، وفتح الموانئ العسيرية للاستيراد والتصدير ، فى الوقت الذي كانت فيه جميع الموانئ اليمنية تحت الحصار الاقتصادى . وبهذه الامتيازات استفاد الادريسي عسكرياً واقتصادياً " فتحكم فى التجارة والأسعار ، وتخلص من الاختناق والضيق الذي أحس به باقى سكان اليمن حتى سكان السواحل " (١) .

وبالرغم من هذه الإمتيازات الممنوحة للادريسي ، فإن بريطانيا حاولت أن تقيد حركته بحيث لا يستخدم هذه المعاهدة إلا ضد العثمانيين فقط ، ولذلك نصت صراحة على امتناعه عن أى عمل عدائى ضد الإمام يحيى طالما أنه لم ينضم إلى الأتراك ـ المادة الرابعة ـ وهذا يعنى أن الحكومة البريطانية تدرك تماماً أن الإمام يحيى عدو للادريسي مثل العثمانيين ، فقررت أن لا توجه فعاليات هذه المعاهدة ضد الإمام يحيى ، لأن هذا يخالف السياسة البريطانية ، التى تَدَّعِى رغبتها فى أن يعيش جميع الحكام العرب فى سلام وود كل فى منطقته ، وأن يرتبط الجميع بعلاقات الود والصداقة معهم ، ولكن هذا الادعاء لا يمكن أن يكون إلا بقدر مصلحة بريطانيا لأنها لا تريد المزيد من المنازعات فى هذه المنطقة حتى لا تضطر للتدخل فتفتح لنفسها أبواباً جديدة .

ولذلك فإن الهدف الحقيقى من منع الإدريسي ـ فى هذه المعاهدة ـ من أى عمل عدائى ضد الإمام يحيى ، هو الحيلولة دون إعلان الأخير انضمامه للعثمانيين صراحة إذا ما هاجمه الادريسي لما فى ذلك من خطورة على مركزها فى جنوب الجزيرة العربية .

وعلى أية حال ، فانه بمجرد التوقيع النهائى على المعاهدة من قبل حاكم الهند البريطانى هاردنج (Hardinge) ، بدأ الادريسي فى اتخاذ الاجراءات الحربية ضد النظام العثمانى فى عسير والمخلاف السليمانى ، وفى الوقت نفسه بدأت الرسل والبعثات البريطانية من عدن تفد على الادريسي فى جازان لتقف على نشاطه ومتطلباته ، وتحمسه للقيام بالدور الذى وافق عليه فى هذه المعاهدة .

---

(١) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ٢٢٧ .

٢ ـ تطور العلاقات بينها أثناء الحرب :

لقد حرصت الحكومة البريطانية ـ منذ أن وقعت المعاهدة مع الادريسي ـ على أن تكون على علم دائم بكل ما يجرى فى امارته ، ولاسيما نشاطه الحربى ضد العثمانيين ، بل كانت حريصة على معرفة مخططاته وتحركاته وأهدافه ، ثم الاستجابة لكل ما يطلبه من مساعدات مادية أو عسكرية حتى يقوم بالعمل الرئيسى والهام الذى تكفل به ضد العثمانيين في جنوب الجزيرة العربية ، ولهذا السبب كانت ترسل المبعوثين إلى جازان ليلتقوا بالادريسي ، ويَطَّلِعوا ـ عن كثب ـ على فعاليات المعاهدة ، ويرصدوا الأوضاع السياسية والعسكرية فى مناطق الادريسي ، والجبهة العثمانية هناك . كما كانت مهمتهم ـ أيضاً ـ جلاء الموقف وبيانه للحكومة البريطانية حتى تضع الخطط ، وتشارك فى العمليات ، وتُقَوِّم الموقف على ضوء هذه المعلومات .

ولذلك كان هؤلاء المبعوثون والرسل البريطانيون إلى الادريسي يقومون بكتابة التقارير والمراسلات عن الأحوال فى عسير والمخلاف السليمانى وموقف الادريسي وقواته ، ومتطلباته المادية والعسكرية ، مع ابداء ملاحظاتهم ومرئياتهم حول ذلك كله .

وبالاطلاع على التقريرين الذين كتبهما كل من جاكوب (Jacob) وبرادشو (Bradshaw) بعد زيارة كل منهما إلى جازان فى (شهر ربيع أول ١٣٣٤هـ/ ١٧ ، ٢٩ يناير ١٩١٦م) ، نستطيع أن نتعرف على تطور العلاقة بين البريطانيين والأدراسة ، وحقيقة الموقف الحربى أثناء الحرب العالمية الأولى . فقد أكد كل منهما أن الادريسي يحمل روحاً عدائية ضد العثمانيين ، وأن هذه الميزة تعتبر القوة الحقيقة فى موقف الادريسي ، وأوصيا حكومتهما بأن تستغل هذه الميزة ، وتعطى الادريسي من الأموال والذخائر والسلاح ما يسهل له القيام بالعمليات الحاسمة ، والتى استعد الادريسي للقيام بها ، وهى : احتجاز القوات العثمانية فى عسير لكى لا تصل إلى الميدان الجنوبى فى لحج . كما اقترح جاكوب فى تقريره أن يعطى الادريسي الكثير من الحوافز المعنوية مثل منحه وسام الفروسية ، أو منحه لقباً دينياً مناسباً ، لتزداد خدماته للمصالح البريطانية فى جنوب الجزيرة العربية .

وفى الوقت نفسه فقد أكد الادريسي لكل من جاكوب وبرادشو أنه استطاع أن يستميل بعض القبائل اليمنية كحاشد وبكيل ، وقبائل يام النجرانيه التى تعادى الإمام

يحيى ، وأخبرهما بقواته المادية [1] ولكنه يحتاج إلى المزيد ولاسيما من الذخيرة الإيطالية من نوع ويترلى (Weterli) حتى لا يضعف مركزه أمام العثمانيين ، كما أوضح تقرير برادشو أن قوات الادريسي البشرية كانت موزعة كالتالى :

الثلث تقريباً على الحدود الشمالية ـ أى جهات سراة عسير وتهامة عسير الشمالية . والثلثين تقريباً موزع على الحدود الجنوبية ، أى جهات اليمن والسواحل اليمنية . ويشير التقرير نفسه إلى أن القوات الادريسية على الحدود الشمالية أقوى من القوات العثمانية هناك ، وربما تمكنه من استعادة الأراضى فى اتجاه أبها والقنفذة [2] .

كما نستطيع أن نقف على مدى العلاقة بين الطرفين وقوة الادريسي فى سنة (١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م) من خلال التقرير الذى رفعه الميجور رايلى (Raily) ، الذى زار الادريسي فى جازان فى (شهر محرم ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م) . ويذكر فيه أنه اجتمع بالادريسي وكبار وزرائه مساء يوم السبت ٢٠ أكتوبر وتباحث معه حول المواضيع التالية : الوضع المحلى ، والمركز العسكرى على حدوده ، وخططه المستقبلية ، وموضوع ضابط الاتصال البريطانى .

---

(١) يذكر برادشو فى تقريره هذه الأرقام عن قوات الادريسي :

المدافع : ٤ مدافع ثقيلة ، ١٠ مدافع ميدان ، ١٦ مدفعاً جبلياً ، وكلها إيطالية الصنع . ٥ مدافع جبلية تركية .

الذخيرة : حوالى ١٠٠ ، ١٥٠ قذيفة لكل مدفع .

البنادق : ٢٠٠ ـ ٣٠٠ بندقية ماوزر ، ٤٠٠ بندقية ليجراس ، وكلها إيطالية الصنع .

(٢) وثائق الخارجية البريطانية :

تقرير أعده مساعد المقيم السياسى فى عدن ـ جاكوب ـ عن زيارته للادريسي بتاريخ ١٧ يناير ١٩١٦م .

جاء ضمن الوثيقة رقم 80 من : المقيم السياسى فى عدن إلى : سكرتير حكومة بومباى والقسم السياسى بتاريخ : ٢٧ يناير ١٩١٧م .

نقلاً عن أباظة : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر . ص ص ٦٢٠ ـ ٦٢٣ ؛

سجلات وزارة الهند : I.O.R. 7 : 4 Pc 5 / 10 - 562

تقرير من الميجور جنرال برادشو ، إلى : هيئة الاركان بعدن . بتاريخ ٢٩ يناير ١٩١٦م) .

(أنظر الملحق وثيقة رقم ٩)

وقد بين رايلى فى تقريره ، أن الادريسي كان إيجابياً فى مناقشة كل المواضيع المطروحة للنقاش ، ماعدا موضوع الضابط البريطانى الذي اقترحت بريطانيا أن ترسله إلى جازان ليكون حلقة وصل بينهم وبين الادريسي ـ فى ظاهر الأمر ـ ولكن الهدف منه ـ كما نرى ـ أن يكون مندوباً للاشراف على العمليات العسكرية الادريسية ضد العثمانيين ، ولكن الادريسي أدرك الأمر ورفض هذه الفكرة ، محتجاً بأن القبائل فى عسير والمخلاف السليمانى لا يقبلون وجود الأجنبى بينهم ، وأن الإمام يحيى والعثمانيين سيستخدمون ذلك حجة عليه .

وقد أوضح رايلى أنه حاول اقناع الادريسي بأهمية وجود هذا الضابط فى جازان ، متمثلاً بما حصل فى الحجاز حيث قبل الشريف حسين وجود ضابط بريطانى ، وكانت له فائدة كبيرة ، إلا أن الادريسي أصر على رفضه ، ولكنه تراجع فى الاجتماع الأخير وأبدى موافقته على أن يكون الضابط مسلماً ويفهم اللغة العربية ، سواءً أكان مصرياً أم سودانياً أم هندياً ، ومن هناك أدرك رايلى أن الادريسي يعلق أهمية كبيرة على مركزه الدينى ويخشى أى شئ يؤثر عليه أو يسيئ له .

ويؤكد رايلى فى تقريره أن بعض قبائل اليمن كحاشد وبكيل قد انضمتا إليه برئاسة كل من الشيخ ناصر مبخوت الأحمر ، والشيخ يحيى الشيف (الشايف) ، كما انضم إليه بعض شيوخ كوكبان ومن ضمنهم الشيخ أحمد الكوكبانى .

كما أورد رايلى بياناً بالقوات العثمانية على حدود الادريسي وفى بعض المناطق اليمنية ، وبياناً آخر بقوات الادريسي (١) ويبدو لنا من خلاله مدى كثافة القوات الادريسية

---

(١) القوات العثمانية على حدود الادريسي :

أ ـ على جبهة بنى عبس : ٤٠٠ جندى فى جرب ، ٤٠٠ جندى فى زهره ، ٣٠٠ جندى فى قفل ، ٤٠٠ أو ٥٠٠ فى عطن واللحية ، ١٤٠٠ فى عبس + ٨ مدافع جبلية ، تحت قيادة غالب بك .

ب ـ فى جنوب عبس : ٣٠٠ جندى بين الحديدة وباجل ، ١٥٠ جندى فى باجل ، ١٠٠ جندى فى بيت الفقيه ، ٣٠٠ جندى فى الحديدة .

جـ ـ شرق جازان : ١٢٠٠ جندى بين صعدة وجبل خولان الشام . ==

وحسن توزيعها وامكانياتها من المدافع والذخيرة ، مما يجعلها قادرة على مواجهة الاعداد الكبيرة من القوات العثمانية فى كلا الجبهتين الجنوبية والشمالية .

=== د ـ جبهة أبها : لم يحدد عدد القوات العثمانية ولكنه اشار إلى أنها منطقة حصينة .

هـ ـ العرب المناصرين للعثمانيين : ٣٠٠٠ أو ٤٠٠٠ على جبهة بنى عبس وهم من أنصار الشيخ يحيى بن على ثواب أحد شيوخ قبائل عبس ، وأنصار الشيخ هادى هيج شيخ قبائل الواعظات .

القوات العثمانية في بعض المناطق اليمنية :

أ ـ فى زبيـــد : ١٠ جنود أتراك ، ٥٠ جندى جندرمه .

ب ـ فى شرعب : ١٥٠ جندى تركى ، ١٣٠ جندى صومالى ، ٨ مدافع بقيادة اسماعيل أفندى .

جـ ـ فى تعـــز : ١٥٠ جندى تركى .

د ـ فى مخـــا : ٢٥٠ جندى تركى ، مدفعين كبيرين ، مدفع صغير .

هـ ـ فى موزع : ٥٠ جندى تركى ، مدفع كبير .

و ـ فى الشيخ سعيد : ٣٠٠ جندى تركى ، مدفعين كبيرين ، ثلاثة مدافع صغيرة .

القوات الادريسية فى الحدود مع العثمانيين :

أ ـ حول جبهة بنى عبس : ٥٠٠٠ جندى من أهالى صبيا وأبى عريش وبنى مروان والمسارحه والجعافرة وبنى عبس وبنى اسلم وبنى نشر .

١٠٠٠ جندى فى الخُشْم ، وهم من رجال الادريسي ، ١٠٠٠ جندى فى الخُشْم من قبائل حاشد ، ٦٠٠ جندى فى التلال شرق عبس من قبائل حاشد أيضاً .

ب ـ فى جبهة أبهـــــا : لقد تكفل بهذه الجبهة رجال ألمع وعددهم حوالى ٧٠٠٠ رجل . وأرسل لهم الادريسي مدفع زنة ١٥ رطل .

جـ ـ مدافع الادريسي وأماكنها : البريطانية : ٣٤ مدفعاً :-

٤ مدافع ٥ بوصة ، ٣٠ مدفع ١٥ رطل

موزعة كالتالى : ٨ مدافع على جبهة بنى عبس ، ١ مدفع فى رجال ألمع ، ٢٥ مدفع فى القلعة بجازان .

الإيطالية : ٣ مدافع فقط زنة ٤٫٥ رطل وموزعة كالتالى :-

١ مدفع قرب حسونه ، ٢ فى القلاع بجازان .

التركيـة : ١ مدفع فقط وموجود فى القلعة بجازان .

أنظر : وثائق الخارجية البريطانية : F.O. 371 / 3056

من مساعد المقيم السياسى فى عدن ، إلى المساعد الأول المقيم فى عدن بتاريخ : ٢٦ أكتوبر ١٩١٧م .

أما خطة الادريسى فى هذا العام (١٩١٧م) ضد العثمانيين فقد اطلع عليها رايلى وبينها لنا فى تقريره وكانت كالتالى :

أولاً : على جبهة بنى عبس :

١ ـ محاصرة العثمانيين فى هذه المنطقة بقوات من قبيلتى حاشد وبكيل عن طريق وادى مور إلى موقع جنوب عبس ، وفى الوقت نفسه تتحرك قوة ادريسية أخرى من نفس القبيلتين على طول ساحل البحر إلى اللحية لكى يستولوا عليها عن طريق مصادر الماء فى عطن .

٢ ـ الاستيلاء على الزُّهره وجَرْب (١) بواسطة القوات الادريسية المرابطة فى الخُشْم (٢) وبهذا يكتمل حصار العثمانيين فى منطقة عَبْس الجبلية .

٣ ـ عندما يتم التخلص من القوات العثمانية فى عبس ، تتجه القوات الادريسية جنوباً ـ عبر تهامة ـ لتستولى على الحديدة ، وتنضم إلى قبائل عُدَيْن (٣) الذين تقرر أن يكون نشاطهم ضد معسكر العثمانيين فى تعز ، وفى الوقت نفسه تتشكل قوة من قبائل حاشد ـ حوالى ٥٠٠٠ جندى ـ وتتخذ مكانها فى الجبال لحراسة باقى القوات الادريسية ضد أى هجوم محتمل من جانب الإمام يحيى .

ثانياً : جبهة عُدَيْن وحَيْس : (٤)

يذكر الادريسي أن بعض المشائخ من عُدَيْن وحَيْس قد ارسلوا إليه يطلبون المساعدة ليثوروا معه على العثمانيين ، ولذلك قرر مساندتهم . ففكر فى ارسال السيد مصطفى والشيخ حسن مقبل فاره والحاج على محفل إلى خُوخَه (٥) عن طريق البحر ، ويظل السيد مصطفى فى الباخرة بينما يذهب الآخران إلى حيس وما جاورها لعمل الترتيبات

---

(١) الزُّهره وجَرْب : من المدن اليمنية الساحلية ، شرق ميناء اللحية بحوالى ٣٠ كيلو .

(٢) الخُشْم : من القرى اليمنية على طريق الحديدة جازان ، شرق الزهرة السابق ذكرها .

(٣) عُـدَيْن : اسم لبلاد يمنية تقع غرب مدينة إب .

(٤) حَيْس : مدينة كبيرة قريبة من " زبيد " وتبعد عنها حوالى ٣٠ كيلو ، (أنظر خريطة رقم ٥) ص ١٧٨ .

(٥) خُوخَه : مدينة ساحلية وميناء على البحر الأحمر بين مخا والحديده غرب مدينة حيس بحوالى ٢٠ كيلو .

اللازمة مع الشيوخ المحليين ، فى حين يرسل إلى خُوخَه حوالى ٤٠٠ أو ٥٠٠ من رجال حاشد . وطلب الادريسي من البريطانيين مساعدته فى تنفيذ هذه الخطة وامداده بالسلاح والعتاد والمؤن لارسالها إلى خُوخَه . وهنا يؤكد الادريسي لرايلى أن عدداً من شيوخ حَيْس والحُجَرِّيه وشَرْعَب (١) أبدوا رغبتهم فى الانضمام إلى الثورة وكانت خطتهم تقضى بالاستيلاء على تعز وطرد العثمانيين منها ، ولكنها تمثل عقبة كبيرة أمامهم ، ولذلك سيتحولون عنها - أولاً - إلى زبيد ثم شرعب . كما يؤكد أيضاً - أن قبائل الزرانيق اليمنية قد اتصلوا به وأخبروه أنهم سيشتركون فى الثورة ، وطلبوا منه المساعدة بالسلاح والأموال .

ثالثاً : جبهة أبها :

قرر الادريسى أن تكون هذه الجبهة من مسئوليات رجال ألمع ، حيث أوكل إليهم مهمة الحرب ضد العثمانيين واشغالهم فى هذه الجبهة على أن يكون نشاطهم متزامناً مع العمليات الأخرى فى جبهتى بنى عَبْس ، وعُدَيْن ، وحَيْس .

رابعاً : خطته العامة :

قرر الادريسي أن تقوم كل قبيلة بأعمالها الحربية فى حرية تامة ، تحت اشراف زعمائها بشرط أن تكون هذه العمليات متزامنه مع العمليات العسكرية الأخرى .

ويضيف رايلى فى تقريره أن الادريسي قد طلب من الحكومة البريطانية مطالب شتى ، وتتمثل فى الأسلحة والعتاد والأموال ليمد بها شيوخ القبائل والجنود حتى يقوموا بمهماتهم الحربية ، وعجلات لنقل المدافع والسير بها فى الرمال ، وطالب بطائرة وخط هاتفى بين جازان وميدى لمتابعة الأعمال الحربية ، وأضواء كاشفة لاستعمالها فى جبهة بنى عبس ، كما طالب بأن ترسل إليه بريطانيا طبيباً مسلماً وبعض المعونات والمعدات الطبية الضرورية ، وكذلك طالب بالكثير من الأطعمة والغذاء ولاسيما دقيق القمح والأرز .

---

(١) شَرْعَب : قبائل يمنية شمال شرق تعز ؛
الحُجَرِّية : بلاد واسعة جنوب تعز .

وأما التجارة : فقد طلب الادريسي أن تزيد الواردات المسموح بها إلى جازان ، وأن يمنح التجار الجازانيون مزايا خاصة عن التجار الحضارم ، كما طالب بريطانيا بالسماح له أن يصدر الذهب من جازان إلى عدن ، واعادة فتح مصائد اللؤلؤ .

وأشار رايلى فى تقريره إلى أن الادريسي كان متحمساً لتحالفه مع بريطانيا ومتمشياً مع سياستها ووجهة نظرها . وكان حريصاً على قيام الثورة فى حَيْس وعُدَيْن ، قائلاً أنها ذات أهمية كبيرة ، ويفسر رايلى هذا الحرص الشديد من الادريسي ، بأنه رغبة منه لمد نفوذه إلى هذه المنطقة والتى لم يسبق له السيطرة عليها ، كما لاحظ رايلى أن الادريسي لم يكن يرغب فى أى مساعدة بحرية من جانب البريطانيين ، بل أراد أن يقوم وحده بالعمليات العسكرية ، وأن تقتصر المساعدة البريطانية على المعونة المادية والسلاح ، ولذلك فإن رايلى عندما أنهى هذه الزيارة إلى جازان سلم للادريسي صندوقاً فيه مبلغ من المال .

وأخيراً ، بين رايلى فى تقريره أن الادريسي كان موافقاً على السياسة البريطانية الرامية إلى مساندة العرب الذين يحاربون العثمانيين من أجل حريتهم دون التدخل فى شؤنهم الداخلية أو الأمور الدينية ، وأن لا تشارك فى خلافاتهم ، وأن تشجب كل ما يؤدى إلى الخلافات فى هذا الوقت الذى يجب فيه أن يتحد العرب ضد عدوهم العثمانيين .

كما بين رايلى أن الادريسي قد أكد أنه لن يستغل المساعدات البريطانية ضد أحد غير العثمانيين وأن أول أهدافه القيام بعمل سريع وحاسم ضد القوات العثمانية على الحدود ، وأنه سيكون على أتصال منتظم مع الحكومة البريطانية عن طريق الخطابات مبيناً تطور القتال وما يمكن أن يصل إليه كما أكد الادريسي أنه سيعتمد ـ كل الاعتماد ـ على المعونة التى يقدمونها (١) .

---

(١) وثائق الخارجية البريطانية : F.o. 371 / 3056

من مساعد المقيم السياسى فى عدن ، إلى : المساعد الأول المقيم فى عدن .

بتاريخ : ٢٦ أكتوبر ١٩١٧م . (وثيقة سبق ذكرها) .

وهكذا يتضح لنا من خلال هذا التقرير بعض ملامح العلاقة البريطانية الادريسية وتطورها فى عام (١٣٣٧هـ / ١٩١٧م) فقد كانت بريطانيا تعلق أهمية كبيرة على هذه العلاقة وتحاول - قدر الامكان - أن تطورها إلى الأحسن والأمثل ، لأن الحكومة البريطانية كانت تشعر بأن هذه العلاقة ستخدم مخططاتها وتحقق أهدافها الاستعمارية فى جنوب اليمن ، لاسيما إذا علمنا أن الادريسي إذا كان قوياً فى منطقته ، ونداً عنيداً فى وجه العدو المشترك ، سيؤدى إلى مزيد من المتاعب لهذا العدو ، وسيؤدى - فى نفس الوقت - إلى مزيد من الاطمئنان لبريطانيا ، ولهذا كان الادريسي - من وجهة نظر بريطانيا - يقوم بدور المشاكسه والمشاغبة للقوات العثمانية فى ميادين متفرقة من جنوب غرب الجزيرة العربية . ولاسيما فى عسير والمخلاف السليمانى . وماحولها ، ليشغلها عن الميادين الأخرى فى جنوب اليمن ، والتى تسعى بريطانيا لابعاد الخطر العثماني عنها ، لأنها تمثل لهم أهمية استراتيجية تخدم مصالحهم وأهدافهم فى المنطقة . ولذلك نجد بريطانيا - من خلال هذه العلاقة مع الادريسي ، ومن أجل هذه المصلحة - تمد الادريسي بالمزيد من الأموال ، والمزيد من الأسلحة والعتاد ، وترسل إليه البعثات للوقوف على احتياجاته ، ورصد أعماله ومخططاته ، وتشجيعه على المزيد منها .

وأما من وجهة نظر الادريسي ، فانه يرى أن دوره فى هذه العلاقة ، هو خدمة أهدافه السابقة ، فكان يسعى - من خلال هذه العلاقة - إلى أن يستفيد من امكانيات بريطانيا السياسية والعسكرية ، ويستغلهما ضد عدوه - الدولة العثمانية - لكى يحقق أهدافه فى منطقة عسير والمخلاف السليمانى ، ويجعلها منطقة خاضعة له مستقلة عن العثمانيين الذين كانوا يصرون على وجودهم فيها . ولهذا فان العلاقة بين الادريسي وبريطانيا كانت محصورة فى ميدان « الأخذ والعطاء » (١) وكان تطورها واستمرارها خدمة لمصالح الطرفين .

٣ - الأثر الاقتصادى لهذه العلاقات فى المنطقة :

لقد كانت بريطانيا - بحكم وجودها فى عدن - تتحكم فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ، ولهذا فانها ستؤثر على التجارة التى تمر فيه ذهاباً وإياباً ، وهذا بالتالى يؤدى إلى التأثير على النشاط التجارى لموانئ اليمن وعسير والمخلاف السليمانى .

---

(١) العقيلى: المخلاف السليماني ، جـ ٢ . ص ٨٢٠ .

وعندما اشتركت الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى ضد الحلفاء ، كان لابد من امتداد الحرب إلى سواحل اليمن وعسير [1] ، ولذلك نجد بريطانيا ترسم خططها فى منطقة جنوب البحر الأحمر على أساس الحصار الاقتصادى وهو امتداد للخطة العسكرية العامة لبريطانيا ، باعتبارها دولة بحرية .

ومما يوضح معالم هذه الخطة البريطانية ، تلك المذكرة التى أرسلها الجنرال برايس (Price) المقيم السياسى فى عدن ، إلى حكومة الهند البريطانية فى (شهر ربيع أول ١٣٣٤هـ / ٢٧ يناير ١٩١٦م) ويبين فيها سياسة بريطانيا فى عدن ومنطقة البحر الأحمر ، ومن خلالها نستنتج السياسة الخاصة بمنطقة عسير والمخلاف السليمانى :

أولاً : فرض حصار بحرى حول الموانئ التابعة للعثمانيين فى البحر الأحمر ، ومنع دخول أية امدادات اليها ، أوالخروج منها .

ثانياً : ضمان حماية السفن التابعة للادريسي ـ باعتباره حليفاً لبريطانيا ـ والمحافظة على فتح موانئه ـ وخاصة ميدى ـ لاستقبال الامدادات والمؤن والتجارة ، وتسيير سفنه بين تلك الموانئ ، وحمايتها من الأخطار [2] .

ويشير برايس (Price) ـ فى المذكرة نفسها ـ إلى أنه قد تم فعلاً تطبيق تلك الخطة ، فتمت محاصرة كل الموانئ العربية فى الجزء الجنوبى من البحر الأحمر بعد أن روعيت الاعتبارات المتعلقة بمصالح بريطانيا وحلفائها وهى :

أولاً : السماح بنقل المسافرين والبضائع بين عدن وجزيرتى بريم وكمران ، وبين ميناء ميدى التابع للادريسي ، وبالعكس ، وبواسطة البواخر (كواسجى ودنشو Cowasjee and Dinshaw) وليس بأية وسيلة أخرى .

---

(١) بالدرى ، چون : العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن ابان الحكم التركى ١٩١٤ ـ ١٩١٩م ، ترجمة وتقديم الدكتور السيد مصطفى سالم . (القاهرة : المطبعة الفنية ، د . ت) ص ٣٤ .

(٢) سجلات وزارة الهند I.O.R. No: C. 83. سياسة بريطانيا فى جنوب البحر الأحمر :
من : المقيم السياسى فى عدن ، الچنرال برايس ، إلى : حكومة الهند البريطانية .
بتاريخ ٢٧ يناير ١٩١٦م .
نقلاً عن : أباظة ، فاروق عثمان : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ، ص ص ٦١٨ ـ ٦١٩ .

ثانياً : السماح بنقل البضائع والمسافرين بين جيبوتى ومصوع وعصب ـ فى غرب البحر الأحمر ـ وبين مينائى عدن وميدى ـ فى شرقه ـ بواسطة سفن إيطاليا وفرنسا .

ثالثاً : السماح بالتبادل التجارى بين موانئ الادريسي الواقعة بين (خور البرك) و (حبْل) (١) بواسطة السفن الشراعية التابعة للادريسي ، وليس بأية وسيلة أخرى ، مع تزويد هذه السفن وملاحيها العاملين بالموانئ الادريسية بتراخيص وشهادات وأعلام لمعرفتها وتسهيل مهمتها .

رابعاً : يسمح لكل الموانئ التابعة للادريسي باستقبال المتاجر المحمولة بواسطة السفن الشرعية القادمة من منطقة حراسة الجزء الشمالى من البحر الأحمر بما فيها ميناء جدة ، مع تزويد هذه السفن بالشهادات والتراخيص والأعلام من السلطات البريطانية(٢) .

وفى (شهر جمادى ثانى ١٣٣٤هـ / ابريل ١٩١٦م) أعادت بريطانيا النظر فى تلك السياسة ـ السابق ذكرها . وعقدت لذلك مؤتمراً فى عدن لمناقشتها وتعديلها فقررت أن توقف كل تجارة فى موانئ البحر الأحمر مع الاستثناءات التالية :

١ ـ حركة المرور بين موانئ الادريسي .

٢ ـ قيام سفينة تجارية برحلات منظمة بين عدن وجازان .

٣ ـ حركة سفينة السيد محمد حيدر البحر الشراعية بين ميدى والطائف (٣) .

---

(١) خور البرك : وهى ميناء البرك السابق ذكرها .

حبْل : ميناء ساحلى جنوب ميدى بحوالى ٣٠ كيلو .

(٢) سجلات وزارة الهند : I.O.R. No : C 95

من المقيم السياسى فى عدن ـ الجنرال برايس ، إلى : حكومة الهند البريطانية ـ بومبى .

بتاريخ : ٢٧ يناير ١٩١٦م ، ص ١ .

نقلاً عن / أباظة ، فاروق عثمان : سياسة بريطانيا فى عسير أثناء الحرب العالمية الأولى ، ص ص ٧٢ ـ ٧٣ .

(٣) الطائف : إحدى المدن الساحلية اليمنية وتقع جنوب الحديدة بحوالى ٢٠ كيلو .

٤ ـ حركة السفنية الشراعية (دانكليه Dhankaliyah) بين كمران والساحل الادريسي ،

٥ ـ حركة السفن الشراعية من جدة المتجهة نحو موانئ الادريسي .

٦ ـ الملاحة الفرنسية والإيطالية مع جازان (١) ،

ومن هنا يمكننا أن نتبين معالم السياسة البريطانية فى البحر الأحمر وآثارها على اقتصاديات المنطقة الجنوبية منه وهى :

أولاً : العمل على ضرب العثمانيين فى اليمن وعسير والمخلاف السليمانى ـ اقتصادياً ، وحرمانهم من وصول أية امدادات إليهم ، للقضاء عليهم سياسياً وعسكرياً ، وذلك عن طريق الحصار البحرى الشديد .

ثانياً : أعطت بريطانيا لنفسها ولحلفائها فى المنطقة ـ ولاسيما الادراسة ـ كل التسهيلات الاقتصادية ، وجعلت الموانئ العسيرية مفتوحة لاستيراد وتصدير البضائع والامدادات والمؤن التجارية والحربية .

ونتيجة لهذه السياسة ، فان منطقة عسير والمخلاف السليمانى قد استفادت فائدة ضخمة ، حيث أصبحت سوقاً تجارياً ورائجة ، فاحتكر الأدراسة والعسيريون هذه السوق وتحكموا فى الأسعار واستمتعوا بالانتعاش الاقتصادى الذى شهدته المنطقة ، زغم ويلات الحروب وآثارها (٢) .

وفى تقرير رايلى ـ الذى زار جازان (فى محرم ١٣٣٦هـ / ٢٦ أكتوبر ١٩١٧م) والذى سبق ذكره ـ نجد ما يؤكد هذه النتيجة ، فعندما شعر الادريسي بالانتعاش الاقتصادى فى منطقته رغب فى المزيد من المزايا الاقتصادية فطلب من رايلى أن تزيد الحكومة البريطانية من الواردات المسموح بها إلى جازان ، وأن تمنح التجار الجازانيين مزايا عن التجار الحضارم ، كما طلب ميزة خاصة لخادمه التاجر الحاج حسن بن حاج أحمد ، كما طالب بالسماح بتصدير الذهب من جازان إلى عدن وفتح مصائد اللؤلؤ .

---

(١) بالدرى ، چون : العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن ابان الحكم التركى ، ص ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .

(٢) يعقوب ، هارولد . ف : ملوك شبه الجزيرة العربية ، ص ٢٢٦ .

وقد وعد رايلى برفع هذه المطالب للحكومة البريطانية فى عدن للنظر فيها وامكانية تحقيقها [1] .

والذى يبدو لنا من خلال هذا التقرير أنه كان فى جازان فئتنان من التجار وهم أهل جازان الأصليون ، والحضارم الوافدون ، وهؤلاء أكثر خبرة وقدرة على التجارة وأكثر نجاحاً أيضاً . ولهذا طلب الادريسي مزايا خاصة للتجار الجازانيين . كما يبدو لنا أن البريطانيين قد منعوا استيراد الذهب من جازان وأن مصائد اللؤلؤ فيها كانت معطلة ، فقدم الادريسي مطالبه السابق ذكرها . وهذه - على أية حال - تعطينا صورة حية للأوضاع الاقتصادية فى عسير والمخلاف السليمانى وأثر الحرب العالمية الأولى عليها .

أما اليمن - وخاصة منطقة الإمام يحيى والعثمانيين - فقد تأثرت تأثراً مختلفاً ، نتيجة لتلك السياسة البريطانية ، التى فرضت على موانئهم حصاراً برياً شديداً . وقد عبر أحد المؤرخين اليمنيين عن شدة هذا التأثر بقوله : « ودخلت (سنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م) وقد اشتدت الحرب العظمى وامتنعت القطارات والبواخر البحرية ، وأصاب الناس ضرر شديد بسبب ذلك ، ومكثت الحرب خمس سنين إلى نهاية سنة سبع وثلاثين هجرية (١٣٣٧هـ / ١٩١٨م) واليمن فى الزراعة والثمار هذه المدة قد تحسنت حالها ، ولم ينقطع عنها إلا الغاز والسكر ، وسائر الأشياء من الزراعة ، وأما المأكولات فموجودة ... » [2] .

وتشير أحدى الوثائق البريطانية إلى الأوضاع الاقتصادية فى اليمن عامة أثناء الحرب العالمية الأولى ، فقد أخبر - أحد التجار اليهود القادمين من صنعاء إلى عدن - ، عن وجود كميات وفيرة من الغلال والحبوب على مرتفعات اليمن من الانتاج المحلى ، وأن

---

(١) وثائق الخارجية البريطانية : F.O. 371 / 3056.

من : مساعد المقيم السياسى فى عدن ، إلى : المساعد الأول المقيم فى عدن .

بتاريخ : ٢٦ اكتوبر ١٩١٧م . (وثيقة سبق ذكرها) .

(٢) الواسعى : تاريخ اليمن .... ، ص ٣٢٩ .

أسعارها منخفضة جداً ، أما السلع المستوردة فانها معدومة ، وإن وجدت فإنها مكلفة للغاية نتيجة الرسوم المرتفعة والمواصلات المحضوره والمكوس العالية التى تفرض عند العبور (١) .

ومما يؤكد صورة الأوضاع السيئة للحالة الاقتصادية فى اليمن أن بعض الشيوخ والزعماء اليمنيين ، وخاصة سكان السواحل كالزرانيق وأهالى خوخة ، قد عرضوا خدماتهم البحرية وبيع موانئهم على البريطانيين فى عدن ، وذلك على أثر الحصار البحرى الشديد الذى شملهم وحرمهم من التجارة التى تقوم عليها حياتهم . ولكن البريطانيين رفضوا ذلك امعاناً فى تضييق الخناق على الموانئ اليمنية .

ولما يئس الزرانيق وأهالى خوخة من البريطانيين فى عدن ، اتجهو إلى الإيطاليين فى عصب والفرنسيين فى چيبوتى لعلهم يحلون مشاكلهم ، أو يشترون موانئهم ، ولكن بريطانيا اتصلت بحلفائها ـ فرنسا وإيطاليا . وأبلغتهم بسياستها فى البحر الأحمر القائمة على تضييق الخناق ومنع المؤونة عن جميع الموانئ اليمنية ماعدا موانئ الادريسي ، فقبلت فرنسا هذه السياسة ، أما إيطاليا فلم تقبل لأنها كانت ترغب فى ضم بعض الأراضى فى الجانب العربى (٢) .

وعلى أية حال فإن العلاقات بين البريطانيين والأدارسة ـ خلال الحرب العالمية الأولى ـ والتى رسمت حدودها اتفاقية (سنة ١٣٣٣ هـ / ١٩١٥م) ، قد فرضت على بريطانيا أن تعطى حليفها الادريسي من المميزات الحربية والاقتصادية ما يجعله فى موقف قوى

---

(١) وثائق الخارجية البريطانية : .No. 5896. F.O. 371 / 3394 خطاب رقم ٣٢

من : ستيوارت ، المقيم السياسى فى عدن ، إلى : ريجنالد وينجت ، المندوب السامى فى القاهرة .

بتاريخ : ٨ ديسمبر ١٩١٧م . (انظر الملحق وثيقة رقم ١١) .

(٢) وثائق الخارجية البريطانية : .No. P 3977. F.O. 371 / 2479

من المقيم السياسى فى عدن ، إلى الادارة الخارجية فى حكومة الهند (سيملا) . وإلى : وزير الهند (بومبى) بتاريخ : ٣٠ اكتوبر ١٩١٥م ؛

يعقوب ، هارولد . ف : ملوك شبه الجزيرة العربية ، ص ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

يمكنه من القيام بالعمل السياسى والحربى ضد العثمانيين فى الوقت الذي فرضت فيه الحكومة البريطانية ، حصاراً بحرياً اقتصادياً على جميع الموانئ العثمانية فى هذه المنطقة .

ولهذا نجد أن منطقة عسير والمخلاف السليمانى قد عاشت فى بحبوحة من العيش والرواج التجارى . فالموانئ عامرة ، والتجارة رابحة ، والأسواق مكتظة بصنوف المؤن والبضائع ، والسفن الشراعية التابعة للعسيريين والأدراسة ، تغدو وتروح عبر البحر الأحمر بحرية تامة فيما بين البرك شمالاً وحَبْل والعُقْم جنوباً ، بينما كانت الموانئ اليمنية ـ التابعة للعثمانيين والإمام يحيى ـ تعيش فى ضيق وشدة .

* * *

ثالثاً : العمليات العسكرية فى عسير والمخلاف السليمانى وموقف الأدراسة منها

١ ـ الادريسي يطلب السلاح من بريطانيا :-

بدأ السيد محمد الادريسي استعداداته الحربية ، للقيام بالحرب ضد الدولة العثمانية ، بناء على اتفاقه ـ السابق ذكره ـ مع بريطانيا فأرسل إلى المقيم السياسى فى عدن يطالبه بسرعة امداده بالذخيرة الفرنسية والإيطالية ليتسلح بها جيشه ويقوم بالعمليات العسكرية ضد الحاميات العثمانية فى المنطقة .

وتشير بعض الوثائق إلي أن المقيم السياسى فى عدن قد قدم طلباً إلى القنصلية الفرنسية فى عدن يطلب فيه أن يمدوه بذخيرة (ليجراس Legras) الفرنسية لارسالها إلى الادريسي الذى يصر على الحصول على هذا النوع من السلاح . وقامت القنصلية الفرنسية بالتأكد من موافقة الحكومة البريطانية على مثل هذا الطلب ، فأرسلت إلى وزير الهند تطلب فيه ابلاغ الخارجية بذلك ، حتى تتمكن من الاستجابة لطلب المقيم السياسى فى عدن (١) .

وقد تمت الموافقة من جانب الحكومة البريطانية ، فقامت فرنسا بتوفير كمية من الأسلحة المطلوبة وأرسلتها إلى المقيم السياسى فى عدن ، حيث أرسل منها ثلاثة أرباع مليون طلقة إلى السيد محمد الادريسي . وفى الوقت نفسه بعث المقيم برسالة سرية إلى ادارة الشئون الخارجية فى الهند (سيملا) ، وإلى وزير الهند يخبرهما بذلك ، ويطلب المزيد من تلك الذخيرة حتى يتوفر للادريسي مليون طلقة أخرى من فرنسا ، كما أشاد بالدور الذى يقوم به الادريسي ضد العثمانيين ، ووصف عمله بأنه لا يقدر بثمن (٢) .

---

(١) وثائق الخارجية البريطانية : 69063. F.O. : 371 / 2478

من : وزير الهند ، إلى : نائب جلالة الملك (الادارة الخارجية) بتاريخ : ٢٧ مايو ١٩١٥م .

(٢) وثائق الخارجية البريطانية : P. 3928. F.O. : 371 / 2479

من : المقيم السياسى فى عدن ، إلى : ادارة الشئون الخارجية فى حكومة الهند (سيملا) ، وإلى : وزير الهند . بتاريخ : ٣٠ اكتوبر ١٩١٥م . (وثيقة سبق ذكرها) .

ولم يكتف الادريسي بهذا النوع الفرنسي ، بل انه أرسل إلى المقيم السياسي فى عدن يطلبه كميات أخرى من السلاح الإيطالى (ويترلى Weterli) لأن قواته مسلحة بهذا السلاح منذ التعاون مع إيطاليا فى أواخر سنة (١٣٢٩هـ / ١٩١١م) وأن جنوده قد تلقوا تدريباً مكثفاً على استعماله (١) . واستجاب المقيم السياسى فى عدن لهذا الطلب فرفعه ضمن خطاب منه إلى ادارة الشئون الخارجية فى الهند ، وإلى وزير الهند ، حيث أوضح فيه امكانية التعاون مع إيطاليا . فطالما أنها « فى حالة حرب مع تركيا فربما تكون راغبة فى المساعدة من باب المعاملة بالمثل وبامكاننا امدادهم بمؤونة منتظمة من القمح وترسل إلى مقديشو » (٢) .

وعلى أية حال فإن الادريسي تمكن من الحصول على المساعدات الحربية من بريطانيا كما طلب ، وزادته فوق ذلك « أربعة مدافع حصار قذافة ، عيار خمس بوصات ، وثلاثين مدفعاً زنة كل مدفع خمسة عشر رطلاً » (٣) . وبذلك أصبح فى استطاعته أن يبدأ أولى عملياته العسكرية ضد اللحية .

٢ ـ العمليات العسكرية فى الميدان الجنوبى : (٤)

أولاً : فى اللُّحَيَّة : بدأت تحركات الادريسي إلى الحدود الجنوبية لمنطقته فى (شهر شعبان سنة ١٣٣٣هـ / يونيو ١٩١٥م) ، حيث تقدمت جيوشه بقيادة السيد مصطفى بن عبد المتعال الادريسي إلى اللحية ، وقد قسم جيشه إلى قسمين : توجه القسم الأول إلى اللحية بمحاذاة الساحل ، وجعل على قيادته الشريف أحمد الحازمى ، بينما توجه القسم الثانى إلى (دير حسين) ، وجعل على قيادته الحسن بن أحمد بن أبى مسمار (٥) .

---

(١) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ٢٢٥ .

(٢) وثائق الخارجية البريطانية : P. 3976. F.O. : 371 / 2479

من : المقيم السياسى فى عدن ، إلى : ادارة الشئون الخارجية فى حكومة الهند (سيملا) ، وإلى : وزير الهند . بتاريخ : ٣٠ اكتوبر ١٩١٥م . (وثيقة سبق ذكرها) .

(٣) يعقوب ، هارولد . ف : ملوك شبه الجزيرة العربية ، ص ٢٢٩ .

(٤) أنظر الخريطة رقم (٥) .

(٥) العقيلى ، محمد بن أحمد : المخلاف السليماني . جـ ٢ ، ص ص ٧٢٨ ـ ٧٢٩ .

ولما وصل القسم الأول إلى اللحية ، قام بهجوم قوى عليها ولكنه فشل فى الاستيلاء عليها ولم يتمكن من الوصول إلى مراكزها الدفاعية الأصلية (١) فتراجع عنها ليخطط لهجوم جديد .

وفى هذه الفترة تدخلت بريطانيا لمساعدة الادراسة فى احتلال اللحية ، فأرسلت اليهم السفينة (منتو Minto) لتقوم بالمساعدة من البحر . وبينما هى فى انتظار القوات الادريسية ، جنحت أمام اللحية وتعرضت لقصف شديد من المدافع العثمانية ، فأبحر الطراد الانجليزى (امبرس أف راشيا Empress of Russia) لمساعدة السفنية (منتو Minto) ، فوصل إليها فى ١٠ يونيو من نفس العام . وفى اليوم التالى كانت القوات الادريسية على مسافة قريبة من اللحية . فقرر الجنرال (شو Shaw) ـ القائد العام للواء عدن ـ أن يقصف مواقع المدافع العثمانية ، ونتيجة لذلك اشتعلت النيران فى جزء من المدينة قرب الميناء ، وفى المساء كانت المدافع البريطانية تلقى قدائفها ـ مرة أخرى ـ على المواقع العسكرية العثمانية واشتعلت النار فى مستودع للزيت . وهنا توقف العون البريطانى من البحر وأنسحب طرادهم (أمبرس أف راشيا Empress of Russia) إلى كمران . (٢) .

ولقد غضب السيد محمد الادريسي من هذا التصرف البريطانى وضربهم مدينة اللحية ، فكتب لهم رسالة عبر فيها عن أسفه لما حصل من القصف ، مبيناً أن الضرر لم يلحق بالعثمانيين فقط وإنما تجاوزهم للسكان والأهالى المدنيين . ولكن بريطانيا لم تكن تعتقد أن هذا التصرف منها سيغضب الادريسي إذ كانت ترى أنها تقوم ـ بذلك ـ خدمة ومساعدة (٣) .

أما القسم الثانى ـ من قوات الأدراسة ـ والتى اتجهت إلى دير حسين ، فإنها واجهت القوات العثمانية ، وكان أغلبها من قبائل الواعظات ووادى مور ـ يقودهم غالب بك .

---

(١) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ٢٢٥ .

(٢) بالدرى ، چون : العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن ايان الحكم التركى ، ص ص ١٠٠ ـ ١٠١ .

(٣) يعقوب هارولد . ف : ملوك شبه الجزيرة العربية ، ص ص ٢١٢ ـ ٢١٣ .

فانهزم الأدراسة مخلفين وراءهم الكثير من المؤن والذخائر ، حيث غنمها الجيش العثمانى[١] .

وفى سنة (١٣٣٥هـ / ١٩١٧م) أمر الادريسي قائده مصطفى الادريسي بأن يهاجم اللحية من جديد ، وفى محاولة أخرى للاستيلاء عليها وطرد القوات العثمانية ، وفى شهر (رجب / ابريل) من نفس العام طلب السيد مصطفى الادريسي من بريطانيا أن ترسل سفينة حربية لكى تساعده فى ذلك ، فوافق الضابط البريطانى لدورية البحر الأحمر ولكنه علم أن هناك سفينة إيطالية تبحر نحو الشمال من البحر الأحمر ، ولهذا ألغى هذه المحاولة ، وتأخر ـ بذلك ـ احتلال اللحية إلى العام التالى [٢] .

وفى (شهر ربيع أول ١٣٣٦هـ / ديسمبر ١٩١٧م) قام السيد مصطفى ـ نيابة عن الادريسي ـ بزيارة إلى المقيم السياسى فى عدن ، مقدماً للحكومة البريطانية الشكر والتقدير على المساعدات المالية والامدادات العسكرية ، وأوضح لهم أن القوات الادريسية فى حالة تأهب واستعداد للهجوم على اللحية . وأن قواته قد عسكرت فى المسارحة ، وبنى مروان [٣] ، كما أخبرهم أن ألفين (٢٠٠٠) من محاربى قبائل حاشد وبكيل قد وصلوا إلي جازان وأن القيادة سلمت إلى الشيخ ناصر مبخوت الأحمر ـ زعيم قبائل حاشد ، وأنه يقوم برسم خريطة لعمليات الهجوم ضد الجنوب ، كما أخبرهم أن السيد محمد الادريسى قد نقل مقر رئاسته ـ مؤقتاً ـ إلى المضايا [٤] ، حيث سيشرف بنفسه على العمليات العسكرية الجديدة ضد اللحية ، وأخيراً أبدى السيد مصطفى الادريسى تفاؤله بأن قواتهم لن تجد صعوبة ـ هذه المرة ـ فى الاستيلاء على اللحية ودحر القوات العثمانية[٥] .

---

(١) العقيلى : المخلاف السليماني ، جـ ٢ ، ص ٧٢٩ .

(٢) بالدرى ، چون : العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن ابان الحكم التركى ، ص ١٠١ .

(٣) المسارحة : من قبائل المخلاف السليمانى .

وبنى مروان : من القبائل اليمنية وأراضيها على السواحل مقابل ميدى .

(٤) المضايا : احدى المدن الساحلية فى المخلاف السليمانى ، جنوب شرق جازان .

(٥) وثائق الخارجية البريطانية : No. 5896. F.O. : 371 / 3394

من اللواء : جـ . م ستيوارت ـ المقيم السياسى فى عدن ، إلى : السير ريجنالد ، المندوب السامى البريطانى فى مصر . بتاريخ : ٨ ديسمبر ١٩١٧م . (وثيقة سبق ذكرها) .

وفى (شهر ربيع الثانى ١٣٣٦هـ / ٧ يناير ١٩١٨م) ارسلت الحكومة البريطانية السفنية (فوكس Fox) إلى جازان حيث طلب السيد الادريسى من قادة السفينة أن يساعدوه بحرياً فى زحفه المخطط له ضد اللحية ، فتقرر أن يقوم (اللنش كمران Launchkmaran) بمرافقة الزوارق الشراعية الادريسية التى تحمل المؤن والذخائر والامدادات إلى الجبهة وأن تقوم السفنية (فوكس Fox) بقصف حصون اللحية والمواقع العثمانية فى شمالها .

وعلى هذا الأساس ، بدأ التعاون الادريسي البريطانى لضرب اللحية ، فقامت القوات الادريسية ـ بقيادة ناصر مبخوت الأحمر ـ بمهاجمة المواقع العثمانية القريبة منها ، فى الوقت الذى أخذت فيه السفينة (فوكس Fox) تقصف (عطن) التى تستقى منها اللحية بالمياه . وفى نفس اليوم كانت السفنية (كليو Clio) قد ضربت حصن اللحية حتى حولته إلى أنقاض ، وبالرغم من هذا فان الجيوش الادريسية لم تستطع الاستيلاء على المدينة . ولذلك قررت بريطانيا والقيادة الادريسية وقف كل الهجمات ضد اللحية حتى يتم احتلال عطن وأبارها . وقد تم ذلك فى (شهر جمادى أول ١٣٣٦هـ / ١٧ فبراير ١٩١٨م) على يد القوات الإدريسية ، فكان ذلك مفتاحاً لاحتلال اللحية بعد ذلك حيث ساعدت فيه القوات البحرية والجوية البريطانية (١) .

واستمرت اللحية تحت الحكم الادريسي حوالى أربعة أشهر ، وما إن تمكن العثمانيون من تقوية أنفسهم حتى شنوا هجوماً كاسحاً فى (شهر رمضان ١٣٣٦هـ / ٦ يونيو ١٩١٨م) واستعادوا به دير حسين ثم اللحية وفى اليوم الثانى عشر تم جلاء القوات الادريسية . إلا أن السفن البريطانية حاولت أن تقصف المواقع العثمانية لمساعدة الأدراسة فى اعادة السيطرة على اللحية ولكن بدون جدوى .

وخلال شهرى سبتمبر واكتوبر من العام نفسه ، تجددت محاولات الادريسي لاستعادة المدينة مرة أخرى ، وساعدته البحرية البريطانية بقصف شديد لم يؤد إلى نتيجة ، واستمر الحال كذلك حتى الهدنة فى نهاية الحرب العالمية الأولى (٢) .

---

(١) بالدرى ، چون : العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن ابان الحكم التركى ، ص ص ١٠٢ ـ ١٠٧ :

(٢) بالدرى ، چون : المرجع نفسه ، ص ص ١٠٨ ـ ١١٠ .

ثانياً : في وادى مور : وفى النواحى البرية المقابلة لسواحل اللحية ، كانت تقطن قبائل الواعظات وقبائل وادى مور ، وكانت متحالفة مع العثمانيين الذين وضعوا فى تلك الأراضى بعض المراكز والحاميات . فقرر الادريسي أن يجعل هذه المناطق هدفاً ضمن عملياته الحربية فى الميدان الجنوبى ، فقام بتشكيل قوات جديدة من قبائل (يام النجرانية) ، ومن القبائل الزيديه (حاشد وبكيل) وجعل على قيادتها منصور بن حمود بن مسمار ، وأحمد بن عبد الله بن بكرى المروانى . ولما تقدمت هذه القوات على المواقع العثمانية فى وادى مور اشتبكت مع الحاميات العثمانية فى معارك كبيرة ، انهزم على اثرها جيش الأدراسة وعاد أدراجه إلى مواقعه حول اللحية (١) . ومن هنا يتضح لنا أن القوات الادريسية لم تحصل على أية مكاسب فى هذا الميدان .

٣ ـ العمليات العسكرية فى الميدان الشمالى :

أولاً : في القنفذه : كانت القوات العثمانية ترابط فى المراكز الرئيسية من الميدان الشمالى فى منطقة الادريسي وهى : محايل ، وأبها ، والقنفذه ، وهذه الأخيرة كان الادريسى قد تمكن من الاستيلاء عليها فى أواخر سنة (١٣٢٩هـ / ١٩١١م) بمساعدة الإيطاليين ، ولكن الدولة العثمانية تمكنت ـ بعد ذلك ـ من استعادتها عندما وجهت إليها قوة حجازية بقيادة الشريف فيصل بن الحسين من مكة وبعض القوات العثمانية النظامية ، وحاربت الأدراسة فيها حتى اضطروا إلى الانسحاب منها إلى قوز أبى العير (٢) ، وقد جعل فيها العثمانيون حامية قوية لرد أى اعتداء من جانب الأدراسة والإيطاليين ـ آنذاك .

وعند بداية الحرب العالمية الأولى ، كانت القنفذة ضمن أهداف الادريسى وخططه الرامية لاستعادتها وفرض سيطرته عليها ، لاسيما وأنه يعتبرها الحد الطبيعى لبلاده شمالاً مع المنطقة الحجازية (٣) . كما أن الحكومة البريطانية قد شجعته على تنفيذ هذه

---

(١) العقيلى : المخلاف السليمانى ، جـ ٢ ، ص ٣٢٠ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٢١ .

(٣) سجلات وزارة الهند : I.O.R. 6.

من : محمد بن على الادريسي ، إلى : القبطان ن . ل . ن ثيرتون . بتاريخ : ٨ أغسطس ١٩١٦م .

مرفق رقم ٨ مع تقرير من الضابط السياسى المسئول عن دوريات جنوب البحر الأحمر .

إلى : القائد ثيرتون ـ قائد السفينة نورثبروك ، بتاريخ : ١٦ أغسطس ١٩١٦ م .

الخطة لأنها كانت تخشى من وصول القوات العثمانية فى هذه المنطقة إلى اخوانهم فى الجنوب اليمنى (١) ، وفى نفس الوقت كانت تسعى إلى تخفيف الضغط العثمانى عن الحجاز الذي بدأ يتفاوض معها للدخول فى الحرب إلى صفهم . فعندما أعلن الشريف حسين الثورة على الدولة العثمانية فى (شهر شعبان ١٣٣٤هـ / ٥ يونيو ١٩١٦م) قام الإدريسى وأعلن ـ بعد سبعة أيام من هذا التاريخ أى فى (١٢ يونيو ١٩١٦م) ـ نيته فى التعاون مع شريف مكة ضد العثمانيين فى كل من القنفذة ومحايل وأبها ، وقد أرسلت له الحكومة البريطانية خطاباً فى (١٤ يونيو ١٩١٦م) تهنئه على هذه الخطوة وتقره على مبدأ التعاون مع الشريف حسين الذى سيقع على كاهله أثقل العبء ، وأخبرته بأن الشريف حسين سيكون شاكراً ومقدراً لكل الخطوات التى ينوى الادريسى اتخاذها ، كما شجعته على أن يكون الهجوم ـ فى المقام الأول ـ على القنفذة ، مؤكدة أن جهوده ستكلل بالنجاح (٢) .

ومن هنا بدأ الادريسي أول عملياته العسكرية ضد القنفذه ، ففى (شهر رمضان ١٣٣٤هـ / ١٨ يوليو ١٩١٦م) (٣) ، أمر الادريسي قواته بحصار القنفذة من البر فى الوقت الذى وصلت فيه السفنية البريطانية فوكس (Fox) ومعها ثلاث سفن أخرى إلى شاطئ القنفذة لتساعد القوات الادريسية من البحر . وقبل القيام بالعمليات الحربية ، استدعى الكابتن بويل (Boyle) القائد العثمانى وعمدة المدينة إلى السفنية فطلب منهما الاستسلام . فرفضا الاقتراح ثم أعطاهما مهله حتى الساعة التاسعة من صباح اليوم التالى . ولما لم يستجيبا ، أمر السفنية (فوكس Fox) باطلاق المدافع حتى اضطرت الحامية العثمانية إلى الاستسلام ، فدخلتها القوات الادريسية وأسرت الحامية العثمانية التى هرب من عسكرها الكثير ، ولم يبق سوى عشرة ضباط ، وخمسة وتسعين

---

(١) بالدرى ، چون : العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن ايان الحكم العثمانى ، ص ١١٧ .

(٢) سجلات وزارة الهند : I.O.R. 6. 552.

مرفق رقم ٩ بالتقرير السابق :

من : المقيم السياسى فى عدن ، إلى : السيد محمد بن على الادريسي . بتاريخ : ١٤ يونيو ١٩١٦م .

(٣) بشير بالدرى ـ فى كتابه السابق ذكره ـ أن العمليات العسكرية ضد القنفذة بدأت فى ٨ يوليو ١٩١٦م ، واستسلمت فى اليوم التالى ٩ يوليو ١٩١٦م . انظر : ص ص ١١٦ ـ ١١٧ .

رجلاً ، ومدفعين . وبذلك تمكن الأدارسة من الاستيلاء على القنفذة ورفع العلم الادريسى عليها . (١) .

ومما يجدر ذكره هنا ، أن الاستيلاء الادريسى على القنفذة ـ بعد المساعدة والتأييد البريطانى ـ قد أثار أمام الحكومة البريطانية مشكلة كبيرة ـ بالنسبة لهذه الفترة الحرجة من سنى الحرب ـ كان طرفاها الشريف حسين ، والسيد محمد الادريسي ـ الحليفين الرئيسيين لبريطانيا ـ ، وقد عرفت هذه المشكلة بـ (أزمة القنفذة)

وتتلخص هذه الأزمة فى كون القنفذة حداً استراتيجياً ، يطمع فيه كل من الشريف حسين والسيد الادريسي ، باعتبارها الحد الطبيعى لحدود كل منهما (٢) . وقد زادت هذه المشكلة ، عندما استولى عليها السيد الادريسي ، بمساعدة بريطانيا ـ كما مر بنا ـ ، فقد قرر الشريف حسين أن يستولى على هذه المنطقة بأى طريقة ـ سلماً أو حرباً ، وأخطر الحكومة البريطانية بهذه الرغبة ، وهددها بوقف عملياته ضد العثمانيين إن لم تستجب لطلبه . وهنا وجدت بريطانيا نفسها فى مشكلة ، فالادريسي حليفها وقد وضع يده على القنفذة ، والشريف حسين ـ أيضاً ـ حليفها وقد هدد باكتساح المنطقة سلماً أو حرباً ، أو وقف عملياته ونشاطه ، فماذا تفعل ؟ ! وهى تحتاج للشريف حسين كما تحتاج إلى الادريسي ، وكيف توفق بينهما ؟ ! لاسيما وأن مشكلة كهذه قد تفقدها أحد الحليفين ، وقد تقضى على الكثير من خططها تجاه العثمانيين والتى كان يساندها فى تحقيقها كل منهما . ولذلك قررت الحكومة البريطانية أن تتصدى لهذه المشكلة بكثير من السياسة والدبلوماسية ، واضعة فى اعتبارها الجانب الذي ترى أنه أكثر افادة ، مع الأخذ بخاطر الجانب الآخر حتى لا تهتز مواقفها السياسية فى نظره .

---

(١) سجلات وزارة الهند : I.O.R. 6.

المرفق رقم (٢) من التقرير السابق .

من : الضابط السياسى فى دوريات جنوب البحر الأحمر . ل . ف . نالدر ، إلى : القائد ل . ن . ثيرتون قائد السفينة نورثبروك . بتاريخ : ١٦ أغسطس ١٩١٦م ؛

بالدرى ، جون : العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن بان الحكم التركي ، ص ص ١١٦ ـ ١١٧ .

(٢) تمثل القنفذة ، الامتداد الطبيعى لحدود الادريسي الشمالية ، كما أنها تمثل الحدود الجنوبية بالنسبة للشريف حسين .

ولهذا أرسلت الحكومة البريطانية فى (شهر شوال من سنة ١٣٣٤هـ / ٧ أغسطس ١٩١٦م) إلى السيد الادريسي خطاباً تبلغه فيه أن الشريف حسين قد بعث قواته إلى القنفذة للاستيلاء عليها سلماً أو حرباً وأنه أخطرهم بذلك لكى يتدخلوا لحل المشكلة بما يرضيه مهدداً بوقف عملياته الحربية فى جبهته ضد العثمانيين إن لم يتم ذلك . وأوضحت له - أيضاً - فى نفس الخطاب - أنها وجدت نفسها أمام خيارين أيٍ منهما لا يسر ، فإما أن تحارب قوات الشريف حسين لمنعها من تحقيق هدفها . وفى هذا ما فيه من قطع العلاقات الودية مع الشريف مع ما يترتب على ذلك من امكانية تنفيذ تهديده ، فى الوقت الذى لا تستغنى عنه بريطانيا . وإما أن يسحب الادريسي قواته ليتمكن الشريف حسين من دخول القنفذة سلماً . وهذا ما تراه الحكومة البريطانية مناسباً لحل هذه الأزمة ، مؤكدة - فى هذا الصدد - للادريسي ، أن لجؤها لهذا الموقف - الذى يعتبر بمثابة القرار - إنما هو محاولة للتوفيق بين الحليفين وبالتالى فهو وسيلة للقضاء على العثمانيين فى الجزيرة العربية بمساعدتهما . وأخيراً فقد أبلغت الحكومة البريطانية الادريسي - فى نفس الخطاب - أنها قد وضعت احدى سفنها الحربية لخدمة القوات الادريسية ونقلها من القنفذة خلال ثمان وأربعين ساعة . وأبدت له - فى نهاية الخطاب - أسفها لهذا الموقف المحرج ، وطلبت منه أن يواصل جهودة ضد العثمانيين على أمل اللقاء القريب معه (١) .

وفى اليوم التالى من (شهر شوال ١٣٣٤هـ / أغسطس ١٩١٦م) أجاب الادريسي على الحكومة البريطانية بخطاب أكد فيه أنه إذا كان الشريف حسين يريد التحدى من خلال تلك الحركة التى يريد القيام بها ، فإنه سوف يواجه ذلك بتحد أعنف وأقسى ، ويذكرهم بما حصل بينهما فى سنة (١٣٢٨هـ / ١٩١٠م) عندما وقف ضد الشريف حسين وقواته عندما أرسلته الحكومة العثمانية لفك حصار أبها ، وأنه - فى الوقت الحاضر - مستعد للوقوف فى وجهه بصورة أقوى . ولكنه يعتقد بأن بريطانيا لا ترغب

---

(١) سجلات وزارة الهند : I.O.R. 6.

المرفق رقم (٧) بالتقرير السابق ، من : قائد السفينة نورثبروك ، إلى : السيد محمد على الادريسي .

بتاريخ : ٧ أغسطس ١٩١٦م .

فى مثل هذا التحدى ، ولاسيما أن العثمانيين ما يزالون فى المنطقة وبامكانهم استغلال هذا الأمر للقيام بأى عمل ناجح ومؤثر .

كما أبدى الادريسي ـ فى الخطاب نفسه ـ رأيه فى وحدة الجزيرة العربية التى أكدت بريطانيا فى بداية الحرب العالمية الأولى أنها تتبناها وتحميها . فأشار إلى أنه لا يمكن أن تتم تلك الوحدة دون أن يلتزم كل حاكم فى منطقته بحدوده ، فحاكم الحجاز بالحجاز ، وحاكم نجد بنجد ، وحاكم عسير بعسير ، وحاكم صنعاء بصنعاء . وإذا اضطرب هذا النظام فإن الوحدة ستكون مستحيلة .

ثم عبر الادريسى عن اعتقاده بامكانية تحقيق هذه الوحدة . لاسيما وأن بريطانيا قد وعدته بالمعاونة ومد حدوده شمالاً إلى القنفذة حيث هى الحد الطبيعى لمنطقته شمالاً . وإذا كان الشريف يريد ـ بحركته المذكورة ـ أن يربك الخطط البريطانية ، فإن ذلك يعنى بداية لمشاكل كبيرة فى عسير .

ولقد فند الادريسي ـ فى نفس الخطاب ـ مزاعم الشريف حسين، عندما قال : إنه قد حضر للقنفذة بناءاً على طلب شيوخها . وأكد أن هؤلاء الشيوخ المعنيين هم الموالون للعثمانيين وهم قلة ، وقد سبق للادريسي أن أخذ منهم الرهائن وما زالوا محتجزين لديه ، ولهذا قرروا استدعاء الشريف . ولكن أغلب الشيوخ فى المنطقة ـ كما يقول الادريسي ـ هم من الموالين له ولبريطانيا ، ولذلك فإنه من المؤسف أن تنجح مؤامرات الشيوخ الموالين للعثمانيين والمنحازين لجانب الشريف حسين ، بينما تتعرض القبائل المخلصة والموالية له لخيبة الأمل .

وأخيراً أكد الادريسي أن القنفذة ليست ـ فقط جزءاً من عسير ، ولكنها سلمت له بواسطة دولة عظمى ـ ويعنى بها بريطانيا ـ وأن ذلك معروف فى كل أنحاء عسير ولذلك فإنه من العار أن ينصاع لتهديد الشريف ويسلمه القنفذة ، أما إذا كانت بريطانيا ستتمشى مع رغبات الشريف ضد رغباته هو فليس من العدل أن يعامل بذلك الأسلوب غير الودى ، حيث أمهلته لمدة ثمان وأربعين ساعة ، وهى تعلم أن انسحابه من القنفذة

وتسليمها للشريف حسين يجعل القبائل فى عسير والمخلاف السليمانى تفقد الثقة فى شخصه وفى الحكومة البريطانية (١) .

وعلى الرغم من أن الإدريسى واجه هذا الموقف البريطانى بغضب شديد فى بداية الأمر ، ورفض أن يسحب قواته من القنفذه ، فإنه لم يلبث ـ أخيراً ـ أن لان وأخذ يتباحث مع البريطانيين لحل هذه المسألة بحيث لا تؤثر على موقفه أمام رجاله والقبائل العسيرية ، وبمعنى أخر بدون أن يشعر العسيريون بأن هناك خلافاً بينه وبين الشريف حسين . ولذلك طلب أن يعقد بينه وبين الشريف حسين إجتماع يبدد الصورة التى ربما قد ارتسمت فى أذهان رجاله والقبائل العسيرية عن العلاقات بينهما .

وفى (شهر شوال من سنة ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م) تحدد موعد الاجتماع المقترح ، ولكن الادريسي تراجع عنه بحجة أن الذى كان يخشى منه ، قد سرت أخباره فى عسير كلها . ولذلك فإن اجتماعه بالشريف حسين لم يعد مجدياً . ولكن البريطانيين حاولوا معه مرة أخرى حتى استجاب لمطالبهم وتجدد موعد الاجتماع فى البرك يوم (٢٠ أغسطس ١٩١٦م) (٢) .

وقد عقد الاجتماع فى مساء يوم الاثنين (٢١ شوال ١٣٣٤هـ / ٢١ أغسطس ١٩١٦م) على ظهر السفنية (نورثبروك Northbrook) واستمر لمدة ساعة أو أكثر ، وقد ناب عن الادريسي الشيخ محمد يحيى باصهى والشريف حمود ، كما ناب عن الشريف حسين الشيخ عريفان . وقد تناقش المندوبون فى العديد من المواضيع الخاصة بالحرب العالمية الأولى وموقف العثمانيين فى اليمن وعسير والحجاز ، ولكن أهم نقطة أثيرت فى الاجتماع هو (أزمة القنفذة) ، فكان مندوب الشريف حسين يرى أن يقوم الادريسى باخلاء القنفذة والسماح لبعض رجال حاميته بالبقاء فى أماكنهم حتى تنتهى الحرب ، وبعدها سوف يطلب الشريف حسين مد حدوده إلى البرك . وهنا أدرك المندوب الادريسي بالمطامع التى كان يخطط لها الشريف حسين ، فتحول الحديث عن هذه المشكلة ، واقترح المندوبان أن يقوما بزيارة إلى المدينة نفسها ، ليبرهنوا للرأى العام فى عسير

---

(١) سجلات وزارة الهند : I.O.R. 6.
المرفق رقم (٨) من التقرير السابق .
من : محمد بن على الادريسي ، إلى : القبطان ل . ن . ثيرتون ، بتاريخ : ٨ أغسطس ١٩١٦م .
(وثيقة سبق ذكرها)
(٢) الوثيقة نفسها .

والمخلاف السليمانى ، أنه لا خلاف بين الفريقين ، وقد أيدت بريطانيا هذا الاقتراح (١) .

وبعد ذلك كله تسلم الشريف حسين القنفذة وتحقق له ما أراد ، بعد أن ترك هذا الموقف فى نفس الادريسى شيئاً من التخوف من سياسة بريطانيا وتقلباتها ، الأمر الذى أثر على علاقته بهم فيما بعد (سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٦م) . وهكذا انتهت (أزمة القنفذة) بعد أن نفذت بريطانيا رغبة الشريف حسين فى الوقت الذى حاولت فيه أن تسترضى الادريسي ، حيث بررت له ذلك الموقف بأنها لا تريد أن تثير مشكلة داخلية بين حلفائها فتستفيد منها الدولة العثمانية .

ثانياً : في محايل وأبها : ومن القنفذة كانت القوات الادريسية تواصل عملياتها ضد الحاميات العثمانية فى محَايل ، وقَنَا والبَحْر ، ورِجَال ألْمَعْ (٢) ، وقد كان متصرف عسير - أنذاك - محيى الدين باشا - (١٣٣٠ - ١٣٣٧هـ / ١٩١٢ - ١٩١٨م) على رأس القوات العثمانية ، ويقوم بمجابهة القوات الادريسية ويساعده بعض رجال عسير السراه مثل محمد بن عبد الرحمن بن عائض ، وشيخ علكم - أحمد بن حامد ، وقد التقى العثمانيون بالقوات الادريسية فى الشَّعْبَيْن (٣) التى كان يعسكر فيها القائد الادريسى - مصطفى النعمى - مع قواته العسيرية من رجال ألمع ، واستطاع المتصرف العثمانى وقواته أن يدحروا القوات الادريسية ويستولوا على مراكزهم . فانسحب الجيش الادريسى إلى قرية (ثاه) من بنى زيد فى منطقة رجال ألمع ، ولاحقتهم القوات العثمانية ، ونشبت بينهم معارك دامية ، وقصف العثمانيون خلالها مبانى القرية بالمدافع حتى انسحبت الجيوش الادريسية - مرة أخرى - إلى الجنوب .

ومن هنا قام مشائخ رجال ألمع ، وكتبوا إلى الادريسي يصورون له الحالة الحربية التى يعيشونها . والأعمال العسكرية التى يقومون بها . ويطلبون منه أن يمدهم بالأسلحة

---

(١) سجلات وزارة الهند : I.O.R. 6.

المرفق رقم (٣) من التقرير السابق .

من : الملازم أول ل . ف . نالدر - الضابط المسئول عن دوريات جنوب البحر الأحمر ،

إلى : القائد ل . ن . ثيرتون - قائد السفينة نورثبروك . بتاريخ : ٢١ أغسطس ١٩١٦م .

(٢) مَحَايل ، وقَنَا والبَحْر : من مدن تهامة عسير . ورِجَال ألْمَعَ : قبيلة كبيرة فى سراة عسير .

(٣) الشَّعْبَيْن : قرية فى تهامة عسير ، فى أعالى وادى حلِى .

والذخائر لحاجاتهم الماسة لها . فاستجاب الادريسي لطلبهم ، وأرسل لهم مدفعاً من زنة ١٥رطلاً ، وكثيراً من المؤن والذخائر والمعدات والأسلحة وما إن تسلموها حتى زادت قوتهم وهيبتهم ، فقاوموا العثمانيين حتى أرجعوهم إلى مركز الشعبين مرة أخرى [١] .

٤ ــ العمليات العسكرية فى الميدان الأوسط :

وتتركز هذه العمليات ــ بشكل مباشر ــ أمام جزر فرسان [٢] ، وقد سبق للادريسي أن استولى عليها فى (شهر جمادى الثانية ١٣٣٠هـ / مايو ١٩١٢م) أثناء تحالفه مع إيطاليا . ومنذ ذلك الحين أصبحت ضمن أملاك الحكومة الادريسية .

ولما بدأت الحرب العالمية الأولى ، أصبحت هذه الجزر تشكل أهمية استراتيجية بالنسبة لبريطانيا خاصة ، والحلفاء عامة ــ ولاسيما إيطاليا ــ وقد حاولت الحكومة البريطانية ــ وبناءً على تحالفها مع الادريسي ومعاهدتها معه (سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م) أن تبعد عنها الخطر الإيطالى الموجود على الساحل الغربى للبحر الأحمر المواجه للممتلكات الادريسية فى عسير والمخلاف السليمانى ، والذي كان يؤثر على المصالح السياسية والاستراتيجية لبريطانيا فى البحر الأحمر ، وستزداد هذه الخطورة لو تمكنت إيطاليا من السيطرة على جزر فرسان، لأنها ستصبح مسيطرة على طريق البحر الأحمر المؤدى إلى الهند ، وستستغل هذه الجزر كقاعدة للتغلغل السياسى والتجارى « وكلتا الحالتين ستؤثران على توازن القوى الموجودة فى الجزيرة العربية » [٣] ولذلك فإن إبعاد الخطر الإيطالى عن جزر فرسان أصبح مسألة حيوية وهامة لمصالح بريطانيا .

---

(١) وثائق الخارجية البريطانية : F.O. 371 / 3056

رسالة من : مشائخ رجال ألمع ، إلى : أمير المؤمنين السيد محمد بن على الادريسي بتاريخ : ١١ اكتوبر ١٩١٧م . (أنظر الملحق وثيقة رقم ١٠) .

النعمى : هاشم سعيد : مرجع سبق ذكره . ص ص ٢٣٨ ــ ٢٣٩ .

(٢) جزر فرسان : من أكبر الجزر فى جنوب البحر الأحمر ، تقع بين خطى عرض ١٦ْ ر ٥ و ١٧ْ ر ٥ ، وخطى طول ٤١ْ و ٤٤ْ تقريباً . وتبعد عن جازان حوالى ٥٠ ميلاً إلى جهة الغرب . وهى عبارة عن أربعة جزر : فرسان ، والسقيد ، وزفاف ، وقماح .

أنظر العقيلى : المعجم الجغرافى ــ مقاطعة جازان ، ص ص ١٢٥ ــ ١٢٧ .

(٣) بالدرى ، جون : القوى والامتيازات فى إمامة الادريسى فى عسير ، ص ص ٦ ــ ٧ .

ومن هنا قررت الحكومة البريطانية أن تكون أولى خطواتها فى هذا السبيل الاستيلاء على هذه الجزر ولذلك أرسل المقيم البريطانى فى عدن ، برقية إلى وزير الهند ، يوضح له فيها أهمية النقاط الاستراتيجية فى البحر الأحمر ، وكان من ضمنها جزر فرسان . وقد بين فى برقيته أن هذه الجزر تحت سيطرة الادريسي ، وأنه بامكانهم ـ يعنى البريطانيين ـ أن يستولوا عليها ويبررون ذلك للادريسي بأنه اجراء مؤقت ، كما بين المقيم البريطانى فى عدن ، فى برقيته إنه من الأفضل ـ بعد الاستيلاء على كَمَران (١) ـ أن نخبر إيطاليا بأن فرسان تحت الحماية البريطانية (٢) .

وتأكيداً لهذه المخاوف البريطانية من إيطاليا وأطماعها فى فرسان ، ودعماً لخططها تجاه هذه الجزر ، فقد أرسل المقيم السياسى البريطانى فى عدن إلى السيد محمد الادريسي ، رسالة مشفوعة بعلم بريطانى فى (شهر رجب ١٣٣٣هـ / ٢٩ مايو ١٩١٥م) ، وطلب منه رفع العلم على الجزر حتى يتضح للجميع أن جزر فرسان تحت حماية بريطانيا . ولكن الادريسي لم يستجب لذلك ، بل رد على المقيم السياسى البريطانى فى عدن ، بأن البحر الأحمر كله تحت الحماية والسيطرة البريطانية (٣) ، ومن ضمن ذلك جزر فرسان .

وهنا هدأت المسألة نسبياً ، حتى العام التالى (١٣٣٤هـ / ١٩١٦م) عندما تقدم السفير الإيطالى فى بريطانيا باستفسار حول ما إذا كانت بريطانيا تعتزم احتلال جزر فرسان ، فتنبهت بريطانيا من جديد لمسألة الجزر ، وتبودلت الرسائل بين وزارة الخارجية ، ووزارة الهند ، والمقيم السياسى فى عدن ، حيث انتهت إلى موافقة الحكومة البريطانية

---

(١) كَمَران : احدى الجزر اليمنية فى جنوب البحر الأحمر مقابلة لميناء الصليف غرباً .

(٢) وثائق الخارجية البريطانية : 68317. F.O. 371/2478

من : المقيم السياسى البريطانى فى عدن ، إلى : وزير الهند ، ووزارة الخارجية

بتاريخ : ٢٨ مايو ١٩١٥م . (أنظر الملحق وثيقة رقم ٧) .

(٣) بالدرى ، جون : العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن ابان الحكم التركى ، ص ١١١ .

على اقتراح المقيم السياسى فى عدن بارسال الكولونيل (چاكوب Jacob) إلى الادريسي ليشرح له أهمية الموقف والصراع مع إيطاليا حول الجزر (١) .

وقبل أن يغادر (چاكوب Jacob) عدن إلى جازان ، كانت وزارة الخارجية البريطانية قد شعرت بتحرك إيطالى تجاه جزر فرسان ، فأرسلت أوامرها إلى عدن بضرورة رفع العلم البريطانى على جزر فرسان . وبالفعل قام الليفتانت (نالدر Nalder) قائد السفنية (لونكا Lonka) ورفع العلم على جزيرة (جبل قطا) فى شهر ربيع أول ١٣٣٥هـ / ٢٩ ديسمبر ١٩١٦م) . ثم واصلت السفنية سيرها نحو الجزيرة الشمالية من المجموعة لرفع علم آخر ، ولكن شيخ الجزيرة رفض ذلك قبل أن يتسلم أوامر الادريسي . وفى (السابع من ربيع الأول سنة ١٣٣٥هـ / أول يناير سنة ١٩١٧م) ، وصلت السفنية (كليو Clio) إلى فرسان ورفعت علماً على (جرف خور قماح) ، وفى ذلك الحين كانت السفنية (لونكا Lunka) قد وصلت إلى جازان ، حيث أرسل قائدها الليفتانت نالدر رسالة إلى الادريسي يطلب منه الأمر لشيخ الجزيرة الشمالية بالسماح برفع العلم البريطانى ومرابطة الحرس الهندى ، ولكن الادريسي رفض ذلك وأعلن سخطه لرفع العلمين فى جبل قطا وجرف خور قماح (٢) .

وفى هذه الفترة وصل (چاكوب Jacob) إلى جازان ليسترضى الادريسي ، ويشرح له أبعاد الموقف ، وبعد عدة لقاءات ومباحثات ، توصل الطرفان إلى عقد معاهدة اضافية للمعاهدة السابقة فى سنة ١٩١٥م . تتعلق بجزر فرسان . وقد وقعا عليها فى (٢٨ ربيع أول ١٣٣٥هـ / ٢٢ يناير ١٩١٧م) . وبالرجوع إلى الوثيقة البريطانية التى تتضمن صورة المعاهدة والمذكرة المرفقة بها والتى بعثها چاكوب إلى المقيم السياسى فى عدن ، نجد أن المعاهدة كانت تهدف إلى إبعاد الخطر الإيطالى عن هذه الجزر ، على أن يُنْزِلَ البريطانيون الأعلاَم التى رفعوها عليها لتحل محلها أعلام ادريسية ، وهذا اعتراف بريطانى بأن الجزر قد أصبحت ضمن املاك الحكومة الادريسية .

ويمكن تلخيص أهم بنود هذه المعاهدة فيما يلى :

---

(١) بالدرى ، چون : العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن ابان الحكم التركى ، ص ١١٢ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ص ١١٢ ـ ١١٣ .

أولاً : لقد بينت هذه المعاهدة أنها لا تلغى الاتفاقية السابقة ـ التى وقعت فى سنة ١٩١٥م ـ وإنما هى ملحق لها .

ثانياً : أن الحكومة البريطانية تعترف باستيلاء الادريسي على هذه الجزر من العثمانيين ، وأنها أصبحت جزءاً مكملاً لأراضيه ، وأنه مستقل بها .

ثالثاً : تعهدت الحكومة البريطانية بحماية الجزر والساحل التابع للأدارسة من كل القوى المعادية ، وأن لا تتدخل فى الشئون الداخلية للحكومة الادريسية ، وأن تمنع أى تدخل أجنبى فى منطقتها أو المساس بمصالحها وأن تمد الادراسة بالمساعدات الأساسية من أسلحة وذخيرة أثناء الحرب وبعدها ، وأن تساعدهم فى الحصول على خطوط الهاتف والتنقيب عن المعادن والتوسع التجارى ، وأن تمنح الادريسي الملجأ الآمن إذا ما تعرضت بلاده لأية أزمة داخلية ، وأن تحاول ـ قدر الإمكان ـ اعادته إلى أراضيه بدون أى نقصان ، كما تعهدت أخيراً بأن كل الحقوق والواجبات التى منحت للادريسي فى هذه المعاهدة ليست خاصة به فقط ، وإنما تشمل عائلته وعشيرته وورثته .

رابعاً : أما الادريسي فقد تعهد بأن لا يتنازل أو يرهن أو يسلم هذه الجزر أو الأماكن الواقعة على ساحل البحر والخاضعة له لأية دولة أجنبية وأن يستدعى الحكومة البريطانية لمساعدته إذا ما حدث أى هجوم أو تهديد خارجى عليه وعلى بلاده ، وأن يضع قوة من جنوده المسلحين فى هذه الجزر ، وأن يرفع علمه دائما عليها وأن لا يكون بجواره أى علم آخر ، وذلك رمز لاستقلاله بالجزر وتملكه الفعلى لها (١) .

أما المذكرة المرفقة بالمعاهدة ، فقد تناول فيها (چاكوب Jacob) كل المساعى التى بذلها والوفد المرافق له أثناء المباحثات مع الادريسي حتى تم التوقيع على المعاهدة . فبيَّن أولاً : أن الادريسي رفض الاعتراف بالمادة الثالثة ـ وهى أهم ما فى المعاهدة حيث تحتوى على تعهد الادريسي بأن لا يتنازل عن هذه الجزر ولا يرهنها أو يسلمها لأية دولة

---

(١) سجلات وزارة الهند : No. I - B250 - I.O.R.

من اللواء جـ . م . ستيوارت ، المقيم السياسى فى عدن ، إلى : سكرتير حكومة الهند ، الادارة الخارجية دلهى . بتاريخ : ٢٦ يناير ١٩١٧م ، (أنظر الملحق وثيقة رقم ٨) ؛

Aitchison, op. cit. pp. 178 - 179.

أجنبية ، والسبب فى ذلك ـ كما يشير چاكوب فى المذكرة ـ هو تخوف الادريسي من المستقبل وأنه غير واثق من نهاية الحرب لصالح الحلفاء ، ويخشى أن تعقد الحكومة البريطانية صلحاً مع العثمانيين فى نهاية الحرب يجعلهم فى وضعهم الطبيعى فى الجزيرة العربية ، وهم أشد أعدائه ويخشى من انتقامهم . ويبرر الادريسي هذه المخاوف بالحالة الحربية فى عام ١٩١٧م ، وأن العثمانيين كانوا ومازالوا فى موقف الصدارة فى الجزيرة العربية ، ويسيطرون على مواقعهم . كما يشير چاكوب إلى سبب آخر من أسباب مخاوف الادريسي التى منعته عن الاعتراف بالمادة الثالثة من المعاهدة ، فهو يعتقد أن هذا التعهد سيحرمه فى المستقبل من المساعدات المادية والحربية من فرنسا وإيطاليا ، وكلا الدولتين قد ساعدتاه بقدر كبير فيما مضى . ويرى الادريسي هنا ، أن انقطاع هذه المصادر التى تمده بالسلاح وتجعله فى موقف القوة ، قد تجعله فى وضع سيئ إذا لم تضمن الحكومة البريطانية أن تكون البديل عن هاتين الدولتين .

وهذا يعنى أن الادريسي أراد المساومة على المادة الثالثة لأنه يريد ضمانات أكثر من الحكومة البريطانية ضد العثمانيين إذا ماانتهت الحرب لصالحهم فى الجزيرة العربية ، وإذا ماسحبت فرنسا وإيطاليا مساعداتها عنه ، فلابد أن تكون بريطانيا هى البديل عن هاتين الدولتين . ولذلك كانت شروطه المضادة لهذه المادة الثالثة ، أن تتعهد بريطانيا بتنمية اقليمية وتطويره ، وضمان ملجأ آمن بالنسنبة له إذا ما حدثت أزمة فى بلاده ، وأن تشمل هذه الشروط والمميزات خلفاءه وعشيرته . مع استمرارها بعد الحرب ، كما طالب بأن تكون هذه المعاهدة شاملة لكل أراضيه وليست خاصة بجزر فرسان . وأمام هذه المواقف الجريئة والصلبة من السيد محمد الادريسي ، اضطر چاكوب أن يمنحه وعداً بهذه الشروط مقابل اعترافه بالمادة الثالثة من المعاهدة .

ويشير چاكوب ـ فى مذكرته ـ إلى نتائج المعاهدة وأهمها : ابعاد النفوذ الإيطالى عن أملاك الأدراسة ، ويبن كذلك أن الايطاليين كانوا راغبين فى عقد اتفاق مع الادريسي بشأن تجارة الأسلحة ، وقد أرسل الإيطاليون رسلهم إلى الادريسي ومعهم الكثير من الذخائر لهذا الغرض ولكن الادريسي استبعد فكرة التعامل مع أى دولة أجنبية ، طالما أن بريطانيا قد تعهدت بتقديم أى نوع من أنواع المساعدة .

كما أوضح چاكوب ـ فى مذكراته ـ أن المادة الخامسة من المعاهدة ـ والتى تحتوى على تعهد من الادريسي بأن يجند قوة من أتباعه فى جزر فرسان كدليل على استقلاله ـ قد واجهت الكثير من المناقشات ووجهات النظر قبل الموافقة عليها وكتابتها كما جاءت فى المعاهدة . ويبدو لنا ، أن چاكوب كان يحاول ـ بناءً على رغبة حكومته ـ أن يحدد عدد القوة الادريسية التى ستحمى جزر فرسان ، بينما كان الادريسي يقاوم هذه الرغبة مبيناً لچاكوب ـ كما جاء فى المذكرة ـ أنه من غير المناسب الاصرار على عدد معين من القوة فى الجزيرة ، لأنه ربما كانت هناك حاجة لعدد أكبر ، وطلب الادريسي بأن يترك العدد المطلوب للوقت والظروف ، وقد ذكر أحد أعضاء الوفد الادريسي أن رجال فرسان محاربون أشداء ، ويمكن الاعتماد عليهم عند الحاجة ، ولذلك اضطر چاكوب أن يقتنع ويعدل عن محاولته فى تحديد القوة الادريسية .

كما بين چاكوب ـ فى مذكرته ـ أنه اقترح على الحكومة البريطانية ـ منعاً لأى اشكال مع الحلفاء حول هذه الجزر ـ أن تقوم باخطار حلفائها بأن هذه الجزر من أملاك الحكومة الادريسية ، وأنهم قد استولوا عليها من الاعداء العثمانيين ، وأن علم الأدراسة يرفرف عليها ، وأخيراً فإنها تحت الحماية البريطانية . أو أن يتم رفع العلم البريطاني فى نهاية الحرب على هذه الجزر ، وتنزل القوات البريطانية فيها كمقدمة لاحتلالها ، بحيث تصبح الجزر ضمن المسائل التى تسوى بعد الحرب .

وأخيراً فقد أشار چاكوب ـ فى المذكرة نفسها ـ أن الادريسي رفض التوقيع على النص الانجليزى للمعاهدة ، بحجة أنه لن يوقع على شيئ لا يفهمه ، ولم يحاول چاكوب أن يضغط عليه فى هذه المسألة لاسيما وأنه قد وقع على النسخة العربية ، واحتفظ بالنسخة الانجليزية ، كما أشار چاكوب إلى أنه ـ بعد التوقيع على المعاهدة ـ أخطر قائد السفينة (منتو Minto) فى (٢٨ ربيع أول ١٣٣٥هـ / ٢٢ يناير ١٩١٧م) بضرورة ازاحة الأعلام البريطانية من الجزر ، وقد تم ذلك فى نفس اليوم .

وتجدر الاشارة هنا إلى أن چاكوب قد أرسل هذه المذكرة والمعاهدة فى (٢٩ربيع أول ١٣٣٥هـ / ٢٤ يناير ١٩١٧م) إلى المقيم السياسى فى عدن ـ اللواء جـ . م . ستيوارت ،

الذى أرسلها بدوره إلى سكرتير حكومة الهند فى (٢ ربيع ثانى ١٣٣٥هـ / ٢٦ يناير ١٩١٧م) وأرفقها بخطاب يطلب فيه مصادقة نائب الملك فى الهند وحكومة صاحب الجلالة ، كما بين فيه ، أن الهدف الأساسى من المعاهدة قد تحقق بدون تقديم تنازلات كثيرة ، وأوضح كذلك ـ فى الخطاب نفسه ـ أن الادريسي ـ آنذاك ـ كان فى حالة صعبة ، ففكره مشغول بموضوع القنفذة (١) ، وبالعمليات العسكرية فى فرسان ، والتراخى النسبى لبريطانيا فى الجزيرة العربية ـ كما يعتقد الادريسي ـ ، وقد أكد ستيوارت فى خطابه مخاوف الادريسي من المستقبل والتى أوضحها چاكوب فى المذكرة (٢) .

ونود ـ قبل أن نختم هذه النقطة ـ أن نقف قليلاً أمام مذكرة الكولونيل (چاكوب Jacob) ، وموقف الادريسي من المفاوضات التى تمخضت عنها هذه المعاهدة ، لنستنتج منها بعض الحقائق التاريخية التى لابد من الاشارة إليها ، وهى أن الادريسي لم يكن سهلاً أو متساهلاً أثناء المفاوضات مع بريطانيا ، فلم يوافق على كل ما تريده ، بل كان ينظر إلى مصلحته ومصلحة بلاده أولاً وآخراً ، وكان يناقش كل المواد والشروط بكل تفاصيلها حتى يصل إلى ماهو مقتنع به .

ويظهر ذلك ، من خلال الآراء التى أبداها چاكوب فى الادريسي ، فقد وصفه بأنه شخص متعصب . له مفاهيمه الشخصية ، وأنه كون انطباعاته وأفكاره سلفاً ، وذلك عندما رفض الادريسي الاعتراف بالمادة الثالثة إلا بعد التعهد له بضمانات وحقوق ، اضطر چاكوب للموافقة عليها . وهذا يعنى أن الادريسي لم يكن يرضى أن يعطى أكثر مما يأخذ .

---

(١) موضوع القنفذة : هى الأزمة التى تعرضنا لها سابقاً فى العمليات العسكرية فى الميدان الشمالى .

(٢) سجلات وزارة الهند : No. : I - B250. I.O.R.

من اللواء جـ . م . ستيوارت ، المقيم السياسى فى عدن ، إلى : سكرتير حكومة الهند ، الادارة الخارجية دلهى . بتاريخ : ٢٦ يناير ١٩١٧م ، (وثيقة سبق ذكرها) .

كما يضيف چاكوب رأياً آخر فى الادريسي والوفد المفاوض معه عندما يقول : بأنه كان يتعامل مع نوع غريب من الرجال ، ولذلك كان مهتدياً بالحكمة القائلة أنه ليس من الحكمة فى شيئ الاصرار على شيئ لا تستطيع فرضه أو الاشراف عليه ، وخاصة مع الأسيويين ـ دون أن يؤدى إلى احتكاك . وذلك عندما رفض الادريسي تحديد عدد القوة التي ستحمى جزر فرسان . ولهذا كان چاكوب حريصاً جداً على أن يبذل أقصى ما يمكن من دبلوماسية حتى يحقق لحكومته نجاحاً أمام الادريسي ، وقد تمكن من ذلك بعد تعب وعناء شديدين .

وأخيراً نرى چاكوب يصف الادريسي ، بأنه انسان متشكك ، وذلك عندما رفض التوقيع على النسخة الانجليزية ، وفى رأينا أن هذا ليس شكاً بقدر ماهو حرص وحذر من غدر السياسة والدبلوماسية التى تتجلى فى مثل هذه المفاوضات .

ولعل هذه المواقف من السيد محمد الادريسي ، كانت ومازالت دليلاً على حرصه الشديد لما فيه مصلحة بلاده وسياسته ، قبل مصلحة البريطانيين حتى لا يستغلوا منه أية فرصة قبل أن يستثمرها لنفسه وبلاده . ويؤيد هذا الرأى بعض المؤرخين المعاصرين الذي زاروا الادريسي ونقلوا لنا صورة صادقة عن مدى اعتزازه بنفسه أثناء علاقته ببريطانيا ، فكان دائماً يكرر هذا القول : « لم يربط الانكليز أحد مثلى ، أنا رقصت الانكليز »[1] ، يعنى أنه كان كفؤاً للتعامل مع السياسة البريطانية وعظمائها حريصاً على أن يستفيد أولاً من ذلك التعامل .

وهكذا كان سير العمليات الحربية فى منطقته عسير والمخلاف السليمانى ، وفى المناطق المحيطة بها جنوباً ، منذ أن بدأت الحرب العالمية الأولى ، وحتى سنة (١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م) ، ولكننا نراها ـ بعد ذلك ـ تأخذ مساراً بطيئاً تارة ، ومفقوداً تارة أخرى ، بحيث لا نجد فيما بين أيدينا من مراجع ، ولاسيما الوثائق ـ ما يشير إلى أى نوع من العمليات العسكرية الهامة . اللهم إلا بعض التحركات الخفيفة ، والمعارك الجانبية بين العثمانيين والأدارسة . كتلك التى نشبت عند (كتف الدكن)[2] فى (٢٩ صفر ١٣٣٦هـ/ ١٢ ديسمبر ١٩١٧م) ، وقتل فيها من جانب العثمانيين حوالى خمسين رجلاً

---

(١) الريحانى ، أمين : ملوك العرب ، جـ ١ ، ص ٢٥٥ .

(٢) كتف الدكن : لم أجد لها أى تعريف فيما بين يدى من مراجع ، وربما هى (كدن) شمال باجل حوالى ٢٠ كيلو متر

بما فيهم أحد الضباط العسكريين ، وأسر منهم اثنان وخسروا ثلاثة وثلاثين بندقية غنمها الأدارسة بعد المعركة ، أما الجانب الادريسي ، فقد كانت خسارته حوالى أحد عشر قتيلاً وسبعة جرحى . كما حصلت معركة أخرى بين الأدارسة وابن ثواب (١) ـ وهو من انصار العثمانيين ـ وقد تناقل الحجاج القادمين من الحجاز أخبارها (٢) .

ومما تجدر ملاحظته هنا أن حصيلة الأدراسة فى هذه الفترة لم تكن كبيرة إذا قيست بالجهود التى بذلوها فى ساحات الحرب ضد العثمانيين . فبالرغم من شغل القوات العثمانية فى عسير ، ومنعها من الانضمام إلى القوات الأخرى فى الحجاز وجنوب اليمن ، إلا أنهم لم يضموا من الأرض سوى جزر فرسان التى اعترفت بها بريطانيا . والقنفذة التى استولوا عليها بالحرب لكنهم خسروها بالسياسة فيما بعد .

وعلى أية حال فإن العمليات العسكرية فى عسير والمخلاف السليمانى ـ وإن لم يكن فيها الكثير من الانتصارات والمكاسب للأدارسة ـ فإن النتيجة الأهم هو ازعاج القوات العثمانية واستنفاذ الكثير من جهودها وطاقاتها وتكبيدها الكثير من الخسائر فى الأموال والأرواح والمعدات .

واستمر الوضع على هذا الحال حتى السنة الأخيرة من سنى الحرب العالمية الأولى ، حيث اعترى تلك العمليات العسكرية والنشاط الحربى بين الأدراسة والعثمانيين شيئ من الضعف كمقدمة للتلاشى والانتهاء . ويمكن أن تعزو ذلك إلى شعور الأدارسة بأنهم قد أدوا المهمة الملقاة على عاتقهم ، هذا إلى جانب بعد المنطقة عن ميادين الحرب الرئيسية ، مماجعل الفريقين يجمد ان أعمالهما العسكرية ضد بعضهما البعض حتى تعلن الهدنة وتنتهى الحرب .

* * *

---

(١) ابن ثواب : هو الشيخ يحيى بن على بن ثواب ، أحد مشائخ قبيلة عبس اليمنية .

(٢) وثائق الخارجية البريطانية : No. 2039 - F.O. : 173 / 3394

من المقيم السياسى فى عدن ، إلى : السير ريجنالد وينجت . بتاريخ ٥ يناير ١٩١٨م .

رابعاً : الهدنة ونهاية الحرب وموقف الأدارسة منها

١ ـ موقف القوى فى المنطقة قبل الهدنة :

منذ سنة (١٣٣٥هـ / ١٩١٧م) ـ تقريباً ـ بدأ النشاط الحربى ـ فى منطقة عسير والمخلاف السليمانى خاصة ، وفى جنوب الجزيرة العربية عامة ـ يخف بالتدريج حتى توقف تماماً ، وذلك بسبب بعد المنطقة عن مناطق الحرب الرئيسية التى كانت تعيش حالة حرب شاملة وعنيفة .

ولقد فرض هذا الوضع على جميع القوى المتحاربة فى جنوب الجزيرة العربية ، أن تظل فى قلق وانتظار لما تسفر عنه هذه الحرب . لاسيما وأن عام (١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م) كان عاماً حاسماً فى جبهات الحرب الرئيسية وخاصة التى كانت فيها الدولة العثمانية فى مواجهة الحلفاء . ولهذا فإن جميع القوى المهتمة بشئون الحرب فى جنوب الجزيرة العربية كانت تنتظر خروج العثمانيين منها لتحل محلها .

وإذا قمنا باستعراض عابر لموقف هذه القوى قبل اعلان الهدنة لوجدناه كما يلى :

أ ـ البريطانيون : كانت القوات البريطانية ـ فى هذه الفترة ـ تواصل فرض حصارها البحرى الشديد على معظم السواحل اليمنية ـ ماعدا السواحل الخاصة بالحكومة الادريسية ـ ، وقد قطعت بذلك كل اتصال بين القوات العثمانية فى اليمن والحجاز ، مما جعلها تسيطر على الأوضاع الحربية تماماً ، فى جنوب الجزيرة العربية ، ولاسيما حول عدن ومداخل البحر الأحمر الجنوبية . ولذلك كان البريطانيون ـ فى أواخر سنى الحرب ، وقبل اعلان الهدنة ـ اكثر اهتماماً وترقباً لخروج العثمانيين من مناطق نفوذهم فى اليمن التى تجاور حدود المحميات البريطانية ولتخوفهم ممن سيخلف العثمانيين فى اليمن بعد خروجهم ، وإن كان الإمام يحيى هو المرشح الوحيد لذلك ، وقد كان شديد الخطر على مصالح بريطانيا فى تلك المنطقة ، فهو يعتبر الجنوب اليمنى والمحميات جزءاً مكملاً لبلاده ، ولذلك اخذت بريطانيا تعد العدة لمواجهة الحالة الطارئة مستقبلاً إذا ما تم خروج العثمانيين من اليمن وحلول الإمام يحيى مكانهم [١] .

---

(١) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

ب ـ العثمانيون : كانت القوات العثمانية قد تمكنت من الاستيلاء على (لحج)(١) ، وعسكرت فيها بقيادة على سعيد باشا ، وكان الوالى محمود نديم بك مقيماً فى صنعاء يتابع الموقف من هناك ، فى الوقت الذى كانت فيه بعض القوات العثمانية تسيطر على المناطق الداخلية من اليمن ـ أى من لحج حتى صنعاء ، ومن اللحية ـ على الساحل ـ إلى مخا (٢) ، كما كانت بعض حامياتها موزعة فى سراة عسير وبعض المناطق التهامية فى شمال المنطقة الادريسية .

ومما يسترعى الانتباه ـ خلال هذه الفترة ـ ان العلاقات بين القوتين الأجنبيتين فى جنوب الجزيرة العربية ـ بريطانيا والدولة العثمانية ـ قد بلغت حداً من التحسن ، يستغرب حدوثه فى أيام الحرب وبين فريقين متحاربين . حيث نجد بينهما تبادلاً تجارياً خاصاً بالسلع التجارية والمواد التموينية والحاجات الضرورية ، بل ان القائد العثمانى فى لحج قد سمح للقوافل التجارية بالعبور إلى عدن ، فى الوقت الذى سمح فيه البريطانيون للقوافل المغادرة لعدن بأن تمر خارج حدودهم ، وبالذات إلى لحج . وكان هذا العمل ـ من وجهة نظر بريطانيا ـ خدمة لصالح اصدقائهم الذين يعتمدون على عدن فى مواردهم التموينية ، وسلعهم الاستهلاكية ولقد أدى هذا التعاون الاقتصادى بين القوتين العثمانية والبريطانية ـ إلى نوع من الهدوء والاستقرار ، وان كان يتخلله بعض النشاط الحربى المتمثل فى سعى كل من الفريقين للحصول على الأخبار والمعلومات عن تحركات الفريق الآخر (٣) .

وعلى أية حال ، فقد كان العثمانيون فى جنوب الجزيرة العربية ـ خلال السنة الأخيرة من سنى الحرب وقبل اعلان الهدنة ـ فى حالة هادئة ومستقرة مع أعدائهم البريطانيين ، وكانت هذه الحالة ـ كما يقول البعض ـ أشبه بصلح بين الأطراف المتحاربة قبل أن تنتهى الحرب (٤) .

---

(١) لحج : أحدى المدن الهامة فى جنوب اليمن .

(٢) أباظة ، فاروق عثمان : الحكم العثمانى فى اليمن ، ص ٣٩٥ .

(٣) يعقوب ، هارولد . ف : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٢٠ .

(٤) الريحانى ، أمين : مرجع سبق ذكره ، ص ٤٣٢ .

جـ ـ حكومة الأدراسة : كانت القوات الادريسية فى عسير والمخلاف السليمانى تتمتع بالمساعدات البريطانية ، المادية والعسكرية ، حيث استطاعت بها أن تحافظ على جبهتها مع العثمانيين سواءاً على السواحل العسيرية أو حول المناطق الجبلية . بل أنها هاجمت العثمانيين فى اللحية وما حولها جنوباً ، وأخرجتهم من القنفذة ، وحاربتهم فى محايل ورجال ألمع والشعبين شمالاً . ولذلك نجد الحكومة الادريسية ـ فى هذه الفترة تنتظر باهتمام وترقب شديدين نهاية الحرب وخروج العثمانيين من اليمن عامة ، ومن منطقة عسيروالمخلاف السليمانى خاصة ـ حيث كان لهم متصرفيه فى أبها وبعض الحاميات والمراكز المتفرقة فى سراة عسير ـ لكى تخلفهم فى هذه المنطقة . ولكن الحكومة الادريسية كانت تخشى ـ مثل بريطانيا ـ من الإمام يحيى الوارث الحقيقى للعثمانيين فى جبال اليمن ، وكذلك من آل عائض فى سراة عسير . ولذلك أخذت هذه الحكومة تعد العدة لاستقبال ما يترتب على نهاية الحرب واعلان الهدنة .

د ـ اليمنيون والإمام يحيى : كان الإمام يحيى ـ منذ بداية الحرب العالمية الأولى ـ بعيداً عن ميادينها ، حيث أعلن وقوفه على الحياد بين القوى المتصارعة ، وان كان يميل إلى الجانب العثمانى ، إلا أنه ـ فى الوقت نفسه ـ كان ينتظر خروج العثمانين من بلاده ليستقل بها . ولذلك نجده ـ فى هذه الفترة ـ يقيم فى (شهاره) (١) يرقب الأحداث فى ميادين الحرب ، ويتقرب إلى القبائل فى الداخل ، ويمنى نفسه بتركة ممتازة بعد خروج العثمانيين من اليمن . إلا أن ما كان يشغله حقاً هو وجود بريطانيا فى جنوب اليمن ، والحكومة الادريسية فى شماله ، وكلاهما عدو عنيد (٢) .

هـ ـ سلطان لحج : كان السلطان عبد الكريم بن فضل بن على العبدلى ـ سلطان لحج ـ قد فقد أرضه وبلاده وحكمه بعد أن استولى العثمانيون على لحج فى (٢١ شعبان

---

(١) شهاره : من مدن اليمن شمال صنعاء ، على رأس جبل شهاره المعروف وتبعد عن صنعاء حوالى ١٢٥ كيلو.

(٢) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ٣٢١ .

١٣٣٣هـ / ٥ يوليو ١٩١٥م) [١] . ولذلك نجده ـ فى هذه الفترة ـ ضيفاً على الحكومة البريطانية فى عدن مع بعض أفراد أسرته وعشيرته ، وكان يترقب بشدة نهاية الحرب ليعود إلى أرضه وبلاده ، ويعود إليه حكمه وسلطانه الذى فقده فى سنة (١٣٣٣هـ / ١٩١٥م) ، كما وعده بذلك حلفاؤه الانجليز [٢] .

وهكذا كانت مواقف القوى فى جنوب الجزيرة العربية قبل نهاية الحرب واعلان الهدنة ، هدوء فى العمليات العسكرية على جبهات القتال ، وانتظار وترقب لما تسفر عنه الأيام الأخيرة من الحرب لتحقق كل قوة أهدافها وتبلغ غايتها .

٢ ـ الهدنة وشروطها ونهاية الحرب :

ولم تلبث دول الوسط أن أخذت تتساقط واحدة بعد الأخرى ، أمام ضربات القوات المتحالفة ، مضطرة لعقد معاهدات الاستسلام ومعلنة خروجها من الحرب منهزمة خاسرة ، فسقطت بلغاريا وعقدت هدنتها مع الحلفاء فى (شهر ذى الحجة ١٣٣٦هـ / ٣١ أكتوبر ١٩١٨م) ، وتتالت ـ بعد ذلك ـ النمسا والمجر فى (شهر صفر ١٣٣٧هـ / ٣ نوفمبر ١٩١٨م) ، والمانيا فى (نفس الشهر ١١ نوفمبر ١٩١٨م) [٣] .

---

(١) لم اتعرض لاستيلاء العثمانيين على لحج لأن هذا خارج عن موضوع البحث ولمن أراد التفصيل ـ هذه بعض المراجع :

يعقوب ، هارولد . ف : ملوك شبه الجزيرة العربية ، ص ص ٢١٣ ـ ٢٢٥ .

العبدلى ، أحمد فضل بن على : هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن ، ص ص ٢٠٦ ـ ٢٢٠ .

سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ص ٢٠٩ ـ ٢١٥ .

فاروق عثمان : الحكم العثمانى فى اليمن ، ص ص ٣٧٦ ـ ٣٨٦ .

(٢) العبدلى : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤١ .

(٣) للتوسع أنظر :

الدسوقى ، محمد كمال : تاريخ أوربا الحديث ١٨٠٠ ـ ١٩١٨ ، (القاهرة : مطبعة النهضة الجديدة ، د . ت). ص ص ٢٩١ ـ ٢٩٦ ،

رنوفن ، بيير : تاريخ القرن العشرين ، ترجمة الدكتور نور الدين حاطوم. (لبنان : دار الفكر الحديث ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) . ص ص ٩٢ ـ ٩٦ .

والذى يهمنا هنا ، هى الدولة العثمانية ، والتى أصبح مصيرها محتوماً بعد قيام الجنرال (اللنبى) بالزحف المعروف على فلسطين فى (شهر محرم ١٣٣٦هـ/٢٧ أكتوبر ١٩١٧م) ، وتقدم الحملة على العراق حيث بدأت البلاد العربية ـ التابعة للعثمانيين آنذاك ـ فى السقوط واحدة بعد أخرى على يد البريطانيين . وما ان كاد عام ١٩١٨م ينتهى ، حتى فقدت الدولة العثمانية كل نفوذها وسطوتها فى الحجاز والعراق وبلاد الشام ، معلنة بذلك هزيمتها واندحارها فى الحرب العالمية الأولى ، وبالتالى قبولها لشروط الحلفاء فى هدنة مودروس (Mudros) (محرم ١٣٣٧هـ / ٣٠ ـ ٣١ أكتوبر ١٩١٨م) . والتى كانت تقضى بانسحاب القوات العثمانية من البلاد ، بما فى ذلك اليمن وعسير والمخلاف السليمانى والحجاز ، وأن تسلم عتادها وعدتها إلى أقرب قائد من قوات الحلفاء (١) . ولاشك أن هذه النهاية ـ التى وصلت إليها الدولة العثمانية ـ قد وصلت أخبارها إلى جنوب الجزيرة العربية حيث كان لها صدى كبير ، عند القوى السابق ذكرها .

ففى لحج ، كان السلطان العبدلى متخوفاً من أن يبقى العثمانيون فى بلاده ، ولذلك أرسل إلى المقيم السياسى البريطانى فى عدن ، يخبره بأنه فى قلق عظيم لعدم أشعاره بكيفية قبول الهدنة مع بقاء بلاده تحت يد العثمانيين ، فرد عليه المقيم يطمئنه : بأن تركيا قد سلمت دون قيد أو شرط وأنه على يقين أن حضرة السلطان العبدلى سيكون فى بلاده وسيقبض على زمام مملكته فى أقرب وقت ، وبذلك اطمأن السلطان العبدلى وتجددت ثقته فى بريطانيا وأخذ ينتظر العودة إلى سلطنته وبلاده ، وفى الوقت الذى قامت فيه الحكومة البريطانية فى عدن ، بابلاغ القوات العثمانية فى لحج بقيادة على سعيد باشا ، وفى باب المندب بقيادة القومندان حقى باشا ـ بنبأ الهدنة رسمياً (٢) . وبذلك انتشرت أخبار الهدنة فى جنوب اليمن ، فما كان على القوات العثمانية هناك إلا الاستسلام ، وتسليم نفسها وسلاحها لأقرب قوة للحلفاء ، وهى بريطانيا .

---

(١) مطهر ، عبد الكريم بن أحمد بن عبد الله : كتيبة الحكمة ... (مخطوط) ، ص ١٥ ؛
السوقى ، محمد كمال : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٨٦ ـ ٢٩٢ .

(٢) العبدلى : هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن ، ص ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ . وانظر أصل الرسائل فى ملاحق الكتاب ، ص ٣٠٣ .

ولذلك قام قائد القوات العثمانية فى لحج ـ على سعيد باشا فى (شهر ربيع الأول ١٣٣٧هـ / ديسمير ١٩١٨م) بتسليم نفسه وقواته ـ التى بلغت حوالى ألف جندى ـ إلى البريطانيين فى عدن ، قبل أن تأمره حكومته العثمانية بذلك ، وقد استقبله البريطانيون استقبالاً حافلاً يليق بالشخصية الممتازة والمحترمة التى رسموها له ، فهو فى نظرهم « قائد شهم ، واداري محنك ، حارب بطهارة وشرف ونظافة يد » (١) ، وظل فترة من الوقت فى عدن ـ مع قواته العثمانية ـ ثم أرسلوا إلى مصر ، ومنها اتجهوا نحو القسطنطينية ، وفى الوقت الذى سلم فيه البريطانيون سلطنة لحج لحليفهم السلطان عبد الكريم فضل ، تنفيذا لوعدهم اياه ، فدخل (الحوطة) (٢) ، فى احتفال عظيم وموكب جسيم (٣) .

وأما فى صنعاء ، فإن العثمانيين فيها اتخذوا موقفاً مختلفاً عما اتخذه اخوانهم فى لحج ، فما ان سمعوا بأخبار الهدنة ـ قبل تفاصيل شروطها ـ ، ووقفوا على الخطوة التى أقدم عليها قائد القوات فى لحج ، حتى أعلنوا رفضهم القاطع لتسليم أنفسهم وقواتهم قبل أن تصلهم الأوامر الأكيدة من الحكومة العثمانية (٤) ، ويتضح ذلك من خلال المراسلات التى تمت بين على سعيد باشا ـ فى لحج ـ والوالى العثمانى ـ فى صنعاء ـ محمود نديم بك ، وقائد الفيلق أحمد توفيق ـ فى صنعاء كذلك ، وبين هؤلاء جميعاً والقيادة البريطانية فى عدن (٥) .

والذى نستنتجه من تلك المراسلات أن القائد العثمانى فى لحج قَبِل أن يسلم نفسه للبريطانيين وأخطر الوالى محمود نديم بك ، وقائد الفيلق أحمد توفيق بذلك ، فردا عليه

---

(١) يعقوب ، هارولد . ف : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤٢ .

(٢) الحوطة ، أحدى المدن الهامة فى لحج وهى عاصمة السلطنة آنذاك .

(٣) العبدلى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .

(٤) بالدرى ، چون : العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن ابان الحكم التركى ، ص ١٣١ .

(٥) أورد العبدلى هذه المراسلات بالنصوص التركية فى ملاحق كتابه سالف الذكر ص ص ٣٠٢ ـ ٣١٤ ، كما أوردها معربة فى متن كتابه المذكور ص ص ٢٤٥ ـ ٢٦٠ . وهى وثائق هامة توضح موقف العثمانيين والإمام يحيى تجاه الأحداث فى نهاية الحرب العالمية الأولى . كما تلقى مزيداً من الضوء على العلاقات اليمنية العثمانية البريطانية .

بخطابات يحذرانه فيها من تصديق بريطانيا وتسليم نفسه وقواته لهم . كما أرسل له الإمام يحيى خطاباً آخر يمنعه من التسليم ويخبره أنه أصبح مسئولاً عن هذه القوات العثمانية بعد تخلى العثمانيين عنها ، وأنها ستكون له مقابل الديون التى أقرضها اياهم خلال الحرب (١) .

ومن هذا كله يتضح لنا أن العثمانيين فى صنعاء لم يصدقوا الأخبار التى وردتهم عن الهدنة ، ولكن عندما تأكدوا من صحتها وأن شروطها تقضى بأن يسلموا كل ما لديهم للبريطانيين فى عدن ، قاموا باعداد العدة لرفض هذا الطلب مؤقتاً ، أو تأخير تنفيذه والعمل على خدمة مصالح الإمام يحيى لكى يخلفهم فى المنطقة ، ويستفيد من قوات العثمانيين وعدتهم المتبقية فى اليمن وفاء للديون التى عليهم (٢) .

ويظهر هذا الموقف جلياً من خلال البرقية التى أرسلها الوالى محمود نديم من صنعاء إلى الجنرال ستيوارت ، المقيم السياسى البريطانى فى عدن ، والتى حاول فيها أن يبرز شخصية الإمام يحيى ، وأن يظهره بمظهر السيادة والسلطان فبين له أن الحكومة العثمانية قد أمرته بالتشاور مع الإمام يحيى فى كل الحركات فى اليمن، وأنه عندما جاءت أخبار الهدنة اجتمع بالإمام واتفقا على أن لا تسلم القوات العثمانية فى اليمن لبريطانيا حتى يأتيهما أمر صريح من الحكومة العثمانية ، وأن القوات العثمانية فى اليمن قد أصبحت فى يد الإمام يحيى ، وهو المسئول عنها لكونه الوارث الطبيعى للعثمانيين فى هذه المنطقة ، ولا يمكن اخراج أى شيئ منها حتى يتم تسوية مطالبه ، وتأمين الأمور الداخلية فى البلاد التى لا تتم إلا بوجود القوات العثمانية بجانب قوات الإمام يحيى ، ولذلك يجب على الحكومة البريطانية استرضاء الإمام يحيى (٣) .

وهكذا كان موقف الوالى العثمانى فى صنعاء من قضية تسليم قواتهم للبريطانيين فى عدن ، حيث يتضح رغبته الأكيدة فى أن يكون الإمام يحيى هو الوريث الأوحد فى المنطقة ، وأن يكون الاتصال والمفاهمة بين البريطانيين وبينه تأكيداً للوضع الجديد ، ولكن

---

(١) العبدلى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٤٥ ـ ٢٤٩ .

(٢) الجرافى اليمنى ، عبد الله عبد الكريم : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٢٥ .

(٣) العبدلى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ .

بريطانيا كانت ترفض ذلك ، بل وتصر على أن ينفذ العثمانيون ـ وليس الإمام يحيى ـ قرارات الهدنة ، باعتبار أن الحرب كانت دائرة بينهم وبين العثمانيين ، وأن قوانين الحرب تحتم استجابة العثمانيين لشروط الهدنة مثلهم مثل ألمانيا ، أما الإمام يحيى فانه ـ فى نظر بريطانيا ـ لم يكن طرفاً فى الحرب بل لزم جانب الحياد ، وقدطلبت منه أن يكون عوناً فى تسليم القوات العثمانية لهم (١) .

وعلى أية حال ، فإن العثمانيين فى اليمن تباطئوا فى عملية التسليم ، وقام الوالى فى صنعاء ، باستدعاء الإمام يحيى ليسلمه اياها فدخلها فى (صفر سنة ١٣٣٧هـ/ نوفمبر ١٩١٨م) ، وسلم له كذلك قصر غمدان وما فيه من معدات ، وفَضَّل الوالى العثمانى وبعض الموظفين أن يظلوا فى صنعاء لخدمة اليمن فى عهد الإمام يحيى ، الذى عين بعضهم فى الوظائف والمناصب الحكومية وأجرى لهم الرواتب والمعاشات (٢) .

ولما أدرك البريطانيون فى عدن ما قام به العثمانيون من مخالفة لنصوص الهدنة وشروطها ، أظصروا للقيام بعمل حاسم ضدهم ، وهو ضرب الحديدة والاستيلاء عليها ـ كما سيمر بنا ـ ، وكان ذلك من الأسباب التى زادت المشاكل بينهم وبين الإمام يحيى بعد خروج العثمانيين .

وأما فى عسير والمخلاف السليمانى ، فإن أخبار الهدنة قد وصلت إلى العثمانيين عن طريق الادريسي ، حيث أرسلت له بريطانيا « مظروفاً كبيراً مختوماً بالشمع من سائر أطرافه » (٣) ، ليبعثه إلى المتصرف العثمانى فى أبها ـ محيى الدين باشا (١٣٣٠ ـ ١٣٣٧هـ / ١٩١٢ ـ ١٩١٨م) ، وكان الظرف يشتمل على أوامرالحكومة البريطانية للقوات العثمانية فى عسير بتنفيذ قرارات الهدنة ، والخروج من المنطقة وتسليم معداتهم وأسلحتهم ، وفى الوقت نفسه ، تبلغ المتصرف العثمانى أوامر حكومته بأن يسلم نفسه ورجاله لبريطانيا ، ومعداته وأسلحته لآل عائض ـ الخلفاء الطبيعيين للحكم العثمانى فى

---

(١) العبدلى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

(٢) الجرافى اليمنى ، عبد الله عبد الكريم : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

(٣) رفيع ، محمد عمر : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤٦ .

النعمى ، هاشم سعيد : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤١ .

سراة عسير ولذلك استدعى المتصرف العثمانى، الحسن بن على آل عائض(١) وسلمه العتاد والأسلحة، ثم خرجوا من سراة عسير متوجهين إلى الشقيق -ميناء عسير- وكان عددهم حوالى ثلاثة آلاف رجل، ومن هناك أقلتهم البواخر البريطانية(٢).

وهكذا سلم العثمانيون -فى عسير- أنفسهم وقواتهم، وغادروا المنطقة كلها، ولكن أحد مؤرخى المنطقة، ينقل عمن عاصر الأحداث فى هذه الفترة، أن الذى استلم السلاح والعتاد العثمانى هو السيد محمد الإدريسى، وليس الحسن بن على آل عائض، وذلك عن طريق حيلة دبرها بين القائد العثمانى، والأمير الحسن آل عائض، حيث أوقع بينهما، وتمكن من الاستيلاء على السلاح عندما وصل العثمانيون إلى الشقيق(٣).

وعلى أية حال، فلا يهمنا ما إذا كان الحسن آل عائض، هو الذى استلم السلاح العثمانى، أو الإدريسى، ذلك أن شروط الهدنة تنص على تسليم العتاد والسلاح لبريطانيا، وليس لأحد من الزعماء المحليين، ولكن الذى نؤكده هنا أن العثمانيين قد خرجوا من عسير، كما خرجوا من شمال اليمن وجنوبه، وقد استقل الإدريسى بالمنطقة التى حارب فيها ومن أجلها، والتى امتدت فى هذه الفترة شمالا إلى حدود القنفذة، وجنوباً إلى اللحية(٤)، بل أنه استطاع أن يمتلك فى نهاية الحرب، بعض الأراضى اليمنية الداخلية والساحلية مثل بلاد قيس، والخميسين، وحجور، وباجل، والصليف(٥)، الأمر الذى أثار العداء بين الإمام يحيى والإدريسى، فانتهزت بريطانيا هذه الفرصة وزادت الأمر سوءاً على سوء، عندما زرعت بينهما (قضية الحديدة).

(١) آخر أمراء آل عائض فى سراة عسير، عين معاوناً للمتصرف العثمانى فى أبها بعد فك الحصار الإدريسى عنها على يد الشريف حسين، وعين أميراً بعد خروج العثمانيين فى نهاية الحرب العالمية الأولى، وقد امتد حكمه حتى عادت عسير إلى الدولة السعودية سنة ١٣٤١هـ.

أنظر: مسفر، عبدالله بن على: مرجع سبق ذكره، ص ص١٤٨- ١٥٠.

(٢) العقيلى، محمد بن أحمد: المخلاف السليمانى، جـ٢، ص٦٣٦.

(٣) النعمى، هاشم سعيد: مرجع سبق ذكره، ص ص٢٤٢- ٢٤٣.

(٤) رفيع، محمد عمر: مرجع سبق ذكره، ص٢٥١.

(٥) العقيلى، المخلاف السليمانى، جـ٢، ص ص٧٢١- ٧٢٢.

بالدرى، جون: العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم التركى، ص٩٤.

٣ ـ (قضية الحديدة) بين بريطانيا والأدراسة والإمام يحيى :

عندما تأخر العثمانيون فى صنعاء والحديدة عن تسليم قواتهم للبريطانيين وأصروا على تسليمها للإمام يحيى ، قررت بريطانيا أن تخلق مشكلة تساوم بها الأمام يحيى لفرض علاقات جيدة وجديدة بينهما ، بعد أن اتضح جلياً أنه سينفرد بالحكم فى اليمن عندما يخرج العثمانيون .

ولهذا أرسلت الحكومة البريطانية قواتها البحرية من عدن فى (شهر ربيع ثانى ١٣٣٧هـ / ١٠ ديسمبر ١٩١٨م) إلى الحديدة ، لضربها بالمدافع والاستيلاء عليها . وفى الثالث عشر من الشهر نفسه ، كانت القوات البحرية البريطانية عند شواطئ المدينة ، ومن هناك وجهت القيادة العسكرية البريطانية انذاراً لقائد المدينة العثمانى بأن يستسلم ، ويسلم قواته وأسلحته فى مدة لا تتجاوز أربع ساعات ، أو ستكون الحديدة هدفاً للقنابل والمدافع البريطانية . ولما لم يستسلم القائد العثمانى ، وانتهت مدة الانذار ، كانت المدافع البريطانية ترسل قذائفها على المدينة حتى تم الاستيلاء عليها فى اليوم الرابع عشر من الشهر نفسه (١) .

ولما سمع الأمام يحيى بتلك العمليات البريطانية فى الحديدة ، أرسل إلى قيادتهم فى عدن يحتج على ذلك الاحتلال ، ولكن البريطانيين أرسلوا له خطاباً يخبرونه بأن عملية الاستيلاء على الحديدة ليست إلا محاولة لحفظ الأمن والنظام . وطمأنوه بأنهم سيعيدونها له فى أقرب وقت (٢) .

ولكننا نرى أن قضية الحديدة ـ بالنسبة للبريطانيين ـ ليست مرتبطة فقط ـ بحفظ الأمن والنظام ـ كما يقولون ـ . ولكنها تنطلق من دوافع عديدة وأهمها : تشكيل قاعدة لاستسلام القوات التركية فى المنطقة وعودة الأسرى والرعايا البريطانيين المحتجزين (٣) ، وأن تكون قضية يساومون بها الإمام يحيى لحل المشاكل الناتجة بينهم وبينه بعد خروج

---

(١) بالدرى ، چون : العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن ابان الحكم التركى ، ص ١٣٢ .

(٢) الريحانى ، أمين : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠٠ .

(٣) أنظر قضية الأسرى المحتجزين لدى / بالدرى ، چون : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٩٥ ـ ٩٩ .

العثمانيين من اليمن (١) ، ولكن الدافع الأهم ـ وهو الذى اتضح فيما بعد ـ عندما سلموا الحديدة للأدراسة فى (شهر جمادى أول ١٣٣٩هـ / ٢٩ يناير ١٩٢١م) (٢) ـ فهو : خلق مشكلة ينشغل فيها الإمام يحيى بالنزاع مع الأدارسة حولها ، ثم يتفرغ البريطانيون لتنظيم شئونهم فى عدن والمحميات .

ولا شك أن عملاً كهذا سيثير الإمام ، لأن الحديدة هى المنفذ الطبيعى والهام لليمن ، وهى الميناء الاستراتيجي ، والمنفذ البحرى الذى تطل منه صنعاء على العالم الخارجي ، وليس من السهولة أن يفقده الإمام يحيى فى بداية عهده بالاستقلال . ولذلك فقد انشغل ـ فعلاً ـ بهذه القضية السياسية الكبرى ، حتى استطاع فى سنة (١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م) أن يستعيدها وذلك فى امارة السيد على بن محمد الادريسي .

وعلى أية حال فقد خرج العثمانيون من عسير والمخلاف السليمانى ، كما خرجوا من جبال اليمن وسواحله ، ومن شماله وجنوبه . واستطاع الادريسي أن يمد يده إلى الحديدة والصليف (٣) ، فوصل نفوذه إلى الكثير من المناطق فى تهامة اليمن . وبذلك بدأ يخط أولى مراحل الاستقلال ، وتوسيع النفوذ ، وتنظيم الحكومة ، بعد أن انتهى عدوه اللدود ـ العثمانيين ـ فى أواخر سنة (١٣٣٧هـ / ١٩١٨م) . ولكن القدر لم يمكنه من استكمال ذلك ، حيث توفى ـ رحمه الله ـ فى (٣ شعبان ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م) . لتبدأ الحكومة الادريسية عهداً جديداً ، بقيادة السيد على بن محمد الادريسي ، ثم عمه السيد الحسن بن على الادريسي ، إلى أن تنتهى هذه الحكومة فى سنة (١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م) على يد الدولة السعودية .

٤ ـ ما بعد الحرب :

وفى الفترة بين (١٣٣٧ ـ ١٣٥٢هـ / ١٩١٨ ـ ١٩٣٣م) يتشكل تاريخ عسير والمخلاف السليمانى المعاصر ويمكن تقسيمه إلى مرحلتين .

---

(١) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ٢٥٧ .

(٢) بالدرى ، چون : العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن ابان الحكم التركى ، ص ١٣٤ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٩٤ .

المرحلة الأولى : من سنة (١٣٣٧ ـ ١٣٤١هـ / ١٩١٨ ـ ١٩٢٣م) ، أى خلال السنوات التى حكم فيها السيد محمد الادريسي ، بعد خروج العثمانيين من المنطقة ، وحتى وفاته .

المرحلة الثانية : سنة (١٣٤١ ـ ١٣٥٢هـ / ١٩٢٣ ـ ١٩٣٣م) . أى خلال السنوات التى حكم فيها خلفاء السيد محمد الادريسي ، وكانت هى مرحلة ضعف الحكومة وانهيارها .

ونود هنا أن نختتم هذا البحث ، باستعراض سريع لأهم ملامح هاتين المرحلتين ، والتى يمكن أن نطلق عليها فترة ما بعد الحرب ، لتكون مفتاحاً لبحث جديد إن شاء الله .

المرحلة الأولى : (١٣٣٧ ـ ١٣٤١هـ / ١٩١٨ ـ ١٩٢٣م) :-

تتميز هذه المرحلة بالصراعات الاقليمية بين حكومة الأدراسة وجيرانهم فى صنعاء وسراة عسير ، سعياً لتأكيد الاستقلال الذى حصلت عليه بمجرد خروج العثمانيين من المنطقة ، ففى صنعاء ، قام الإمام يحيى مطالباً بالتركة العثمانية فى شمال اليمن وجنوبه ، رامياً بنظره صوب تهامة عسير والمخلاف السليمانى ، لأن الأدراسة قد أصبحوا يشكلون خطراً يهدد استقلاله ، لاسيما وأنهم قد تجاوزوا حدودهم الطبيعية إلى حدوده وأملاكه داخل البلاد اليمنية وعلى سواحلها . ولذلك قامت الحروب بين الفريقين ، منذ سنة (١٣٣٨هـ / ١٩١٩م) (١) .

ثم ازدادت هذه الحروب شدة ، عندما أشعلت بريطانيا بينهما قضية الحديدة ـ السابق ذكرها ـ والموانئ التى سلمتها للادريسي كالصليف واللحية ، ففقد الإمام ـ بذلك ـ أهم المنافذ البحرية لتصبح بلاده عرضة للاختناق الاقتصادى (٢) ، واستمر الصراع بينهما

---

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر :

الحداد ، يحيى بن على ناجى : عمدة القارى .. (مخطوط) ، ص ١٦٧ ؛

مطهر ، عبد الكريم بن أحمد : كتيبه الحكمة .. (مخطوط) ، ص ٦٠ .

(٢) هلفريتز ، هانز : اليمن من الباب الخلفي ، تعريب خيرى حماد (بيروت : المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ت) ، ص ١٤٧ .

قائماً حتى بدأت الخلافات تدب فى جسم الحكومة الادريسية بعد وفاة السيد محمد الادريسي ـ كما سنعرف فى المرحلة الثانية ـ فانتهز الإمام يحيى هذه الفرصة واستعاد كل المناطق التى امتدت إليها يد الأدراسة فى أواخر الحرب العالمية الأولى . وأما فى سراة عسير : فإن علاقة الحكومة الادريسية بها تعود إلى عام (١٣٢٨هـ / ١٩١٠م) عندما قاد الادريسي ثورته ضد العثمانيين وحاصر مركز المتصرف العثمانى ـ أبها ـ . وكان السيد محمد الادريسي يخطط للاستيلاء عليها ، ولكن خروج العثمانيين منها وتسليم ادارتها إلى آل عائض ، أفسد عليه كل المخططات .

وعندما وجد آل عائض أنهم غير قادرين على ادارة البلاد وحدهم ، اضطروا لعقد اتفاقية مع الحكومة الادريسية فى صبيا ، فى أواخر سنة (١٣٣٧هـ / ١٩١٨م) ، وقد نصت على أن تكون سراة عسير تحت حماية الحكومة الادريسية ، وأن يكون الحسن بن على آل عائض نائباً للادريسي فى أبها ، ومعه مندوب ادريسى ، وأن يكون هناك جيش موحد (١) .

وعلى هذا الوضع استمرت العلاقات الطيبة فترة من الوقت ، حتى انقلب آل عائض ونقضوا اتفاقية صبيا ، الأمر الذى أغضب الادريسي فقام بالحرب ضدهم فى السراة ، ولكن النصر كان حليفاً لهم ، حيث تراجعت القوات الادريسية إلى مواقعها فى رجال ألمع (٢) ، وقد ظلت الأمور على تلك الحالة حتى دخلت عسير تحت الحكم السعودى بعد حرب مع آل عائض ـ حكام عسير آنذاك ـ استمرت طوال الفترة من (١٣٣٨ ـ ١٣٤١هـ / ١٩١٩ ـ ١٩٢٣م) (٣) .

---

(١) النعمى : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤٤ ؛
رفيـع : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .
(٢) أنظر التفاصيل فى المرجعين السابقين ؛
العقيلى : المخلاف السليماني ، جـ ٢ . ص ٧٤٠ .
(٣) لمزيد من التفاصيل أنظر :
النعمى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٥١ ـ ٢٥٥ ،
رفيـع : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٥٤ ـ ٢٦٠ ،
العقيلى : مرجع سبق ذكره ، ص ٧٤٣

وفى أثناء ذلك قامت علاقة وثيقة بين حكومة الأدراسة وبين آل سعود ، واستمرت على ذلك حت توفى السيد محمد بن على الادريسي فى سنة (١٣٤١هـ / ١٩٢٣م) (١) .

وهكذا تبين لنا ـ من خلال المرحلة الأولى ـ فيما بعد الحرب ، أن الحكومة الادريسية ، فى أواخر عهد السيد محمد الادريسي ، قد وجدت نفسها ، أمام العديد من الأزمات والرغبات . فهى تسعى لتدعيم استقلالها ومد نفوذها ، وفى الوقت نفسه ، تخشى من جيرانها الأقوياء ، الذين لم يدعوا لها فرصة لتأكيد استقلالها مما جعلها تواجه العديد من الصراعات الشديدة فلم تجد بداً من الدفاع عن مكتسباتها التى جنتها خلال احدى عشرة سنة قاومت فيها الدولة العثمانية حتى خرجت من عسير والمخلاف السليمانى .

المرحلة الثانية : (١٣٤١ ـ ١٣٥٢هـ / ١٩٢٣ ـ ١٩٣٣م) :-

وتتميز هذه المرحلة بالصراعات الداخليةبين أفراد الأسرة الادريسية الأمر الذى أدى إلى انهيار الحكومة وضعفها وبالتالى سقوطها . فبعد أن توفى السيد محمد الادريسي ـ مؤسس هذه الحكومة ـ فى (٣ شعبان ١٣٤١هـ / ٢١ مارس ١٩٢٣م) ، بويع ابنه الأكبر السيد على بالامارة فى تهامة عسير والمخلاف السليمانى ، وكان آنذاك صغير السن لا يستطيع تسيير دفة الادارة كما كان أبوه يسيرها ، وبدأ بذلك تدهور الحكومة

---

(١) تتميز هذه العلاقة بالود والتفاهم ، حيث وجد الادريسي نفسه فى حاجة إلى التقرب من أقوى القوى فى الجزيرة العربية ـ آنذاك ـ وقد كانت بدايتها عند ما نقض آل عائض اتفاقية صبيا ، فقد أرسل الادريسي إلى السلطان عبد العزيز خطاباً بين فيه ذلك ، وأن آل عائض قد لجئوا إلى أشراف الحجاز . ثم تطور ذلك التقارب إلى أن يسمى الادريسي أحد أبنائه المولودين فى سنة (١٣٣٨هـ / ١٩١٩م) باسم السلطان عبد العزيز ، وكتب له خطاباً بهذه التسمية ومعها توصية على أهل بيته إذا ما توفاه الله . وبعد أن انضمت سراة عسير إلى السلطان عبد العزيز ، كتب إلى الادريسي خطاباً يدعوه فيه إلى هدم القباب الموجودة على المقابر فى المخلاف السليمانى ولاسيما فى صبيا تمشياً مع الدعوة السلفيه ، فلم يتوان الادريسي وقام بازالتها . ويقال أنه فى العاشر من صفر سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م عقدت بين الزعيمين اتفاقية تؤطر هذه العلاقات .

للزيادة والتفصيل أنظر :

العقيلى ، محمد بن أحمد : المخلاف السليمانى ، جـ ٢ ، ص ٧٥٧ ؛

الزركلى ، خير الدين : شبه الجزيرة العربية فى عهد الملك عبد العزيز (ط ١ ، بيروت : مطابع دار القلم ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) جـ ٢ ، ص ٥٣٥ .

الادريسية فقد قام السيد علي بممارسة سياسة غير ناجحة ، عندما أقصى رؤساء الحكومة ووزراءها الذين ساعدوا أباه في تأسيسها ، فحقدوا عليه ، وأخذوا يضعون العراقيل في وجهه ، ثم قامت الخلافات بينه وبين عمه السيد الحسن ، وابن عمه السيد مصطفى - الذي كان والياً على الحديدة - وانتهت هذه الخلافات بخلع السيد علي ، وتعيين عمه السيد الحسن في سنة (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م) (١) .

وفي هذه الاثناء كان الإمام يحيى قد حرك قواته - منتهزاً فرصة انشغال الأدراسة بخلافاتهم الداخلية - فاستعاد الحديدة وباجل والصليف وميدى وغيرها من المناطق اليمنية التي كانت تحت يد الحكومة الادريسية (٢) .

ولما رأى السيد الحسن الادريسي ضعف موقفه وخاف من أطماع الإمام يحيى وقوته - التي بدأت تتزايد - في منطقة عسير والمخلاف السليماني لجأ إلى السلطان عبد العزيز آل سعود الذي وقَّع معه معاهدة مكة المكرمة في سنة (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م) والتي رضى فيها السيد الحسن الادريسي بأن تكون حكومته وبلاده تحت الحماية السعودية (٣) .

وظل السيد الحسن الادريسي على رأس الحكومة الادريسية يعاونه مندوب من قبل السلطان عبد العزيز آل سعود ، حتى سنة (١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م) حيث قام الأدراسة بثورتهم المعروفة ضد المندوب السعودي في جازان والتي كانت متواطئة مع ثورة ابن رفاده في الشمال ، ولكن الله سبحانه وتعالى مكن للسلطان عبد العزيز فقضى على ثورة الشمال قبل أن تقوم ثورة الجنوب . ثم اتجه فيها بعد إلى الأدراسة وقضى على ثورتهم في عام (١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م) (٤) ، وضم إلى حكمه منطقة تهامة عسير والمخلاف السليماني لتصبح - منذ ذلك التاريخ - احدى مقاطعات الحكومة السعودية .

---

(١) سالم ، السيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث ، ص ٢٧٩ .

(٢) الواسعي اليماني : مرجع سبق ذكره ، ص ٣٢٨ .

(٣) حمزه ، فؤاد : قلب جزيرة العرب . (ط ٢ ، الرياض : مكتبة النصر الحديثة ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) . ص ٣٦٥ ؛

سعيد أمين محمد : ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم ، ص ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٤) الزركلي ، خير الدين : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز . جـ ٢ ، ص ٥٣٩ .

وهكذا انتهت حكومة الأدارسة ـ الطرف الثاني في بحثنا ـ وقد سبقها في عام (١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م) خروج الطرف الأول ـ العثمانيين ـ من عسير والمخلاف السليماني . وبذلك نكون قد أتينا على آخر خطوط العلاقات التي التي جمعت بين العثمانيين وحكومة الأدراسة في عسير ، في الفترة من (١٣٢٥ ـ ١٣٣٧هـ / ١٩٠٧ ـ ١٩١٨م) .

والحمد لله رب العالمين

الخاتمة

الخاتمة

وبعد أن استعرضنا -فى الفصول السابقة- العلاقات بين العثمانيين وحكومة الأدارسة فى عسير والمخلاف السليمانى فى الفترة من (١٣٢٥-١٣٣٧هـ/ ١٩٠٧- ١٩١٨م)، نود هنا أن نختم البحث بكلمة موجزة نقف فيها على أهم الأفكار والنتائج التى توصل البحث إليها.

١- إبراز شخصية عسير والمخلاف السليمانى كمنطقة منفصلة عن اليمن:

لقد تبين للباحث أن أغلب الدراسات والأبحاث السابقة التى تتعرض لمنطقة عسير والمخلاف السليمانى فى هذه الفترة تجعلها ضمن منطقة اليمن، فتأتى أحداث المنطقة وتاريخها ضمن أحداث اليمن وتاريخه، ولذلك حاول الباحث أن يجعل لمنطقة عسير والمخلاف السليمانى تاريخاً مستقلا عن تاريخ اليمن، والفكرة الرئيسية هنا والتى تم التوصل إليها هى: أن حكومة الأدارسة فى عسير والمخلاف السليمانى هى التى أعطت لهذه المنطقة سمة خاصة واستقلالية معينة بحيث أوجدت للمنطقة تاريخاً خاصاً ومميزاً(*).

٢- الخطوات الأولى لتأسيس حكومة الأدارسة:

ومن خلال الدراسات والأبحاث السابقة -أيضاً- اتضح للباحث أنها لم تتعرض لبدايات الأسرة الإدريسية وكيف استطاع السيد محمد الإدريسى تأسيس حكومته فى هذه المنطقة والمراحل التى مرت بها، ومن هنا تناول البحث بالتفصيل هذه الأمور حيث توصل إلى أن السيد أحمد الإدريسى -جد الأسرة الإدريسية- قد وصل إلى المنطقة قادماً من المغرب ثم مكة ثم زبيد، حيث استقر به المقام أخيراً فى صبيا، وهنا أنجب أبناءه وكون أسرته التى جاء منها السيد محمد الإدريسى مؤسس الحكومة الإدريسية فى عسير.

(*) بحيث تنتفى أى تبعية لليمن، وأن ما حدث من ربط فهو من قلة قليلة من المؤرخين الذين يجهلون تاريخ المنطقة الحقيقى.

كما تناول البحث بالتفصيل المراحل والخطوات التى مر بها السيد محمد الإدريسي فى تأسيس حكومته حيث بدأها بالدعوة الدينية ثم الصلح بين قبائل المنطقة ثم القضاء على المعارضين وأخيراً أوجد شيئاً من التنظيم الإدرارى لما يمكن أن نسميه بالحكومة الإردريسية .

٣ ـ القوى الخارجية التى كان يعتمد عليها الإدريسي :

لقد توصل البحث إلى أن الحكومة الإدريسية فى عسير والمخلاف السليمانى قد استفادت من بعض القوى الخارجية فى ثوراتها وحروبها ضد العثمانيين . فكانت أول القوى التى اتصلت بها هى الحكومة الإيطالية وذلك فى سنة (١٣٢٩هـ / ١٩١١م) ، وقد تبين للباحث أن هذه العلاقة قد ارتبطت بأهداف معينة وسعى الفريقان إلى تحقيقها وقد تم لهما ذلك .

أما ثانى القوى فهى الحكومة البريطانية وذلك أثناء الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م ـ ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م) وقد توصل الباحث إلى كثير من المواقف الحربية الجديدة التى لم تتعرض لها الأبحاث والدراسات السابقة والسبب فى ذلك الاعتماد على المصادر الأصلية وهى الوثائق البريطانية التى لم يسبق نشرها . ومن هذه المواقف : مسار العلاقات بين بريطانيا والحكومة الإدريسية أثناء الحرب ، والوفود والرسل التى كانت تلتقى بالإدريسي فى جازان ، والمساعدات المالية والحربية التى كانت تقدمها بريطانيا للقوات الإدريسية . وحروب الأدراسة فى كثير من ميادين الحرب ضد العثمانيين.

كما توصل البحث إلى المعاهدات الثنائية التى عقدت بين الأدراسة والبريطانيين . ففى سنة (١٣٣٣هـ / ١٩١٥م) عقدت أول معاهدة بشأن التحالف بين الفريقين فى بداية الحرب ، وفى سنة (١٣٣٥هـ / ١٩١٧م) عقدت المعاهدة الثانية بينهما بشأن جزيرة فرسان وهى المعاهدة التى لم يشر إليها أغلب المؤرخين والدارسين إلا بإشارات عابرة . ولكن الباحث هنا أورد شروطها ـ من أصل الوثائق البريطانية ـ وحلل محتوياتها وبين دلالاتها وما صاحب ذلك من وجهات نظر مختلفة .

٤ -علاقة الأدارسة فى عسير بالقوميين العرب وتأثر الإدريسى بالأفكار القومية

لقد توصل الباحث إلى بيان فكرة رئيسية وجديدة وهى أن هناك علاقة وثيقة بين الحكومة الإدريسية فى عسير والمخلاف السليمانى وبين القوميين العرب فى كل من الشام ومصر والعراق كما تبين أن السيد محمد الإدريسى قد تأثر بالأفكار القومية لدى أولئك الزعماء الذين كانوا ينادون بالقومية العربية والانتماء العربى حيث عقد الباحث مقارنات بين مطالب الإدريسى للصلح مع العثمانيين سنة (١٣٣٢هـ/١٩١٣م) وبين مطالب جمعية بيروت الإصلاحية وقرارات مؤتمر باريس فى العام نفسه، فخرج بالنتيجة التالية وهى أن هناك اتصالا فكرياً وثقافياً وسياسياً بين الأدارسة فى جنوب غرب الجزيرة العربية، وبين الحركات القومية فى بلاد الشام والعراق(*).

ومما سبق يتضح لنا أن أهم النتائج التى توصل إليها البحث، ولابد أن نقرر هنا أن السبب فى بروزها هو وجود حكومة الأدارسة على مسرح الأحداث فى جنوب غرب الجزيرة العربية، ولذلك فإن الأمانة العلمية تفرض على الباحث أن يبين معطيات هذه الحكومة فى منطقة عسير والمخلاف السليمانى، بعد أن كانت هذه المنطقة -فى ظل الحكم العثمانى- لا نكاد نسمع لها ذكراً.

١ - أنها أعادت للمنطقة روح الدين الإسلامى وتعاليمه التى انطمست قبل قيام هذه الحكومة فطبقت الشريعة الإسلامية حكماً وإدارة وقضاء.

٢ - أنها أوجدت للمنطقة تاريخاً حديثاً مستقلا عن تاريخ اليمن.

٣ -أنها حملت لواء الثورة ضد الحكم العثمانى المتسلط حتى خرج من المنطقة

٤ - أنها أول من دعت إلى القومية العربية فى جنوب الجزيرة العربية وهذا نتيجة التفاعل مع الحركات القومية العربية فى بلاد الشام ومصر والعراق.

٥ - أنها أحيت التراث الأدبى والفكرى والتاريخى لهذه المنطقة، ولعل المكتبات الخاصة فى المنطقة وما تحويه من مخطوطات خير دليل على ذلك.

٦ - أنها نقلت المنطقة من حالة الحروب والفتن الداخلية بين القبائل إلى

(*) والواقع أن الدعوة إلى القومية العربية فى أساسها كانت ردة فعل على موقف العثمانيين من الدعوة إلى الطورانية والقومية التركية، ولكنها فى حقيقتها معارضة لروح الدين الإسلامى الذى يدعو إلى التقارب والتوحد بين المسلمين عربهم وعجمهم، وهذا ما كانت ولازالت تدعو إليه الدولة السعودية منذ قيامها وحتى الآن.

الوحدة والائتلاف فى دولة واحدة.
٧ - أنها أخرجت من أبناء المنطقة من يتحمل المسئولية فى كل مجال، فهناك القضاة والعلماء، والقادة والجنود، والوزراء والإداريين، بعد أن كان أغلب الشعب عمالا أو عاطلين.
٨ - أنها فتحت للمنطقة الأبواب الاقتصادية التى كانت مغلقة، وذلك عبر الموانىء العسيرية والعلاقات التجارية مع الموانىء الأخرى على شواطىء البحر الأحمر الغربية.
٩ - وأخيراً أنها حافظت على هذه المنطقة من التدخلات الأجنبية الخارجية والداخلية حتى سلمتها إلى اليد السعودية.

ولعل هذه المعطيات، هى التى ستحفظ لهذه الحكومة -التى سادت ثم بادت- تاريخها وآثارها كإمارة من إمارات الجزيرة العربية التى ظهرت فى أوائل القرن العشرين.

وقبل أن أختم هذا الموجز، أود أن أشير إلى بعض الاقتراحات التى أجد أن المقام مناسب لطرحها والتنبيه إليها:
١ - الاهتمام بمنطقة عسير والمخلاف السليمانى فى جميع الميادين العلمية والاقتصادية والاجتماعية، فهى كنز لا ينتهى، وأخص فى هذا المجال الدراسات التاريخية، فهى منطقة بكر، ومازال فى حاجة لمن ينفض عنها غبار التاريخ المتراكم عبر العصور.

٢ - إعادة كتابة تاريخها القديم والحديث والمعاصر، مع ما يتناسب مع أهميتها الاستراتيجية والتاريخية، ولو يوجه الدارسون إلى ذلك، لأثروا المكتبة التاريخية بالمفيد والجديد والأبحاث والدراسات، فأغلب الكتب التى تعرضت لتاريخ هذه المنطقة، تفتقر إلى مناهج البحث الدقيقة، ولعل طلاب الدراسات العليا فى جامعاتنا يقبلون عليها.
٣ - إقامة مركز بحث تاريخى فى إحدى جامعاتنا -ولا سيما التى لها فروع فى المنطقة- لتهتم بتاريخها وتراثها، فتجمع الوثائق والمخطوطات الداخلية والخارجية، ليكون مركز إشعاع تاريخى، يستفيد منه الباحثون والدارسون.

٤ ـ أن تبادر الدولة بتقديم الحوافز التشجيعية لخدمة تراث المنطقة وإبراز الجوانب الحضارية والتاريخية لها ، ولعل دارة الملك عبد العزيز ، ونادى أبها الأدبى ، ونادى جازان الأدبى يتحملون هذه المسئولية ويقومون بها خير قيام .

٥ ـ أتوجه إلى أبناء المنطقة شباباً وشابات ـ ولاسيما ممن تحصلوا على الشهادات الجامعية ، وطلاب الدراسات العليا ـ أن يضعوا اللبنة الأولى لخدمة تراث المنطقة وأن يتجهوا بأنفسهم للبحث والدراسة فى تاريخها حتى يكونوا قدوة لغيرهم من أبناء هذه البلاد ، وبالتالى لغيرهم من أبناء الأمة العربية والإسلامية ، وأبناء الأمم الأخرى .

٦ ـ وأخيراً ، أتوجه إلى العلماء والمشايخ والأدباء المعمرين فى هذه المنطقة ، والذين يملكون مكتبات خاصة ، وخزانات ملئت بالمخطوطات أن يفتحوا لها نوافذ العلم والمعرفة ، فإما أن ينشروها وتعم الفائدة ، وإما أن يسهلوا إليها طريق الباحثين والدارسين ، وإما أن يقدموها ـ راضية بها أنفسهم ـ لأقرب جامعة فتكون صدقة جارية وعلماً ينتفع به إن شاء الله .

واسأل الله تعالى أن يهئ السبل لخدمة تاريخ هذه البلاد عامة ، ومنطقة عسير والمخلاف السليمانى خاصة ، ليعلم الجميع أننا ما فرطنا ولن نفرط فى مكتسباتنا التراثية ، وأمجادنا التاريخية ، والله من وراء القصد ، وهو الهادى إلى سواء السبيل .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

« وقل رب زدنى علما »

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ،،،

الملاحق

(الوثيقة رقم ١)

الإدريسي يدعو قبائل سراة عسير إلى الانضمام إلى الثورة

من : محمد بن على الإدريسي ، إلى : قبائل سراة عسير

بتاريخ ٤ ذو الحجة ١٣٢٨هـ *

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن على بن إدريس إلى إخواننا عسير الصراة (السراة) بنى مغيد وعلكم وبنى مالك وربيعة ورفيدة تولى الله هدانا وهداهم . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد . يا اخواننا فتعلمون ما كنتم فيه من دون سائر المسلمين من ظلم الأتراك لكم فى النفس والأموال ، حتى جعلوا عليكم سبعة أقلام ما أنزل الله بها من سلطان ، مع أنهم لم يأمنوا (يؤمنوا) خوفكم ، ويحقنوا دماءكم ، بل القتل يجرى حتى فى نفس المركز ، فلما قامت دعوة الإسلام أمن الله خوفكم ، وأصلح ذات بينكم ، وقمنا عليكم حتى رجعوا لأخذ الزكاة فقط منكم ، وصرتم أحراراً كالمسلمين بعد أن كنتم أرقاء لظلم الظالمين . ولما كانت الأتراك آلات الفساد والظلم والجور ، نقضوا ما بيننا وبينهم من الصلح مما فيه صلاحكم ، فما سعى الحقير إلا من أجل منافعكم أيها المسلمون ، والله المطلع على ذلك ويعلم المفسد من المصلح . وقد تعدى الأتراك بحبس رجال من المسلمين ومخالفة رب العالمين ، فما بيننا وبينهم إلا السيف حتى يحكم الله وهوخير الحاكمين .

وقد بلغنا أنهم يبذلوا (يبذلون) لكم الذهب لتوالوهم ، ويزخرفون القول لتتبعوهم وتتثبطوا عن جهادهم ، فيا عجبا لكم أن وافقتموهم وهم بالأمس اعداؤكم ، ولا أعتقكم منهم إلا دعوة الإسلام ، وهم الآن لو أمنوا لم يظلموا أحداً غيركم ، ولم يمتهنوا أحداً سواكم ، لأن كلاً من المسلمين قد طردهم من بلادهم ، وأنتم هذا وقت الفرصة فاغتنموها . فالله الله جاهدوا بأموالكم وأنفسكم من يريد حكماً غير الله ، واذكروا عهد الله الذى تحملتموه ((ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً))

---

* أهديت إلىّ صورة هذه الوثيقة من الشيخ محمد أحمد العقيلى فى جازان .

ولا يغركم الذهب فما بذلوه لكم عن حب ، ولو كانوا يحبونكم لسلموكم من الظلم قبل دعوة الإسلام ، أما الآن فإيمانهم كإيمان فرعون ((فلما أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين)) .

فالله الله ، والله يتولى هدانا وهداكم والسلام .

٤ ذى الحجة سنة ١٣٢٨هـ .

(الوثيقة رقم ١)

الادريسي يدعو قبائل سراة عسير الى الانضمام الى الثورة. *

[illegible]

المكتبة العقيلية
جازان

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد علي الادريسي الى اخواننا عشائر السراة بني مغيد وعلكم وبني مالك وربيعة
ورفيدة [illegible] الله هداكم وهداهم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد
يا اخواننا فتعلمون ما لكم فيه من ذل مثل المسلمين من ظلم الاتراك [illegible]
[illegible]
[illegible] لم يأمنوا على انفسكم ويحقنوا دماءكم بل القتل يجري حتى في نفس المركز [illegible]
قامت دعوة الاسلام [illegible] حفظكم واصلح ذات بينكم [illegible] عليهم [illegible]
رجعوا لاخذ الزكاة فقط منكم وصرتم احرارا كالمسلمين بعد ان كنتم [illegible]
لظلم الظالمين ولما كانت الاتراك الائمة العباد والظلم والجور نقضوا
من الصلح مما فيه صلاحكم فما سعى الحقير الا من اجل منافعكم [illegible]
[illegible] على ذلك [illegible] يعلم المفسد من المصلح وقد تعدى الاتراك بحبس
المسلمين [illegible] العالمين فما بيننا وبينهم الا السيف حتى يحكم
وهو خير الحاكمين وقد بلغنا انهم [illegible] لكم الذهب لتوالوهم [illegible]
[illegible] لتنصروهم [illegible] فيا عجبا لكم ان [illegible]
اعدائكم ولا [illegible] الا دعوة الاسلام وهم الذين لو امنوا لم يظلموا
غيركم ولم [illegible] المسلمين قد طردوهم من بلادهم
هذا وقت الفرصة فاغتنموها [illegible] جاهدوا باموالكم وانفسكم
في سبيل الله [illegible] واذكروا عهد الله الذي حملتموه ولا تنقضوا الايمان
بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ولا يغرنكم الذهب [illegible]

* اهديت الي هذه الصورة من الشيخ محمد احمد العقيلي.

(الوثيقة رقم ٢) *

منشور عثمانى بعد لقاء والى اليمن محمود نديم مع الإدريسي

بسم الله الرحمن الرحيم

ان أجل ما قامت به الجوارح ، ونطقت به لسان الابانة من فن المادح ، إشادة معالم الدين ، والذب عما شرعه رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا المنقذ والهادى لأمته من المهالك ، وعلى آله وأصحابه الذين أوضحوا طرق الهداية لكل سالك ، وبعد .

فانه لما ورد الأمر إلينا من مقام الصدارة العظماء ((العظمى)) ، عطفاً على القرار الذى ناسب اصداره من شورى الدولة العلية المتضمن لتعيين هيئة علمية للتوجه بهم تحت رياستنا إلى مقر محمد بن على الإدريسي لإلقاء النصائح الدينية معه ، وحمله على العدول عن شق عصا المسلمين ، والإنابة عن سفك دماء الموحدين ، والخوض فيما يكون به اطفاء نار فتنة المضلة التى أشعلها فى البلاد ، فكان من المندوبين لهذا المقصد الخير ، السيد العلامة قاسم بن حسين بن محمد العزى أبو طالب ، بعد أن وقعت المخابر القلمية فيما بيننا وبين حضرة الإمام المتوكل على الله حماه الله فى تعيينه ، وإلزامه بالعزم معنا لهذا المقصد المرضى .

ولما كان فرط الرغبة فى سد باب هذه الفتنة هو العامل المؤثر فى الهمم والمتعلق بالنفوس والأنظار دون تحمل المشاق والألم ، لم يسعه بعد ذلك إلا الإسعاد ، طمعاً فى رضى الله وخدمة الإسلام ، وامتثالاً لأمر الحكومة الجليلة والإمام .

وحين كملت الهيئة العلمية بما تخبرنا من السادة الكرام ، والعلماء الأعلام ، ضممنا إليهم من أمراء الدولة العلية من هو أهل لسلوك مفاوز هذا المرام ، ثم توجهنا بعون الله . وحين وقع الوصول إلى ((اللحية)) كان الرأى منا بتقديم الهيئة وبعض الأمراء لإلقاء النصائح من المذكور وتقريبه لمواجهتنا إلى محل يليق ، فكان عزمهم إلى مستقر المذكور

---

* نقلاً عن

سالم ، السيد مصطفى : وثائق يمنية (القاهرة : المطبعة الفنية ، ١٩٨٢م) ص ٢٨٠ .

ومحل اقامته وكان ((بجازان)) . وبعد وصولهم إلى هناك وقعت المراجعة معه وابلاغ النصيحة التى يرعوى بها عن الغى كل ذى لب عارف ، ويأنف بعد سماعها ذو البصيرة عن وقوفه بتلك المواقف ، وأخيراً وقع حصول الهيئة منه على مواجهتنا إلى ((ميدى)) بعد أن تكررت مواعيده ، وكان كلما وعد أخلف ، فوقع رجوعهم إلى ((ميدى)) وهو على أهبة اللحوق بهم ، وجدد الانتظار ((بميدى)) بعد وصولنا إليه ، ومرت الأيام كسالفاتها ومواعيده بالخلف مقرونة ، ثم تخير أن يكون اتفاقنا به فى ((جازان)) بعد أن قد كان وصل إلى بعض طريق ((ميدى)) ، فوقع عزمنا إلى هنالك وبمعيتنا الهيئة والأمراء على الباخرة الحربية المسماة ((الحميدية)) . وعند الوصول إلى ((جازان)) وقع الاتفاق والمذاكرة معه ، فاتخذنا لقبول النصيحة وارعوائه عما هو عليه من الطريقة القبيحة كل وسيلة ، فكان يتلون فى الجواب ، ويسهب فى الخطاب ، فتارة يدعى التقشف والولاية ، وآونة يرتدى برداء الكبرياء والجبروتية . وحين تبين أن إقامة الدين ليست من مقاصدِ قيامة ، وصيانة المسلمين بعيدة عن متعلقات شئونه ومرامه . ولقد شاهدنا وماذا بعد المشاهدة ، وعرفنا أحواله أولاً وأخيراً وما بعد المعرفة ، أن هذا المخذول قد جعل الملة الكفرية له ملجأ وعوناً على قتال المسلمين ، وعلمنا أنه لا سبيل لقبول النصح عند هذا الرجل الذى استحوذ عليه الشيطان حتى ألجأه فى مسالك الخسران ، وتيقنا أن النصيحة لديه ((رقماً على الماء)) ، وأن هدايته ((كالاضاءة (كالإضاءة) للأعمى)) ، عدنا بعد إبلاغ الحجة ، وإيضاح المحجة . وكان السيد العلامة قاسم بن حسين بن محمد العزى أبو طالب من أجل من ضرب معنا فى هذا المسعى بالسهم الوافر ، كتب الله سعى الجميع فى صحائف الحسنات ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

٢٥ رجب ١٣٣١هـ .

والى ولاية اليمن الحقير

التوقيع

(محمود نديم) الختم محمود نديم

(الوثيقة رقم ٢) منشور عثمانى بعد لقاء والى اليمن ـ محمود نديم ـ مع الادريسى . *

بسم الله الرحمن الرحيم

* نقلا عن :ـ

سالم ، السيد مصطفى : وثائق يمنية ، (القاهرة : المطبعة الفنية ، ١٩٨٢م) ، ص ٢٨٠ .

(الوثيقة رقم ٣) *

ثورة الأدارسة وحصار أبها

(ترجمة الوثيقة)

F.O. : 195 / 2376

No. : 6

من : القنصل البريطانى فى جدة ، إلى : السفير البريطانى فى الأستانة .

التاريخ : ٩ فبراير ١٩١١م

سـيدى :

بالإشارة إلى برقية نائب القنصل د/ رتشاردسون إلى السفارة بالرقم E ٣ بتاريخ ١٣ من الشهر المنصرم ، يشرفنى أن أنقل إليكم ما يأتى : « فراج بك » عضو البرلمان العثمانى عن إقليم (بنى شهر) من منطقة عسير ، والذى انتخب فى الصيف الماضى ، والذى هو فى الأصل ليس شيخاً من شيوخ البدو .

ولكن بما أنه قد عمل سابقاً كملازم أول لجند عسير ، وفيما بعد قائمقام لمنطقة (محايل عسير) ، هو الآن ملم باللغة التركية ويتحدث بها ، وهو موظف حكومى سابق ، وقد ظل فى منطقة (بنى شهر) غير قادر على اختراق صفوف المتمردين التابعين للادريسي إلى أسفل حتى الساحل ، وذلك قبل فترة قصيرة من حصار أبها ـ المدينة الرئيسية فى عسير ـ فى يوم ١٣ نوفمبر بواسطة قوات المتمردين والتى نجحت فى الاستيلاء على (القنفذة) بصعوبة قبيل نهاية يناير .

وفى الثامن والعشرين من يناير وصل إلى هنا فى قارب شراعى ، وسافر إلى القسطنطينية فى السابع من الشهر الحالى بالباخرة الخديوية ، وعندما كان هنا ذكر المعلومات التالية إلى أحد مندوبى هذه القنصلية :

---

* جميع الوثائق البريطانية المثبتة فى هذا الملحق حصلت عليها من دارة الملك عبد العزيز بالرياض .

كانت أبها لا تزال محاصرة حتى تاريخ مغادرته من القنفذة ، وكان بالمدينة أربع فصائل وبعض المدافع تحت قيادة العميد (سليمان باشا) - متصرف وقائد عسير - فى المدينة ، وكانت هناك فصيلة خامسة خارج المدينة تحت سفح الجبل ، ولذا كان الحصار من هذا الجانب ، فلم يستطع أحد أن ينزل من المدينة إلى السهل الذى يقطعه الطريق إلى القنفذة ، وهكذا كانت الاتصالات مع الساحل منقطعة تماماً . وهذه المناطق الجبلية الوعرة التى تعلو المدينة وتقع خلفها محاطة بتحرشات المتمردين .

وفى حوالى منتصف ديسمبر كان هناك التحام بين الفصيلة الخامسة والمتمردين والذى هزم فيه المتمردون ، ولا يبدو فى الأفق أنه سيكون هناك أى اشتباك آخر .

هناك اثنان من أعضاء البرلمان العسيرى محصورون فى أبها والعضو الرابع الذى يمثل (جازان وصبيبا) محتجز بواسطة الإدريسي فى صبيا - مقر رئاسة الإدريسي . والإدريسي نفسه باق فى صبيا ولا يقوم بدور فعال هو وأتباعه فى ميدان القتال .

فى ١٨ ديسمبر وصل العميد سعيد باشا - الذى وضع على عجل التسوية مع الإدريسي فى الربيع الماضى - وصل إلى القنفذة فى قارب حربى تركى من ميناء جدة التى كان قد وصل إليها بسفينة روسية من القسطنطينية ، وهو سيحل محل سليمان باشا الذى استدعى رسمياً من عسير ، والذى لا يستطيع أحد إدراكه أو الوصول إليه فى أبها . وبقى سعيد باشا ساعة أو ساعتين فى القنفذة ومن ثم رحل على السفينة الحربية إلى جازان ، حيث قام بمحاولة فاشلة لمقابلة الإدريسي والتحدث إليه ، وباءت محاولته بالفشل إذ رفض السيد مجرد مقابلته .

والآن سعيد باشا موجود فى الحديدة ، وكان من المفروض أن يكون هناك تحالف بين الإدريسي والإمام - المتمرد - يحيى ، وقبائل اليمن وتهامة حتى حدود الحديدة والتى خضعت تقريباً للإمام يحيى ، ويقال إن لديه ستة آلاف رجل مسلحين بالبنادق ، وأكثر من هذا العدد غير مسلح تماماً ، وهو الآن يطالب بالاستقلال التام ، ولم يدفع أبداً أى من العشور للحكومة والتى كان عليه تسديدها حسب اتفاقه مع سعيد باشا فى العام الماضى ولم يفعل .

وبين سياسى المقهى هنا ـ كما أخبرتك ـ يدور حديث عن ثورة عسير ، واليمن وأنها حركة عربية وطنية عظيمة ، ليس الدافع والمثير لها أى ظلم معين ، وأن أصابع الانجليز فيها . ويشرفنى أن أكون ـ مع أعظم الاحترام ـ خادمكم المتواضع .

القنصل : H.B.M. Consul

موناهان MONAHAN

(٢١٤)

(الوثيقة رقم ٣)

* ثورة الأدارسة وحصار أبها



(نص الوثيقة)

JEDDAH.

February 9, 1911.

No 6 Sir,

With reference to Vice consul Dr. Richardson's despatch to the Embassy No 3/E of the 13th Ultimo I have the honour to report what folows :

Ferraj Bey member of Parliament for the Beni Shihr division of Assir, elected last summer, who is by origin a non-nomad or "settled" Bedoin Sheikh of the mostly settled Beni Shihr tribe, but who having served as lieutenant of Assir gendarmerie and later as Caimmacam of Mahail in Assir is now a Turkish speaking literate ex-government servant, having remained in the Beni Shihr district unable to get through Idrisee's insurgents down to the coast since a date shortly before the investment on November 13 of Abha chief town of Assir by those insurgents contrived with great difficulty to get to Gonfudah towards the

What a sentence!

His Excellency

His Majesty's Ambassador or Chargé d'Affaires.

&c. &c, &c.,

Constantinople,

* جميع الوثائق البريطانية المثبتة في هذا الملحق، حصلت عليها من دارة الملك عبد العزيز بالرياض.

End left

the end of January, and on 28th January arrived here in a sailing boat and left for Constantinople on the 7th instant by Khedivial steamer. While here he gave the following information to a representative of this Consulate:-

Abha till the date of his departure from Confuda was still blockaded, there being four battalions and some guns under the command of Brigadier General Suleiman Pasha Mutasarrif and commandant of Assir in the town, and there was a fifth battalion outside the town on the mountain slope below it, so that the blockade consisted only in this, that no one could go down from the down to the plain which is crossed by the road to Confuda and consequently communications with the coast were cut off, the difficult mountainous country above and behind town being also infested with insurgents. About the middle of December there was an engagement between that last mentioned battalion and the insurgents in which the ~~latt~~ latter were worsted , and there does not seem to have been anyother engagement . Two members of parliament for Assir are shut up in Abha, and the fourth member, the one for Jeezan

and

and Sabiyeah, is detained by Idrisee at Sabiyeah, Idrisees head quarters. Idrisee himself remains at Sabiyeah and is taking no active part on the field with his insurgents. On 18th December Brigadier General Said Pasha who patched up the arrangement with Idrisee last spring arrived at Confudah in an Ottoman gun boat from Jeddah where he had just arrived by Russian steamer from Constantinople. He is to take the place of Suleiman Pasha, offically recalled from Assir, only that no one can get at him in Abha. Said Pasha remained oly an hour or two in Confudah, and then went in the gun boat to Jeezan where he made a futile attempt to have an interview with Idrisee who absolutely refused to see him. Said Pasha is now in Hodeidah. There is supposed to be an alliance between Idrisee and the insurgent Imam Yahya of Yemen and the tribes of Yemen coast lands (Tehama) down to the neighbourhood of Hodeidah. have mostly submitted to him. He is said to have six thousand men armed with rifles, and as many more not so armed. He now demands complete independence. He never paid over to the Government any of the tithes which according to his last year's arrangement with Said

Said

Said Pasha hè should have paid.

Among the Coffee house politicians here there is, I am told, talk of this Assir and Yemen rebellion being a great nationalist Arab movement, not provoked by any special oppression, and of the 'finger of the English' being in it !

I have the honour to be ,

with the highest respect ,

Sir,

Your Excellency's most obedient

humble servant

J. H. Monahan.

H.B.M.Consul MONAHAN

(الوثيقة رقم ٤)

اللقاء بين عزت باشا والشريف حسين فى جدة

(ترجمة الوثيقة)

F.O. : 195 / 2376

No. : 10

من : القنصل البريطانى فى جدة ، إلى : السفير البريطانى فى الأستانة .

التاريخ : ٨ مارس ١٩١١م

سـيدى :

يشرفنى أن أخبركم بأن المارشال عبد الله باشا قائد القوات فى الحجاز والذى عين قائداً عاماً فى اليمن توفى فجأة فى مكة فى التاسع من الشهر السابق قبل أن يبدأ عمله الجديد . وقد عين الجنرال عزت باشا بدلاً عنه ، ووصل هنا مع هيئة أركان حربه فى السابع والعشرين من الشهر المنصرم من الأستانة على السفنية الحربية (الحميدية) وغادر على متنها فى اليوم التالى إلى الحديدة . وقد جاء الشريف الأعظم إلى هنا لمقابلة عزت باشا فى الخامس والعشرين من الشهر الماضى وقدم عزت باشا إلى الشاطئ لمقابلة الشريف ، رد بعدها الشريف الزيارة بزيارة إلى سطح السفنية لمدة ساعتين من مساء السابع والعشرين ولم يعرف ماذا دار بينهما ، ولكن يبدو أن الشريف الأعظم سيذهب قريباً إلى عسير بقوة من البدو لمواجهة المتمردين الأدراسة ، وسيغادر القائم بأعمال المتصرف فى جدة إلى مكة لمرافقة الحملة إذا كانت ستنفذ فعلاً ، وقد اشترت الحكومة مؤخراً إمدادات بمبلغ ٧٢٠٠ جنيه تركى من أجل هذه الحملة على ما يبدو ، ولا توجد هناك أخبار جديدة عن عسير أو اليمن . والقائم بعمل القنصل الفرنسى هنا أخبرنى أنه قد علم من مصدر موثوق به أن الإدريسي عاش لمدة تسع سنوات فى بومبى ويعرف اللغة الإنجليزية ، وهو يومئ لى بأنه تحت النفوذ البريطانى . ولما كان الإدريسي

شاب صغير السن لا يتجاوز ثلاثة وثلاثين سنة طبقاً لكلام ريتشاردسون ، ولما كان لا الدكتور ريتشاردسون ولا أى أحد آخر من الذين استطعت استشارتهم قد سمع عن هذه الإقامة فى بومبى فإنه لا يبدو محتملاً أن هناك أساساً لمعلومات زميلى الفرنسى .

ويشرفنى أن أكون ـ مع أعظم الاحترام ـ خادمكم المتواضع .

القنصل : H.B.M. Consul

موناهان MONAHAN

(الوثيقة رقم ٤)

اللقاء بين عزت باشا والشريف حسين في جده



(نص الوثيقة)

J E D D A H.

March 8, 1911.

10

Sir,

I have the honour to report that Field Marshal Abdullah Pasha Commander of the forces in the Hejaz, who was appointed Commander-in-Chief in the Yemen, died suddenly in Mecca on the 9th Ultimo before he could start for his new command.

General of Division Izzet Pasha, appointed in his place arrived here with his staff on the 27th Ultimo from Constantinople in the cruiser "Hamidieh" and left in her on the next day for Hodeidah. The Grand Sharif had come down here on the 25th evidently to meet Izzet Pasha. The latter came ashore to see him, and he returned the visit by going on board for about 2 hours in the evening of 27th. It is not known what passed between them, but it appears that the Grand Sharif is shortly going on an expedition into Assir, with a force of tribesmen against the rebel Al Idrissee. The Acting Mutessarif of Jeddah, Major of Gendarmery Osman Bey, is about to leave for Mecca, to accompany this expedition if it really takes place. The Government has just now bought in Jeddah provisions to the amount of £ 7200 Turkish for this expedition seemingly.

There is no fresh information here from Assir or Yemen.

His Excellency

His Majesty's Ambassador

&c. &c. &c.

C o n s t a n t i n o p l e,

The

The Acting French Consul here tells me that he has it from a sure source that Al Idrissee has lived for 9 years in Bombay and knows English, and he hints to me that Al Idrissee may ~~may~~ be under English influence. As Al Idrissee is quite a young man, not more than about 33 according to Dr. Richardson, and as neither Dr, Richardson nor any one else whom I have been able to consult has heard of this sojourn at Bombay, it does not seem probable that there is any foundation for my French Colleague's information.

I have the honour to be
with highest respect
Sir,
Your Excellency's most obedinet
humble servant

J. H. [signature]

H.B.M.Consul

(الوثيقة رقم ٥)

التعاون العسكرى بين الأدارسة وإيطاليا

(ترجمة الوثيقة)

F.O. : 371 / 1570

No. : 221 E

من : نائب القنصل فى الحديدة ، إلى : السفير البريطانى فى الأستانة .

التاريخ : ٨ يوليو ١٩١٢م

سـيدى :

مضى بعض الوقت منذ أن كتبت إلى معاليكم عن تقدم الثورة فى تهامة وعسير بقيادة السيد محمد الادريسى والتى اتخذت طابعاً مزمناً منذ صيف العام الماضى . ويستعاد للأذهان ما حدث للحملة التركية الكبيرة بقيادة محمد على باشا والذى كان قائداً عاماً وفيما بعد والياً لليمن من تصد لها منذ البداية ، ومن ثم هزيمة كاملة فى بداية تلك الحملة من جازان فى بداية يونيو فى نفس السنة . وأوقفت العمليات الفعالة النشطة واقترح إرسال قوات لمحاربة المدعى (الإدريسى) من اليمن وعسير بالتتالى فى الشتاء القادم وأن توضع ترتيبات كاملة نتيجة لما سبق من نتائج . وتمركزت قوات جديدة نشطة فى جازان لتحـل مكان بقايا محمد على باشا المهزومة التى ضعفت معنوياتها وانهارت قواها ، وتم توفير كميات ضخمة من الماء والمستودعات والمؤن ، وكان من المأمول أن يتم التقدم للهجوم فى أكتوبر من العام الماضى . وقد تم تعزيز الحاميات فى اللحية وزهرة وفى كل منطقة الزيدية على مدى واسع .

وفى نفس الوقت كان شريف مكة العظيم وابنه وبجانبهما قوة من الأتراك والعرب من الحجاز مشغولين بإخضاع رجال القبائل فى عسير الذين يدينون بالولاء للمدعى ويحتلون الأراضى الواقعة بين القنفذة وأبها على الساحل . وفى أبها كان سليمان باشا القائد العسكرى والحاكم يقوم باستعدادات للتقدم نحو صبيا بالتعاون مع الجيوش المتوقع إرسالها من جازان وزهرة بالتتالى .

كان اندلاع الحرب الإيطالية التركية وما تصادف من تحطيم تام للأسطول التركى فى البحر الأحمر وقطع مواصلاتهم بالكامل بعد استلام جازان وتراجع قوات محمد على باشا أولاً إلى فرسان ، وفيما بعد إلى القنفذة .. وكان ولا يزال نكسة كبيرة للعمليات المتوقعة ضد المدعى (الإدريسى) . وكان يعتقد محلياً اعتقاداً جازماً أن التيارات السرية للتآمر الأوربى كانت العوامل الرئيسية التى جعلت جذوة ثورة الإدريسي تظل مشتعلة طوال العامين الماضيين .

وكانت أحداث الثمانية أشهر الماضية قد بررت الشكوى التى كانت تجول فى الأذهان وثبت أن إيطاليا كانت تضغط على الادريسى وتحرضه فى الخفاء للعمل ضد الأتراك وذلك قبل الحرب ، حيث إنها كانت تساعده فى العلن منذ ذلك الوقت ، أى منذ اندلاع نار الحرب .

وفى نهاية العام الماضى كان من المعتقد أن المدعى (الادريسى) قد هجر تدريجياً من جانب أتباعه وأنه قد اضطر أو أرغم للتراجع إلى معقله الجبلى بعيداً جداً عن أيدى الأتراك ، وبإخلاء جازان واحتلالها المباشر والسريع بواسطة أتباعه أحيت آمالاً جديدة وشجعت المدعى على العودة إلى صبيا ليرفع مرة ثانية راية الثورة .

ومنذ ذلك الوقت كان تزويده بالمدافع والبنادق والمؤن والأموال من جانب الإيطاليين قد جعله يواصل بعزم أقوى محاولاته لإسقاط السلطة التركية فى شمال اليمن وعسير ، بل أكثر من ذلك استجمع قواه وحشد أعوانه من رجال القبائل فى صبيا ومناطق (بنى مروان) و (بنى عبس) والذين كانوا قد هجروه وتخلوا عنه من قبل .

وهكذا كانت المساعدة التى قدمها الإيطاليون إلى السيد الإدريسى واستعادة نفوذه على عرب تهامة سبب اضطراباً غير قليل للسلطات اليمنية .

وفى أثناء شهرى فبراير ومارس ـ كما تم إيضاحه من قبل ـ فإن ستة عشر فصيلة من المشاة وبطاريتين من مدفعية الجبل وفرقة للمدافع سريعة الطلقات (مترليوز) تحت قيادة الفريق أول حمدى باشا قد أرسلت إلى زهرة وهى على بعد خمسين ميلاً شمال الحديدة وعلى مسيرة ثلاثة أو أربعة أيام من معقل الثورة فى صبيا .

كذلك تم تحريك اثنين من مدافع قذاف (هاورتز) وسرية من المدفعية (القاذفين بالمدفع) إلى جبهة القتال فى أوائل أبريل ، وتركزت كل القوة للقيام بعمليات ضد المدعى وكانت تشمل حاميات فى اللحية وتتكون من ٢٤ من فصائل المشاة تصل قوتها ما بين سبعة وثمانية آلاف محارب وثلاثين مدفعاً ، وما بين ثلاث إلى أربع سرايا مدفع قذاف (مترليوز) .

وكما كان قد تم إيضاحه فى رسالة سابقة فإن ميدى قد سقطت فى أيدى الثوار فى أوائل مارس بعد قصف بالمدافع لتلك المدينة من البوارج الحربية الإيطالية من البحر واضطرت الحامية التركية التى تتكون من ستين أو ثمانين فرقة من الجند إلى الاستسلام ونقلوا إلى صبيا كأسرى حرب .

وعند نهاية مارس الماضى ذهب محمود نديم بك الذى يقوم مقام الوالى بالإنابة إلى زهرة بغرض مقابلة الشيوخ وذوى النفوذ فى (واعظات الصليل) وإقليم (عبس) فى محاولة لكسب وشراء تعاون القبائل فى تلك الأنحاء ضد المدعى ، ثم عاد محمود نديم بك إلى الحديدة فى حوالى نهاية ابريل ، ولكن المشكوك فيه أن تكون مهمته قد لاقت الكثير من النجاح ، وقد رفض شيخ قبيلة (بنى عبس) التى تسكن الإقليم المجاور لمنطقة نفوذ المدعى المساعى التركية وأعلن عن عزمه الوقوف بإخلاص بجانب السيد محمد الإدريسي .

وفى أثناء شهرى مايو ويونيو حدث بعض القتال بين الثوار بقيادة الشيخ يحيى على ثواب زعيم عشائر (بنى عبس) الذين تقدموا فى إقليم واعظات ، وبين العرب الموالين للأتراك برئاسة هادى هيج ، وهو الشيخ الأكبر لمنطقة بنى عبس تساندهم فصيلة من القوات التركية ومدفعان . وفى إحدى المرات هزم الثوار واضطروا للتراجع والتقهقر بعد أن أصيبوا بخسارة فادحة ، وعلى أى حال عادوا بعد مضى بعض الوقت بعد أن تزودوا من سفينة حربية إيطالية فى جازان ونجحوا فى استعادة المواقع التى فقدوها وطردوا رجال القبائل الموالين للحكومة العثمانية وكانت خسائر الأتراك فى الأرواح تقدر بمائة وخمسين رجلاً .

لم يبدأ حمدى باشا الهجوم لعدة أسباب إذ تسلم تعليمات بعدم التقدم للأمام . ولكن ببساطة ليصد الثوار فى الوقت الراهن وليمنعهم من الهجوم على الحديدة ، ومن بين

أسباب أخرى إمكانية مساندة رجال القبائل من الخلف بين زهرة والحديدة وكان هذا موضع شك .

كان السيد محمد الإدريسي يبعث بالرسائل إلى شيوخ قبائل الزرانيق يدعوهم للانضمام للثورة ضد الأتراك ويؤكد مساندة الإيطاليين الفعالة النشطة من البحر ، وقد ذهب العديد من رسل المدعى الىٰ القبائل فى جنوب تهامة من وقت لآخر ، وكان هؤلاء الرسل يعتقلون من وقت لآخر بواسطة شيوخ القبائل والسادة المخلصين ويسلمون إلى السلطات المحلية هنا . وحتى الآن لا يوجد ما يشير إلى استجابة رجال قبائل الزرانيق لنداء إخوانهم الثوار فى الشمال وهى نتيجة طبيعية لما نالوه من إنذار قاس من سلطات إدارة اليمن مقابل وقوفهم على الحياد .

وطلبت قبائل الزرانيق تعويضات كافية ودفعت لعشائرهم نتيجة لمصادرة ممتلكاتهم وسفنهم البحرية فى السنوات القليلة الماضية بواسطة رجال الجمارك المحليين من قبائل الشمال نسبة لنشاطهم التجارى غير المشروع وتعاملهم بالأشياء المحرمة فى الدخان .

وبناء على تقارير تم استلامها هنا منذ بعض الوقت فإنه يبدو أن فريقاً من الثوار فى عسير تحت قيادة واحد من ملازمى المدعى قد هاجموا فى وقت واحد حامية القنفذة وأمطروها وابلاً من قنابل المدفعية الإيطالية الراسية فى الميناء ، فى أو حوالى التاسع والعشرين من إبريل وهزم الثوار بصورة شنيعة واضطروا إلى الفرار ، وفى نفس الوقت تمت هزيمة فرقة أخرى من الثوار بطريقة مفجعة فى المنطقة المجاورة إلى أبها عند التحامها مع قوة تركية .

ووصلت الأخبار إلى السلطات المحلية فى أوائل مايو عن تحرك قوة من العرب والأتراك وبعض المدافع بقيادة فيصل باشا ابن شريف مكة من الطائف بعمليات ضد ثوار الادريسى . ولم يأت مايؤكد قيام فيصل باشا بأى عمليات فعالة ، وقد أتت التقارير لتؤكد وصوله إلى أبها بعد فترة قصيرة ، والمفروض أنه لايزال بها .

ويستدل من المعلومات التى وصلت حتى نهاية يونيو أنه فى أو حوالى ١٠ مايو نزل إلى ميناء فرسان مابين ثلاثين إلى أربعين من أتباع الإرديسى التى وصلوها بقوارب

شراعية وأحاطوا بجماعة من المصلين ثم دخل بعض من الثوار وألقوا القبض على الشيخ عبد الله سهيل شيخ الجزيرة والذى ساعد هو وأتباعه السلطات المحلية دائماً فى دفاعهم عن ذلك المكان منذ غزوات ثوار الإدريسى من الساحل المواجه للجزيرة ، وأكثر من ذلك كان الشيخ المذكور قد رفض الاستماع إلى نداءات الإدريسى السرية التى تدعوهم إلى تسليم فرسان وهو الآن مسجون فى قلعة المدعى .

وكما ذكرت فى رسالتى السابقة كانت جزر فرسان عملياً محاصرة بالسفن الحربية الإيطالية نظراً لتسهيل مهمة القيام بالغارات التى يقوم بها جماعات الإدريسى من جازان وميدى . ونحو نهاية مايو انتدبت قوة من العرب المسلمين بمدفعين من ميدى لمهاجمة فرسان ووصلوا الجزر فى سبع أو ثمانى سفن حربية كبيرة وقاموا بفتح نيران المدفعية على الحامية المتمركزة هناك والتى تتكون من كتيبة من الجنود النظاميين (الفوج ٢٣ ، الكتيبة ١) من ما بين ٢٥٠ إلى ٣٠٠ من الرجال الأقوياء تحت قيادة الرائد المعاون محمد سيد . وقد تقهقر الجنود والموظفين المدنيين إلى الداخل بعد مقاومة ضئيلة ، والذين كانوا أصلاً فى حالة ضيق شديد ، وعندما نزل الغزاة إلى البر وأفلحوا فى الاستيلاء على الماء الخاص بالحامية ، وبعد مقاومة أيام قليلة من جانب الجنود والموظفين استسلموا إلى القوة الغازية وتم اركابهم وترحيلهم كأسرى حرب فى قوارب شراعية إلى ميدى . وقد تم الاعتراف رسمياً بالاستيلاء على جزر فرسان بأيدى المتمردين وسجن الموظفين فى ميدى .

وهكذا يتضح أنه منذ أن بدأت الحرب سقطت كل موانئ جازان وميدى وفرسان فى أيدى المدعى وهذه الأخيرة بمساعدة محمد سالم موظف الجمارك الارتيرى والذى وضعت خدماته تحت تصرف المدعى بواسطة الإيطاليين ، فإنه فيمايبدو يقوم بوضع نوع من الإدارة فى الموانئ المذكورة والتى تم تعيين موظفين جمارك بها .

وقد سمعت أنه قد تم إقامة التحصينات الكافية حول جازان بناء على نصيحة الإيطاليين ويقال إن شيخ (ميدى) محمد طاهر ـ والذى عموماً شغل وظيفة المدير بالإنابة فى ذلك المكان أنه على رأس عصابة من المتمردين فى إقليم عبس .

وهناك إشاعة كانت السلطات المحلية دائماً تميل إلى تصديقها والإيمان بها ، وهى أن إمام الزيدية السيد يحيى حميد الدين كان قد وافق على إرسال قوة كبيرة تحت قيادة واحد من ملازميه يدعى أبو نيب إلى جبل رازح فى المنطقة المجاورة لحدود الجبل الذى يقع فى نطاق نفوذ المدعى لتتعاون هذه القوة مع القوات التركية لتوقف تقدم الإدريسى إلى الجبال . وبالرغم من انقضاء خمسة شهور حتى الآن فإنه لا يبدو أن هناك ما يشير إلى تحقيق ما وعد به الإمام يحيى ، بل على العكس فقد أعلمت أن السيد محمد الإدريسى ومنافسه الإمام الضحيانى قد عقدا اتفاقية لمساعدة أحدهما الآخر بالتبادل وأن يبادرا بالهجوم على السيد الإمام يحيى ، وعلاوة على ذلك فقد تم استمالة واحد من أقوى الزعماء المناصرين للإمام يحيى وانسحابه من جانب الإمام والانضمام إلى جانب الحليفين المذكورين الإدريسى والضحيانى وهو ناصر مبخوت .

ويشرفنى أن أكون خادمكم المطيع المتواضع سيدى

چى ، أ ، ريتشاردسون

(الوثيقة رقم ٥)

75

التعاون العسكرى بين الأدارسة وايطاليــــا

ASIATIC TURKEY AND ARABIA. (نص الوثيقة) [September 3.]

CONFIDENTIAL. Section 2.

[37127] No. 1.

Mr. Marling to Sir Edward Grey.—(Received September 3.)

(No. 731.)

Sir, *Constantinople, August 29, 1912.*

I HAVE the honour to forward herewith copy of a despatch which I have received from His Majesty's vice-consul at Hodeidah reporting on the course of the rebellion in the Yemen and Assyr.

The Constantinople press yesterday reproduced from Syrian newspapers a report, which is stated to come from Sana'a, to the effect that Seyyid Idriss had recently been heavily defeated at a place called Vazat.

Two Italian guns in possession of the rebels are said to have been put out of action, and the Seyyid is said to have destroyed fifty villages in his flight. It is added that the town of Siba is still invested by the Turkish troops under the command of Mohammed Ali Pasha.

It is impossible to verify this intelligence, and I give it for what it is worth.

I have, &c.
CHARLES M. MARLING.

Enclosure in No. 1.

Vice-Consul Richardson to Sir G. Lowther.

(No. 22 C.)

Sir, *Hodeidah, July 8, 1912.*

IT is some time now that I reported to your Excellency on the progress of the rebellion in the Tehema and Assyr under Seyyid Mohammed Idriss, which, I might mention, has assumed a more or less chronic form since the summer of last year.

The big Turkish expedition of last year under the command of the then Vali and Commander-in-Chief of the Yemen, Mohammed Ali Pasha, it might be recalled, received a severe check at the outset, in the *débâcle* that befell it at Geozan at the beginning of June in the same year.

Active operations were then suspended, and it was proposed to dispatch forces against the Pretender from Yemen and Assyr respectively in the following winter, and elaborate preparations with that object in view ensued.

Fresh troops were concentrated at Geozan to replace the remnants of Mohammed Ali's defeated and demoralised force.

A considerable quantity of condensed water, stores, and munitions were collected there, and it was hoped that the advance would have taken place in October last year.

The garrisons at Lohoia, Zahra, and throughout the Zaidyia district were greatly strengthened.

At the same time, the Grand Shereef of Mecca and his son with a Turco-Arab force from the Hedjaz were engaged in subjugating the tribesmen in Assyr professing allegiance to the Pretender, and occupying the country between Gunfuda on the coast and Abha.

At the latter place, Suleiman Pasha, the Military Commander and Governor in Assyr, was making preparations for an advance towards Sabyeah, in co-operation with the armies expected from Geozan and Zahra respectively.

The outbreak of the Italo-Turkish war, and, incidentally, the total destruction of the Turkish Red Sea fleet and the complete interruption of their communications by sea, necessitating the abandonment of Geozan and the retreat of Mohammed Ali Pasha's force, firstly to Farsan and subsequently to Gunfuda, was another and still greater set-back to the contemplated operations against the Pretender.

It was always firmly believed locally that undercurrents of European intrigue were the principal factors at work in keeping the smouldering embers of the Idriss revolt alive during the past two years.

[620 c—2]

76

Events of the last eight months have more than justified the suspicion entertained, and it is now established that Italy had been secretly urging Seyyid Mohammed Idriss on against the Turks before the war, as she has been assisting him openly since.

Towards the close of last year it was generally supposed that that Pretender was being deserted and gradually abandoned by his former adherents, and that he had been obliged to retire to his mountain fastness, far outside the reach of the Turks.

The evacuation of Geezan and its immediate occupation by his followers raised new hopes and encouraged the Pretender to return to Sabyeah and unfurl once more the banner of revolt.

Since then, the supply of guns, rifles, munitions, and money by the Italians has enabled him to prosecute with greater energy his endeavours to overthrow Ottoman authority in Northern Yemen and Assyr, and has, moreover, rallied to his standard the tribesmen in the Sabyeah, Beni Marwan, and Abs districts, by whom he had been forsaken previously.

The assistance thus lent to Seyyid Idriss by the Italians, and the recovery of his influence with the Arabs in the Tehema, have naturally caused the Yemen authorities not a little perturbation.

During the months of February and March, as has already been reported, 16 battalions of infantry, 2 batteries of mountain artillery, and 1 mitrailleuse company under the command of General Hamdi Pasha, have been dispatched to Zahra, that is fifty miles to the north of Hodeidah and between three and four days' march from the rebels' stronghold at Sabyeah.

Two howitzers and a company of gunners were also moved to the front at the beginning of April.

The whole force concentrated for operations against the Pretender, including the garrisons at Loheia, consists of some 24 or 25 battalions of infantry with a total strength of between 7,000 to 8,000 men, 30 cannon, and 3 or 4 companies of mitrailleuses.

As has been reported in a previous despatch, Midi fell into the hands of the rebels early in March, after a bombardment of that town from the sea by Italian warships.

The garrison of sixty or eighty Turkish troops were forced to surrender and were removed to Sabyeah as prisoners.

Towards the end of March last, Mahmoud Nedim Bey, the acting vali, proceeded to Zahra with the object of interviewing the sheikhs and influential men in the S[illegible] Wayidat, and Abs country, and endeavouring to purchase the co-operation of the tribes in that quarter against the Pretender. Mahmoud Bey returned to Hodeidah about the end of April, but it is doubtful whether his mission was attended with much success.

The Sheikh of Abs, whose tribe inhabits the country bordering on the Pretender's sphere of influence, stoutly declined the Turkish overtures and announced his intention to stand loyally by Seyyid Mohammed Idriss.

During the months of May and June some fighting took place between the [illegible] under Sheikh Yahya Ali Tawwab, chief of the Abs clans, who advanced into Wayidat country, and the Arab loyalists under the principal chieftain of the [illegible] district, Hadi Haij, supported by a battalion of Turkish troops and two guns.

On one occasion the rebels were worsted and compelled to retire after some very heavy loss. They, however, returned some time afterwards with two guns [illegible] had been landed from an Italian warship at Geezan, and succeeded in re[illegible] the lost position and in driving off the loyal tribesmen. The Turkish casualties [illegible] the last of these engagements are estimated at about 150.

Hamdi Pasha has not assumed the offensive for several reasons, having received instructions not to advance, but simply to hold the rebels in check for the time being and to prevent them from making a dash on Hodeidah. Amongst others, the [illegible] of the tribesmen in his rear, *i.e.*, between Zahra and Hodeidah, is [illegible] questionable.

Seyyid Mohammed Idriss has been in correspondence with the Zeranik [illegible] inviting their participation in the revolt against the Turks and assuring them of Italian active co-operation by sea.

Several emissaries from the Pretender to the tribes in Southern Tehema have from time to time been arrested by loyal sheikhs and seyyids and handed over to the authorities here.

So far, there are no signs of the Zeraneek tribesmen responding to the call of their fellow-rebels in the north, which circumstance is due to the fact of their having received heavy blackmail recently from the Yemen administration as the price of their neutrality.

Ample compensation has been demanded by and paid to their clans for confiscations effected against their property and sailing vessels during the past few years by the local customs in connection with the former's illicit trade in powder, &c.

According to reports received here some little time ago, it would appear that a section of the rebels in Assyr, under one of the Pretender's lieutenants, attacked the garrison at Cunfuda simultaneously with the Italian bombardment of that port on or about the 29th April. The insurgents were badly beaten and put to flight.

About the same time, another band of rebels suffered severely during an encounter with a Turkish force in the vicinity of Abha.

News reached the local authorities early in May that Feysal Pasha, son of the Grand Shereef of Mekka, had left Taif with a strong Turco-Arab force and some guns to co-operate against the Idriss rebels.

Nothing definite appears to have been since accomplished by Feysal Pasha, who is reported to have arrived at Abha shortly afterwards and where he is still supposed to be.

It is inferred from information to hand at the end of June that on or about the 10th May thirty of forty of the Idrissites landed from dhows at Farsan and surrounded a mosque during the prayer hour. Some of the party then entered and seized a certain Sheikh Abdulla Soheil, the headman of the island, who with his followers had always assisted the local authorities in their defence of that place against the incursions of rebels from the opposite adjacent mainland.

The above-mentioned sheikh had, moreover, refused to listen to the secret overtures of Seyyid Idriss, calling on him to surrender Farsan. He is now confined in the Pretender's stronghold.

As mentioned in my preceding despatch, the Farsan Islands for some months past have been practically blockaded by Italian warships, with a view to facilitate raids on them by the Idriss bands from Geozan and Midi.

Towards the end of May a force of armed Arabs with two guns were deputed from Midi to attack Farsan. They appeared off the islands in seven or eight large dhows and opened a bombardment on the garrison stationed there, that consisted of a battalion of regulars (Reg. 23, Bn. 1), 250 or 300 men strong, under the command of Adjutant Major Mohammed Seyyid.

The troops and civil officials, who were already in great straits, retired to the interior after a feeble resistance. The invaders thereupon landed and succeeded in cutting off the water supply of the garrison.

After a few days' further resistance the troops and officials surrendered to the rebels, when they were embarked in dhows and taken to Midi.

The capture of the Farsan Islands by the insurgents and the imprisonment of the officials and troops at Midi is now officially admitted.

It will thus be seen that since the war started the ports of Geozan, Midi, and Farsan have fallen into the hands of the Pretender. The latter, with the assistance of Mohammed Salim of the Erythrean Customs, whose services have been placed at his disposal by the Italians, it would appear, is now setting up a sort of administration at the above-mentioned ports, to which customs officials have also been appointed.

I hear that Geozan has been well fortified on the advice of the Italians.

The Sheikh of Midi, Mohammed Tahir, who has generally occupied the post of acting mudir at that place, is reported to be at the head of a rebel band in the Abs country.

A rumour to which the local authorities have always lent credance, and which has been current for some time past, is to the effect that the Zeidi Imam Seyyid Yahya Hamid-ed-din had agreed to dispatch a large force under one of his lieutenants, the ... Abu Naib, to Djebel Razeh, in the vicinity of the mountain frontier of the Pretender's sphere of influence, to co-operate with the Turkish troops and to intercept the Idriss's retreat to the mountains.

Although five months have now elapsed, there are no signs of Yahya's promises of materialising.

78

On the contrary, I am informed that Seyyid Mohammed Idriss and the rival imam, the Dhaiyani, have concluded an agreement to assist each other mutually and to take the offensive against Seyyid Yahya; further, that one of the latter's most powerful leaders, Nasir Mabkooth, has been induced to secede from him and to make common cause with the allies above referred to.

I have, &c.
G. A. RICHARDSON.

(الوثيقة رقم ٦)

المعاهدة الأولى بين الأدراسة والبريطانيين
سنة ١٩١٥م

(ترجمة الوثيقة)

66940 F.O. : 371 / 2478

من : وزير الهند ، إلى : وزير الخارجية .
التاريخ : ٢٦ مايو ١٩١٥م .

رقم (١)

سـيدى :

وزير الهند يبلغكم لعلم وزير الخارجية بصورة من الخطاب المؤرخ فى ٥ مايو ١٩١٥م من المقيم البريطانى فى عدن إلى وزارة الهند حول موضوع المعاهدة مع الإدريسى .

ت ، و ، هولدرنس

المرفق (١) فى رقم (١)

من : المقيم البريطانى فى عدن ، إلى : حكومة الهند .
بتاريخ : ١ مايو ١٩١٥م .

سيدى :

والفقرة السابقة التى تتحدث عن الأموال والمؤن ، حذفت بناء على طلب السيد مصطفى وذلك لتجنب جرح مشاعر العرب . والجزء الأخير من هذه الفقرة ضرورى جداً فحيث إننا بدأنا عملاً عظيماً مع مثل هذا الرئيس الهام يكره كل ما هو تركى ، فإنه سيكون من الضرورى مواصلة ومتابعة الأمر معه حتى النهاية ، ولكننى كنت حريصاً فى وضع الكلمات التسع الأخيرة من المعاهدة من الفقرة لتدل على المقابل الذى يعتبر الإدريسى مسئولاً عنه .

وأطلب إعادة صورتين من المعاهدة ، واحدة للإدريسى والأخرى للسجلات .

الميجر جنرال / د . جـ . ل . شو

المرفق (٢) فى رقم (١)

المعاهدة مع الإدريسى :

بتاريخ : ٣٠ أبريل ١٩١٥م .

لقد وقعت معاهدة الصداقة وحسن النية هذه من قبل اللواء د . جـ . ل . شو ، المقيم السياسى البريطانى فى عدن بالنيابة عن الحكومة البريطانية ، والسيد مصطفى ابن السيد عبد العلى (عبد المتعال) من قبل فخامة السيد محمد بن على بن محمد بن أحمد بن إدريس ، سيد الأدارسة ، وأمير صبيا وما حولها .

٢ ـ إن الأهداف الرئيسية هى الحرب ضد الأتراك ، وتقوية حلف الصداقة بين الحكومة البريطانية والسيد الإدريسى المذكور آنفا ورجال قبائله .

٣ ـ لقد وافق السيد الإدريسى على مهاجمة الأتراك ، ومحاولة طردهم من مراكزهم فى اليمن ، ويعمل ما فى طاقته لإرهاق القوات التركية ومهاجمتها فى اتجاه اليمن ، وبسط نفوذه على حساب الأتراك .

٤ ـ إن الهدف الرئيسى سيكون ضد الأتراك وسيمتنع الإدريسى عن أى عمل عدوانى أو مثير ضد الإمام يحيى طالما أن الأخير لم ينضم للأتراك .

٥ ـ تتعهد الحكومة البريطانية بحماية أراضى السيد الإدريسى من أى عدوان من ناحية الشاطئ يتحرش بالسيد فى أملاكه . وتضمن استقلاله فى منطقته فى نهاية الحرب ، وأن تلجأ فى نهاية الحرب لاستخدام كل ما فى وسعها من الوسائل الدبلوماسية للتوفيق بين السيد الإدريسى والإمام يحيى أو أى منافس آخر .

٦ ـ لا يوجد أى رغبة لدى الحكومة البريطانية لمد حدودها على أراضى الجزيرة العربية ، ولكن ترغب فى أن ترى جميع الحكام العرب المتعددين يعيشون فى ود وسلام ، كل فى منطقته والجميع يتمتعون بصداقة متينة مع البريطانيين .

٧ ـ وكدلالة على تقديرها للعمل الذى سيقوم به السيد الإدريسى فقد أمدته الحكومة البريطانية بالمال والذخيرة ، وستستمر فى مساعدته لمواصلة الحرب ، طالما أنها تستثمر طبقاً لنشاط الإدريسى .

٨ ـ وأخيراً فإن الحكومة البريطانية ، وهى تضرب حصاراً شديداً على كل الموانئ التركية فى البحر الأحمر ، قد منحت للسيد الإدريسى الحرية الكاملة فى النقل التجارى بين موانئه وعدن ، وهذا الامتياز سوف تستمر الحكومة البريطانية فى الإبقاء عليه بدون انقطاع ، كدليل على الصداقة القائمة .

٩ ـ يبدأ مفعول هذه المعاهدة بعد التصديق عليها من الحكومة الهندية .

تم التوقيع فى هذا اليوم الجمعة الموافق الثلاثين من إبريل ١٩١٥م ، الموافق خمسين (خمسة عشر) من جمادى الثانى ١٣٣٣ هجرية .

اللواء / د . جـ . ل . شو — المقيم العسكرى فى عدن .

المقدم / هـ . ف . چاكوب — مساعد المقيم العسكرى الأول فى عدن .

الرائد / س . برادشو — ضابط القيادة العامة فى لواء عدن .

السيد / مصطفى بن السيد عبد العلى (عبد المتعال) — بالنيابة عن السيد الإدريسى

الشيخ / محمد بن عواض باصهى — بالنيابة عن السيد الإدريسى

(الوثيقة رقم ٦)

المعاهدة الاولى بين الادارسة والبريطانيين سنة ١٩١٥م.

[This Document is the Property of His Britannic Majesty's Government.]

ARCHIVES.

(نص الوثيقة)

THE WAR. [May 27.]

CONFIDENTIAL. SECTION 1.

[66940] No. 1.

India Office to Foreign Office.—(Received May 27.)

Sir, *India Office, May 26, 1915.*

I AM directed by the Secretary of State for India to transmit to you, for the information of the Secretary of State for Foreign Affairs, copy of a covering letter, dated 5th May, 1915, from the Resident, Aden, to India Office, on the subject of treaty with the Idrisi.

I am, &c.
T. W. HOLDERNESS.

ملحق Enclosure 1 in No. 1.

The Resident, Aden, to the Government of India.

Sir, *Aden, May 1, 1915.*

IN sending you by this mail three copies of the treaty signed by me and the Idrisi Saiyid for the ratification of the Government of India, I have the honour to state that the Idrisi representatives will leave to-morrow for their country. They appear to mean business.

2. There is little left to be said. Paragraph 5 is the most important one, and is in accord with the cipher instructions received from you.

3. *Paragraph 7.*—The precise details of assistance in funds and munition is expressly omitted at the request of Saiyid Mustafa, and is done to avoid wounding Arab susceptibilities. A receipt in full for assistance given has, however, been obtained. The concluding portion of this paragraph is very essential. Having begun a good work with so important a Chief, and one so inimical to everything Turkish, it will be necessary to prosecute the matter *à outrance*, but I was careful to insert the last nine words of the paragraph as showing the *quid pro quo* for which the Idrisi is responsible.

4. I would request that two ratified copies of the treaty may be returned to me, one to be given to the Idrisi and the other for this office records.

I have, &c.
D. G. L. SHAW, *Major-General.*

ملحق Enclosure 2 in No. 1.

نص *Treaty, dated 30th April, 1915.*

THIS treaty of friendship and goodwill is signed by Major-General D. G. L. Shaw, the Political Resident, Aden, on behalf of the British Government, and by Saiyid Mustafa-bin-Saiyid Abdu Ali on the part of his Eminence Saiyid Muhammad-bin-Ali-bin-Muhammad-bin-Ahmed-bin-Idrisi, the Idrisi Saiyid, and Amir of Sabia and its environments.

2. Its main objects are to war against the Turks and to consolidate a pact of friendship between the British Government and the Idrisi Saiyid above mentioned and his tribesmen.

3. The Idrisi Saiyid agrees to attack and to endeavour to drive the Turks from their stations in the Yemen, and to the best of his power to harass the Turkish troops in the direction of the Yemen, and to extend his territories at the expense of the Turks.

4. The Idrisi Saiyid's prime objective will be against the Turks only, and he will abstain from any hostile or provocative action against Imam Yahya so long as the latter does not join hands with the Turks.

5. The British Government undertakes to safeguard the Idrisi Saiyid's territories from all attack on the seaboard from any enemy who may molest him; to guarantee

his independence in his own domain, and at the conclusion of the war to use every diplomatic means in its power to adjudicate between the rival claims of the Idrisi Saiyid and the Imam Yahya, or any other rival.

6. The British Government has no desire to enlarge its borders on Arabian soil, but wishes solely to see the various Arab rulers living peacefully and amicably together, each in his own sphere, and all in friendship with the British Government.

7. As a mark of its appreciation of the work to be performed by the Idrisi Saiyid, the British Government has aided him with both funds and munitions, and will continue to assist him in prosecution of the war so long as it lasts in accordance with the measure of the Idrisi's activities.

8. Finally, while maintaining a strict blockade on all Turkish ports in the Red Sea, the British Government has for some months past been giving the Idrisi Saiyid full and free scope to traffic between his ports and Aden, and this concession the British Government, in token of the friendship existing, will continue uninterruptedly to maintain.

9. This treaty will be held to be valid after its ratification by the Government of India.

Signed this day, Friday, the 30th of April, 1915, A.D., corresponding with the 50th of Jomad Thani, 1333 Hijra.

D. G. L. SHAW, *Major-General,*
Political Resident, Aden.

H. F. JACOB, *Lieutenant-Colonel,*
First Assistant Resident, Aden.

C. R. BRADSHAW, *Major,*
General Staff Officer, Aden Brigade.

SAIYID MUSTAFA-BIN-SAIYID ABDUL ALI
(On behalf of the Idrisi Saiyid).

SHEIKH MUHAMMAD-BIN-AWAD BA SAHI.

(الوثيقة رقم ٧)

أهمية الجزر فى جنوب البحر الأحمر

(ترجمة الوثيقة)

F.O. : 371 / 2478
68317

من : المقيم السياسى البريطانى فى عدن ، إلى : وزير الهند ،
وإلى : وزارة الخارجية .

التاريخ : ٢٨ مايو ١٩١٥م .

برقيتك بتاريخ ٢٧ مايو : جزر البحر الأحمر .

من الناحية السياسية : الاستيلاء على (كمران) مفيد وذلك لاستخدامها كقاعدة للسيطرة على الحديدة ، وأيضاً لمراقبة حركة نقل الحجاج ، إن (كمران) لا صلة لها (بجدة) باستثناء كونها محطة حجر صحي للحجاج .

أما فيما يتعلق (بفرسان) فهذه الجزر هى الآن تحت سيطرة الإدريسى . بالنسبة لنايمكننا أن نستولى على هذه الجزر مبررين عملنا هذا للإدريسى على أنه إجراء مؤقت ، ولكن من الأفضل بعد الاستيلاء على (كمران) أن نخبر إيطاليا أن (فرسان) الآن تحت حمايتنا ، ويمكننا أيضاً الاستيلاء على (زقر) .

أما من الناحية العسكرية : ولضرورة الاستيلاء على هذه الجزر فوراً ، ولأنها واقعة ضمن منطقة نفوذ عدن ، فإننى أرى أنه من الممكن إرسال جنود لاحتلالها ، وأقترح استخدام أربع فصائل ومدفعين إذا ما أردنا احتلال كل الجزر ، وهذه القوة يمكن إرسالها فوراً .

وهذا سيترك طابوراً متحركاً وسليماً في حالة قيام الأتراك أو المافيا بأى إجراء عدوانى ، ولكن سيضعف القوة فى حاميتنا فى عدن نظراً لغياب الطابور المتحرك لأربع فصائل مشـاه ومدافع قلعة ، ولكن تخفيض القوة هذا سيوازن بتهديدنا فى اتجاه (الحديدة) (وهى مصدر هام لإمدادات الأتراك الغذائية) والذى سيشكله احتلالنا لهـذه الجـزر .

(الوثيقة رقم ٧)

أهمية الجزر فى جنوب البحر الأحمر

(نص الوثيقة)

THE WAR. [May 29.]

CONFIDENTIAL. SECTION 1.

[68317] No. 1.

Resident, Aden, to Secretary of State for India.—(Communicated to Foreign Office, May 29.)

(Telegraphic.) *Aden, May 28, 1915.*

YOUR telegram of 27th May: Red Sea islands.

Politically, only good can result from capture of Camaran both as base for controlling Hodeida and for sake of pilgrim traffic. Camaran has no connection with Jeddah, save as quarantine station for pilgrims.

As for Farsan, these islands are now in Idrisi hands. It would be possible ourselves to take them and explain our action to Idrisi as a temporary measure, but preferably, after taking Camaran, to tell Italy that Farsan are in our protégé's keeping. Zukur we might hold.

From a military point of view, because of necessity for seizing these islands immediately and because they are within the sphere of influence of Aden, I consider troops can be spared to occupy them. I propose to employ four companies and two guns if all islands are to be occupied, and these can be sent immediately.

This will leave movable column intact in case of hostile action by Turks or Mavia, but will reduce force to garrison Aden in the absence of movable column to four companies infantry and fortress guns. This reduction of force will be counter-balanced by threat in direction of Hodeida (important source of Turkish food supplies) that the occupation of these islands will constitute.

(Addressed to Secretary of State and repeated to Foreign Department, Government of India, and Chief of the General Staff, India.)

(الوثيقة رقم ٨)

المعاهدة الثانية بين الأدارسة والبريطانيين بشأن جزر فرسان سنة ١٩١٧م
(ترجمة الوثيقة)

I.O.R. 6

No. : I. B. 250

من : اللواء جـ . م . ستيوارت ، المقيم السياسى فى عدن ،

إلى : سكرتير حكومة الهند ، الادارة الخارجية ، دلهى .

التاريخ : ٢٦ يناير ١٩١٧م .

اتفاقية مع السيد الإدريسى حول جزر فرسان ومواضيع أخرى .

سيدى :

يشرفنى أن أقدم ملحقاً بالاتفاقية (الأصل مع الترجمة) التى عقدت مع الإدريسى ، كذلك أقدم طيه مذكرة عن هذه الاتفاقية التى قام بضياغتها المقدم هـ . ف . چاكوب بطلب منى .

(٢) أرجو أن تجد الاتفاقية تصديق فخامة نائب الملك ، وحكومة صاحب الجلالة ، إن الهدف الأساسى من الاتفاقية كما هو موضح أدناه فى الفقرة الثالثة ، قد تم تحقيقه وبدون القيام بتقديم تنازلات أكثر كما جاء فى المذكرة وما تطلبه الموقف .

(٣) مما يجب ذكره أن الإدريسى الآن فى حالة عقلية صعبة من حيث تشتت الفكر ، فما يزال موضوع القنفذة يفور فى أعماقه ، وسرعة عملياتنافى فرسان بالنسبة له غير مطلوب . وتراخينا النسبى فى الجزيرة العربية غير مفهوم له . كما ترسخ لديه الاعتقاد أنه عندما يعقد الصلح أو السلام فإن الصداقة القديمة بين انجلترا وتركيا سوف تضمن للأخيرة شروطاً مناسبة ، وتسمح لها بتركيز قواها ضد أعدائها الحاليين من العرب .

(٤) كثير من التأنى والإدراك الواعى ومعرفة واسعة بالعرب كانت مطلوبة من أجل توقيع هذه الاتفاقية وكل هذه المتطلبات قد قام بكشفها وإبرازها المقدم (چاكوب) ويسعدنى أن أنتهز هذه الفرصة لأنوه بخدماته وأبرزها للعيان .

ج . م . ستيوارت

المقيم السياسى فى عدن

المقيمية فى عدن

٢٦ يناير ١٩١٦م

أرسلت صورة مع التحية لوزير الهند فى لندن مع صورتين من الاتفاقية المذكورة .

جزر فرسان

ملحق الاتفاقية التى عقدت بين حكومة صاحب الجلالة ، والسيد محمد بن على بن محمد بن أحمد إدريس الإدريسى .

١ ـ هذه الاتفاقية لا تلغى بأية حال شروط الاتفاقية التى عقدت من قبل بين الأطراف المذكورة أنفا بتاريخ ٣٠ إبريل سنة ١٩١٥م الموافق ١٥ جمادى الثانى سنة ١٣٣٣هـ .

٢ ـ تعترف حكومة صاحب الجلالة أن جزر فرسان قد تم الاستيلاء عليها بواسطة السيد الإدريسى من أيدى الأتراك ، وأنها أصبحت جزءاً مكملاً للأراضى التى تخضع لسلطات الإدريسى وأن استقلاله بها جميعاً أمر مؤكد .

٣ ـ يتعهد السيد الإدريسى بأن لا يتنازل أو يرهن أو يسلم هذه الجزر أو الأماكن الواقعة على ساحل البحر الخاضع له ، وتشمل المصالح المتصلة بعد ذلك مباشرة لأى دولة أجنبية ، وأبعد من ذلك أن يدعو حكومة صاحب الجلالة لأى مساعدة فى هذه الأماكن أو المصالح إذا ما حدث أى هجوم أو تهديد من الخارج .

٤ ـ تتعهد حكومة صاحب الجلالة بحماية هذه الجزر والساحل التابع للإدريسى واستقلاله ، ومرة ثانية يتعهد بمنع أى قوة خارجية من التدخل فى حدوده ، أو المساس بمصالحها ، كما تتعهد حكومة صاحب الجلالة بتمكين السيد الإدريسى من الحصول على المساعدات الأساسية كمصادر القوة للحرب مثل الأسلحة والذخائر وما شابهها سواء الآن أثناء فترة الحرب العامة وما بعدها ، وأن تقوم بتسهيل الوسائل الضرورية لحصوله على المستلزمات مثل شبكة تليفونات ووسائل تطوير متنوعة مثل تطوير تنقيب المعادن وازدهار وتوسع التجارة وما شابهها من المنافع ، وأبعد من ذلك أن تتعطف

بإعطائه وأتباعه الملتجأ الآمن فى حالة قيام أى أزمة فى أراضيه والتى لا قدر الله ـ مثل هذه المعونة من جانب الحكومة سوف تحفظ عليه كرامته وحياته ، وسوف تستخدم كل المحاولات لإعادته إلى موقعه السابق بدون أى مساس أو نقصان مماكان عليه .

٥ ـ يتعهد السيد الإدريسى أن يجند قوة من أتباعه المسلحين فى جزر فرسان كرمز على استقلاله وامتلاكه الفعلى لتلك الجزر .

٦ ـ سوف يرفرف علم الإدريسى دائماً فوق جزر فرسان وفى أملاكه الأخرى كدليل ملموس تراه كل السفن لتملكه ولا يقف بجانبه أى رمز إضافى آخر .

٧ ـ حقوق وواجبات السيد الإدريسى الموضحة هنا بالتفصيل سوف تتوسع لتشمل أفراد عائلته ، عشيرته ، ورثته ، وخلفاءه .

٨ ـ هذه الاتفاقية قام بالتوقيع عليها السيد الإدريسى من جانب ، وعن الجانب الآخر المقدم هـ . ف . چاكوب ـ مندوب المقيم السياسى فى عدن ، نيابة عن حكومة صاحب الجلالة وتظل سارية المفعول وملزمة للطرفين .

التاريخ ـ جازان ، ٢٢ يناير سنة ١٩١٧م ، الموافق ٢٨ ربيع الأول سنة ١٣٣٥هـ .

توقيع المقدم هـ . ف . چاكوب

المساعد الأول للمقيم السياسى فى عدن

مذكرة عن ملحق الاتفاقية المعقودة مع السيد الإدريسى
في ٢٢ يناير ١٩١٧م

في هذه الاتفاقية مع الإدريسى ربما يبدو من الوهلة الأولى أننا قد أعطينا أكثر مما يتطلبه الموقف والحقيقة أن الإدريسى رفض صراحة الاعتراف بالفقرة الثالثة الضرورية ان لم تضف اقتراحاته المضادة .

من الضرورى بمكان فهم تصرفاته ، فالسيد الإدريسى لا يعرف كيف ستنتهى الحرب ، فى العام الماضى كان واثقاً أن الحلفاء سينتصرون ، وهو الآن أقل تفاؤلاً . ومن ثم فهو يخشى أننا ربما نعقد صلحاً مع الأتراك يجعلهم فى وضعهم الطبيعى وهم أشد أعداء يحقدون عليه ، واليوم ينظر حوله فيرى أنهم فى موقف الصدارة فى الجزيرة العربية ويسيطرون على مواقعهم . وهو يذكر على سبيل المثال لحج والقنفذة ، والفشل الذى حدث وتقدم شريف مكة البطئ وأخيراً بلاد ما بين النهرين وهو يشك فى مقدرتنا على ازالتهم .

مخاوفة تتكون من شقين ، فهو يعتقد أن :

(١) رفضه التعامل مع أى دولة أخرى ، ووعده بعدم التنازل عن جزر فرسان واحتفاظه بحقوقه فى ذلك المكان ، كل ذلك سيجر عليه عداوة الأتراك وهم بدورهم قد شاهدوا تعاطفه معنا ، ولكنهم يعتقدون أنه بإمكانهم كسبه إلى جانبهم فيما بعد إذا ما علموا بعلاقته ورابطته الوثيقة مبيناً فيما يتصل بجزر فرسان فإنهم سيعتبرونه كلية منبوذاً وبعيداً منهم . ولا سبيل إلى الجدال مع شخص متعصب له مفاهيمه الشخصية وكون انطباعاته وأفكاره سلفا .

(٢) هذا التعهد سوف يحرمه فى المستقبل من المساعدات فى الأسلحة والمؤن من چيبوتى (فرنسا) ومصوع (إيطاليا) وكلا المكانين قد ساعداه بقدر كبير ولسنوات عديدة بإمدادات الأسلحة .

بانقطاع هذه المصادر التى تمده بالسلاح الذى يطلبه والذى يجعله فى موقف القوة للاستعداد للحرب ومن الذى يلجأ إليه بعد ذلك سوى الحكومة البريطانية ولذا يجب على الحكومة أن تحل محل هاتين الدولتين .

الدولة الوحيدة التى يخشاها الإدريسى الآن وبعد الحرب هى تركيا التى تساعدها ألمانيا ، والسبب الذى أبداه ليس هو فقط الحفاظ على وعدنا الذى قطعناه له ولكن لاسداء النصيحة بالطريقة التى يمكن بها تنمية وتطوير إقليمه ، كذلك ضمان ملجأ أمن بالنسبة له إذا ما حدثت أزمة فى بلاده اضطرته إلى الانسحاب المؤقت ، مصحوباً ذلك بالتأكيد على استمرارية تلك الشروط بعد الحرب له ولحلفائه .

هل هذا نوع من الهلع الجامح من تطلعات وأطماع تركيا الساخطة عليه ، وهو فى مثل هذه الهواجس وتسلط مثل هذه الأفكار عليه لا يمكن إثناؤه عن رأيه .

وفى البداية كان علمنا هو الذى يجعل الأتراك يتراجعون ، وفى الزيارة الثانية سوف يكون التعهد بالامتناع عن التخلى أو التنازل عن الجزر من المؤكد أن يثير سخط الأتراك وتذمرهم .

وذات مرة كان الإدريسى قد أصر فى البداية على إرسال قوات بريطانية إلى داخل الجزيرة فى حالة إذا ما حدث هجوم عليه من جانب الأتراك ، ولكننى أعدت إلى ذهنه أن معاهدتنا السابقة معه كانت مقصورة على سواحله البحرية والدفاع عنها بواسطة القوات البحرية .

ربما أقول إنه بالرغم من أن هذا التعهد من بدايته كان موضوعاً على وجه خاص بالنسبة لجزر فرسان ، إلا أن السيد الإدريسى قد أعلن عن رغبته أن يكون شاملاً لجميع أراضيه ، وصورة الهواجس والشرور التى استحضرها فى ذهنه كنتيجة محتملة لموافقته على الفقرة الثالثة ، لذلك لم يكن يمكننا استثناء التعهد هذه المساحة الشاسعة من ساحله البحرى ، وقد صرح وزير (باصهى) (ونحن لا نستطيع دحض أو تفنيد ذلك) ان جزر فرسان كانت أملاكاً للسيد الإدريسى قبل ٣٠ إبريل سنة ١٩١٥م وأنها إن لم تذكر بالتحديد فإنها أصبحت فى الحال جزءاً مكملاً وقسماً من ساحله البحرى وفى حيز ونطاق هذه المعاهدة .

سوف تكون إحدى نتائج الاتفاقية الحاضرة إبعاد النفوذ الإيطالى عن أملاك الإدريسى وقد أخبرنى وزيره أن الإيطاليين كانوا راغبين جداً فى عقد اتفاقية ما مع

الإدريسى مقابل صلاتهم الطويلة لتجارة الأسلحة ، وأنه حتى الآن ، فقد أرسل الإيطاليون الذخائر ، وفى نفس الوقت فقد استبعد الإدريسى فكرة التعامل مع أى دولة سوى الحكومة البريطانية ، وهو ينظر إلى حكومتنا لتقدم إليه أى نوع من أشكال المساعدة .

فيما يتعلق بالفقرة الخامسة ، فقد وجدت أنه من غير المناسب أن أصر على وجود عدد معين من أتباعه فى الجزيرة ، فقد ألمحت أن يكون عددهم ليس أقل من مائة جندى ، ولكن تم الاعتراض على هذا الرأى بحجة أنه ربما كانت هناك حاجة لعدد أكبر ، ومن المستحسن ترك العدد المطلوب إلى الوقت والظروف ، كما ذكر الوزير الذى انتدب للتفاوض أن رجال فرسان محاربون أشداء يمكن الاعتماد عليهم عند الحاجة ، ومن ثم فإننى تخليت عن مسألة العدد لأننى كنت أتفاوض مع نوع غريب من الرجال ، كذلك كنت مهتدياً بمبدأ أنه ليس من الحكمة فى شئ الإصرار على شئ لا نستطيع فرضه أو الإشراف عليه - خاصة من الآسيويين - دون أن يؤدى إلى احتكاك . ويكفى أنه قد تعهد بتأكيد احتلاله الفعال .

فى اجتماعنا الأول لم يفهم الإدريسى أى احتلال بالقوة كنا نحن نخشاه ، إذ ليس هناك عدو نعمل له حساب ، لأننا بالتأكيد لنا السيطرة الفعلية على منافذ البحر الأحمر ، أما بالنسبة إلى توقع حدث مؤلم كهذا ، فإنه علينا أن نخطرهم أن هذه الجزر هى أملاك للإدريسى استولى عليها هو بنفسه من الأعداء وقام بحكمها وإدارتها وعلمه يرفرف عليها ليرمز إلى احتلالها وأخيراً فإنه تحت الحماية البريطانية .

مثل هذا الإعلان يبدو لى أنه هام جداً ، لست متأكداً من التقسيم المعد فى المستقبل لتلك الأجزاء المتعددة فى البحر الأحمر ، ولكنه خطر لى أن نرفع علمنا وننزل قواتنا ، وأن الاحتلال البريطانى سيكون هو الإنقاذ وأن نضع هذه الجزر بحكم طبيعة الحال نفسها ضمن طائفة المسائل التى تسوى بعد الحرب .

كنا نساعد الإدريسى من قبل ونمده بمعدات الحرب والعدو الوحيد الذى يتعقبه ويطلب الحماية منه هم الأتراك ، وإذا ترك الأخيرون فى منطقة عسير فإن الحاجة لمثل هذه الحماية بعد عقد معاهدة الصلح أمر مشكوك فيه إن لم يكن من المستحيل بمكان .

لن يوقع السيد الإدريسى على النسخة الإنجليزية ، ولم يكن معقولاً ـ كما قال ـ أن يوقع على شئ لا يفهمه ، وعلى كل حال فقد احتفظ بالنسختين العربية والإنجليزية منهما، ولم أضغط عليه أو أصر عليه لينصاع لذلك ، إن مسألته غريبة فعلاً .

عقدت الاتفاقية وتم التوقيع عليها بعد الكثير من الملاحظات الاعتراضية ، وذلك فى مساء يوم ٢٢ الجارى وتم إخطار قائد سفينة صاحب الجلالة (منتو Minto) فى يوم ٢٣ التالى له بواسطة التلغراف اللاسلكى بإزاحة القوات والعلم وقام بتنفيذ ذلك فى نفس اليوم .

أرجو أن أشكر القائد . أرنوت ، والملازم نادلر ، ضابط دوريات جنوب البحر الأحمر لتعاونهم الودى فى تعاملهم مع الإدريسى فهو أكثر إنسان متشكك وساقط من الاعتبار من نوعه ، لقد عملت فى السياسة العربية منذ وقت طويل ، وقد أشرت إليه ـ إلى سياسة الأخذ والعطاء ـ وهو نفسه قد كان مستعداً لتذكيرى بذلك .

التوقيع

هـ . ف . چاكوب

المساعد الأول للمقيم السياسى ـ عدن

السفينة برث ، ٢٤ يناير سنة ١٩١٧م

(17)

This Document is the property of the Secretary of State for India.

SECRET. (الوثيقة رقم ٨)

المعاهدة الثانية بين الادارسة والبريطانيين بشان جزر فرسان سنة ١٩١٧م.

B. 250.

(نص الوثيقة)

1917 Agreement with Idrisi

ARABIA.

Agreement with the Idrisi Saiyid regarding the Farasan Islands and other Matters.

From Major-General J. M. Stewart, C.B., Political Resident, Aden, to the Secretary to the Government of India, Foreign Department, Delhi.

C. 59.

Aden Residency,
26th January 1917.

Sir,

I have the honour to submit the supplementary agreement (in original with translation) concluded with the Idrisi. I also forward herewith a memorandum on this agreement which has been drawn up at my request by Lieutenant-Colonel H. F. Jacob.

2. I trust that the agreement will meet with the approval of His Excellency the Viceroy and His Majesty's Government. The main object of the agreement, as set forth in paragraph III., has been secured, and without making further concessions than, as brought out in the memorandum, the situation required.

3. It must be recollected that the Idrisi is now in a very difficult frame of mind. The Kunfida affair still rankles deep; the rapidity of our action in Farasan is to him uncalled for and unintelligible, and our comparative inaction in Arabia is misunderstood. Fixed, too, is his conviction that when peace is concluded the old friendship of England and Turkey will secure for the latter very favourable terms, and allow her to concentrate her power against her present Arab enemies.

4. Extreme patience, ready appreciation, and great knowledge of the Arab were required in effecting this agreement. All were fully displayed by Lieutenant-Colonel Jacob, and I am glad to have this opportunity of bringing his services to notice.

I have, &c.,
J. M. STEWART, Major-General,
Political Resident, Aden.

Aden Residency,
26th January 1917.

C. 60.

Copy forwarded, with compliments, to His Majesty's Secretary of State for India, London, with two copies of the agreement and memorandum.

J. M. STEWART, Major-General,
Political Resident, Aden.

FARASAN ISLANDS.

A SUPPLEMENTARY AGREEMENT CONCLUDED BETWEEN HIS MAJESTY'S GOVERNMENT AND SAIYID MUHAMMAD BIN ALI BIN MUHAMMAD BIN AHMED BIN IDRISI, THE ID[illegible]

I. This agreement in no way annuls the conditions of the Treaty already concluded between the aforesaid Parties, and dated 30th April 1915, A.D., corresponding to 15th Jumad al Thani 1333 A.H.

II. His Majesty's Government recognise that the Farasan Islands have been captured by the Idrisi Saiyid from the hands of the Turks, and have become part and parcel of the Idrisi's domains, in all of which his independence is assured.

IO 8 17 30 1/10

III. The Idrisi Saiyid engages not to cede, mortgage, or surrender these islands nor the places situate on his sea-board, including the interests connected therewith, to any Foreign Power, and further to call on His Majesty's Government for assistance if these places or the interests therein are assailed or threatened from without.

IV. His Majesty's Government undertake to protect these islands and the Idrisi sea-board from all hostile action, without any interference on their part with his affairs and independence; and again, in return for his engagement to preclude the intervention of any Foreign Power in his territory or with its interests, His Majesty's Government engage to afford the Idrisi Saiyid the requisite help *qua* the sinews of war such as arms and ammunition and the like, both now during the duration of this General War and afterwards; and to facilitate the necessary avenues to the acquisition by him of such benefits as regards a telephone system and various developments such as the prospecting for mines and the extension of commerce and similar benefits; and further, will vouchsafe his convenience and that of his followers in the choice of a secure asylum in the event of a crisis arising in his country—which God forbid—together with such support of Government as shall assure his dignity and well-being, and shall use every endeavour to restore him to his former condition without any diminution therein.

V. The Idrisi Saiyid engages to keep a body of his armed retainers in the Farasan Islands as a token of his independence and to maintain his effective occupation therein.

VI. The Idrisi flag shall fly permanently over the Farasan Islands and in his other territories as a sufficient sign-visual of itself to all ships of his occupation and this without any other ancillary token.

VII. The rights and duties of the Idrisi Saiyid herein detailed shall be extended to include his family, kinsmen, heirs, and successors.

VIII. This agreement is signed by the Idrisi Saiyid on the one hand, and on the other by Lieutenant-Colonel H. F. Jacob, the representative of the Resident, Aden, on behalf of His Majesty's Government, and shall be held binding on both parties.

Dated Jizan 22nd January 1917, A.D., corresponding to 28th Rabi al Awwal 1335 A.H.

True translation.

(Signed) H. F. Jacob,
Lieutenant-Colonel,
First Assistant Resident, Aden.

MEMORANDUM ON THE SUPPLEMENTARY ENGAGEMENT CONCLUDED WITH THE IDRISI SAIYID ON 22ND JANUARY 1917.

In this engagement with the Idrisi it may appear at first sight that we have given more than the occasion demanded. The truth is that the Idrisi *refused point blank* to admit the really essential paragraph III. without his counter-proposals being added.

It is necessary to understand his attitude. The Idrisi does not know how the war will end. Last year he was certain the Allies would win. He is less hopeful now. *Then*, he feared we might patch up a peace which left the Turks "*in situ*" as his implacable foes: *to-day*, he looks round and sees them very much to the fore in Arabia and holding their own. He cites Lahej, Kunfida, and the failure there; the slow progress of the Sherif of Mecca, and finally Mesopotamia, and he doubts our ability to dislodge them.

His fears are two-fold. He believes that—

(1) his refusal to treat with any other Power, and his promise not to dispose of Farasan Islands and rights therein, will draw upon him Turkish animosity. The Turks up to now have watched his coquetry with us but believe they can win him back to the fold hereafter. Let them once come to know of his closer "*nexus*" with us as regards the islands and they will regard him as completely ostracised. There is no arguing with a fanatic of such preconceived notions;

(2) this engagement will deprive him of future assistance in arms and ammunition from Djibouti and Massowa, both of which places have for many years very considerably assisted in the arms traffic.

Cut off from these two sources of supply to whom, he asks, should he apply for the necessary sinews of war, and whom should he approach hereafter except the British Government? The Government must therefore take the place of those two Powers.

The sole Power the Idrisi fears now, and after the war, is Turkey aided by Germany, and the reason given for securing not only our promise of assistance in arms, but of advice in the development of his country, an asylum—should a crisis in the country compel his temporary withdrawal—coupled with the assurance of a continuation of these terms after the war to himself and successors—is this one inordinate fear of a prospectively irate Turkey. From this obsession he could not be dissuaded. At first it was our *flag* that would incense the Turks, and on the second visit it would be the engagement to refrain from a cession of the islands that was bound to arouse Turkish resentment.

At one time in the proceedings the Idrisi had insisted on the despatch of British troops inland, if he were attacked by the Turks, but I reminded him that our earlier treaty was confined to his sea-board and to protection by sea power.

I may say that although this engagement in its inception was peculiar to the Farasan Islands, yet the Idrisi was loud in predicting for the whole of his territories the ill-forebodings he had conjured up as the likely result of his agreeing to paragraph III. It was therefore not possible—given the desideratum of securing his adhesion to this paragraph—to exclude from the agreement this extended area of his entire sea-board. His Minister (Ba Sabi) declared (and we cannot refute it) that the Farasan Islands were the Idrisi's before the 30th April 1915,[1] and that, though not specifically mentioned, the Farasan became at once a part and parcel of his sea-board and within the purview of that treaty.

[1] Date of first treaty.

One result of the present agreement will be the exclusion of Italian influence in the Idrisi's domains. His Minister told me that the Italians were very desirous of concluding some agreement with the Idrisi to secure a *quid pro quo* of their long established connection *qua* the arms trade, and that even now the Italians sent him ammunition. At the same time the Idrisi scouted the idea of dealing with any Power save Great Britain, and to our Government he looked for every form of assistance.

As regards paragraph V. I found it impolitic to insist on any fixed number of his retainers on the island. I had insisted on "a number not less than one hundred men," but this was met by the argument that many more might be required and the exact number had best be left to time and circumstance. The Minister who was deputed on board said that the Farasan Islanders were a very stout body of men who would give a good account of themselves if necessary. I waived the point of *numbers* for I was dealing with a peculiar cast of man, and was guided also by the principle that, especially with Asiatics, it is unwise to insist on what one cannot enforce nor supervise without causing friction. It is enough that he has engaged to ensure his "effective occupation."

At our first meeting the Idrisi could not understand whose intervention we feared. It could not be an enemy, for we surely had control of the Red Sea outlets. As for allies, were they not our friends? If they interfered—or if we would anticipate such a *contretemps*—we should tell them that the islands were Idrisi, seized by him from the enemy, manned by him, and his flag hoisted, to show his occupation, and, finally, that he was under British protection.

Such announcement seems to me very essential. I am not aware of any future cut-and-dried division of the several interests in the Red Sea, but it had occurred to me that to hoist our flag and to land our troops would savour of British occupation and place these islands *ipso facto* within the category of matters to be adjusted after the war.

We are already assisting the Idrisi with the sinews of war, and the only foe after the war against whom he asks protection is the Turk—if the latter is left in the 'Asir province. The necessity for such protection after peace is concluded is very problematical, if at all possible.

The Idrisi would not sign the English copy. It was unreasonable, he said, to sign what you cannot understand. He however retained both Arabic and English copies. I did not press him to comply. His case is a peculiar one.

The agreement was concluded and signed, after much cross reference, on the evening of the 22nd instant, and H.M.S. *Minto* was asked by wireless telegraphy on 23rd idem to remove troops and flag, which he did that same day.

I would thank Commander G. Arnot, R.N.R., H.M.S. *Perth*, and Lieutenant L. P. Nalder, R.N.V.R., the Political Officer of the Southern Red Sea Patrol, for their cordial co-operation in dealing with the Idrisi. He is the most suspicious and the most exclusive individual of his class I have ever encountered in Arabian politics. A give-and-take policy was indicated, as he himself was only too ready to remind me.

(Signed) H. F. Jacob, Lieutenant-Colonel,
First Assistant Resident, Aden.

H.M.S. *Perth*,
24th January 1917.

B 250.

TEXT OF SUPPLEMENTARY TREATY OF 22ND JANUARY, 1917.

1. This agreement in no way annuls the conditions of the Treaty already concluded between the aforesaid Parties and dated the 30th April 1915, A.D., corresponding to 15th Jumad al Thani, 1333, A.H.

11. His Majesty's Government recognise that the Farsan Islands have been captured by the Idrisi Saiyid from the hands of the Truks, and have become part and parcel of the Idrisi's domains, in all of which his independence is assured.

111. The Idrisi Saiyid engages not to cede, mortgage or surrender these islands nor the places situate on his sea-board, including the interests connected therewith, to any foreign Power, and further to call on His Majesty's Government for assistance if these places or the interests therein are assailed or threatened from without.

1V. His Majesty's Government undertake to protect these islands and the Idrisi seaboard from all hostile action, without any interference on their part with his affairs and independence; and again, in return for his engagement to preclude the intervention of any foreign Power in his territory or with its interests, His Majesty's Government engage to afford the Idrisi Saiyid the requisite help qua the sinews of war, such as arms and ammunition and the like, both now during the duration of this general war and afterwards; and to facilitate the necessary avenues to the acquisition by him of such benefits as regards a telephone system and various devlopments such as the prospecting for mines and the extension of commerce and similar benefits; and further will vouchsafe his convenience and that of his followers in the choice of a secure asylum in the event of a crisis arising in his country - which God forbid - together with such support of government as shall assure his dignity and well-being, and shall use every endeavour to restore him to his former condition without any diminution therein.

V. The Idrisi Saiyid engages to keep a body of his armed retainers in the Farasan Islands as a token of his independence and to maintain his effective occupation therein.

V1. The Idrisi flag shall fly permanently over the Farasan Islands and in his other territories as a sufficient sign-visual of itself to all ships of his occupation and this without any other ancillary token.

V11. The rights and duties of the Idrisi/Saiyid detailed shall be extended to include his family, kinsmen, heirs and successors.

V111. This agreement is signed by the Idrisi Saiyid on the one hand, and on the other by Lieutenant-Colonel H.F. Jacob, the representative of the Resident, Aden, on

behalf,

behalf of His Majesty's Government, and shall be held binding on both parties.

Dated Jizan, 22nd January 1917, A.D., corresponding to 28th Rabi-al-Awwal, 1335 A.H.

True translation: (Sgd) H.F.JACOB,
Lieut.Colonel,
First Assistant Resident,
Aden.

(الوثيقة رقم ٩)

القوات الإدريسية وتوزيعها من خلال تقرير « برادشو »

(ترجمة الوثيقة)

I.O.R. 7

مقتطفات من تقرير للرائد س . ر . برادشو

مـــن : الميجر جنرال ، برادشو ، إلـــى : هيئة الأركان العامة بعدن

التاريخ : ٢٩ يناير ١٩١٦م

عندما كنت فى جازان ، وبما أننى لا أفهم اللغة العربية فإننى لم أعرف التحدث معه فى الاجتماع ، ولكن من الأسئلة والإجابات عليها ، ومن الاستفسارات التى قمت بها بالوسائل الأخرى المتاحة ، خرجت بالانطباعات التالية من وجهة النظر العسكرية .

إن العمليات الحربية لم تكن أول ماكان يفكر فيه الإدريسى أو رئيس وزرائه ، ويبدو أنه قد سحب أتباعه على طول (وادى العين) ، ويبدو أن جنوده من رجال القبائل قد عادوا إلى خط (حيس ـ كدف البترى) ، أما المدافع والأغلبية من رجاله الخصوصيين ، بخلاف رجال القبائل ، فقد عسكروا فى منطقة (ميدى) .

لا يبدو أن الأتراك أو العرب المحاربين معهم قد تتبعوا قوات الإدريسى عندما تراجعت فى نوفمبر ١٩١٥م من (جهاندة والواعظات) بل ان يكونوا قد ظلوا فى مواقعهم السابقة حيث أنهم تلقوا ضربات قاسية من قوات الإدريسى ربما كانت كافية لأن يتشجعوا على عدم القيام بأى هجوم عدائى على تلك القوات .

إن الطريق الرئيسى من الشمال إلى الجنوب هو ذلك الذى يأتى من (ميدى) عن طريق (كدف البترى) ومن ثم إلى (زهرة) (واللحية) .

ليس للأتراك أو الأتراك العرب مخافر أمامية شمالاً أبعد من الخط العام الفاصل إلى (دير شاما وجرب) ، ولذا اتخذوا مواقعهم فى ملتقى الطرق الهامة فى (الواعظات) وعلى طول (وادى مور) ذلك أنهم فى مواقعهم السابقة .

وبدا أن الإدريسى ورئيس وزرائه لم يكن لديهم فكرة عن العدد الاسمى للكتائب أو الفرق التركية ، والحقائق الوحيدة التى يبدو أن لها انطباع فى عقليهما هى أن الأتراك أقوى منهم بكثير فى سلاح المدفعية ، وأن الأتراك متوفر لديهم (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف من الرجال المحاربين تحت تصرفهم ، وهؤلاء لم يكونوا متجمعين بل كانوا موزعين على المواقع الموضحة أعلاه وقالوا إن الأتراك ليس بينهم ضابط عظيم فى أى من مواقعهم ، وأن الضابط العظيم المقدم (راغب بك) قائد ضعيف جداً والذى لم يخافوه على الاطلاق ، وعرف أن بعض الأتراك لا يزالون مع الإمام فى صنعاء ، ونسبة السوريين العرب فى الكتائب التركية كبيرة ، وفى أغلب الحالات تصل إلى (٥٠٪) خمسين فى المائة ، وهذا الجانب من العرب غير مقتنع بالأتراك ، ويستدل على ذلك من ملاحظات جندى عربى هارب ، والذى تم القبض عليه وتسليمه بواسطة أمير الجنود الأتراك الآسيويين بناء على طلبه بواسطة الإدريسى ، ذكر أنهم لم يستلموا أى مرتبات وأن الأتراك ينالون كل شئ أولاً وهم أخيراً ، وقال إنهم يتمنون الخلاص منهم ، أى من الأتراك .

ومما يبدو أن الإمام والقائد التركى فى أبها يستطيعان تبادل الرسائل فيما بينهما أحياناً عن طريق المسلك البرى ـ صعدة ـ أبها ـ ولكن هذا يتم فقط عندما يتوفر بدوى موضع ثقة يحمل الرسالة ، وما عدا ذلك فإن هذا الطريق مغلق لتحركات الجنود والمؤن والمعدات بأى كميات ملحوظة .

وانطباعى العام هو أنه لا يوجد أى نشاط فى الخطوط الحربية فى عسير الآن ، أى أنه ليس هناك أى نشاط هجومى ضد الأتراك ولكن الحقيقة الوحيدة هى أن الإدريسى يحمل روحاً عدائية للأتراك وعدو للإمام ومنه ميزة عسكرية بالنسبة لنا . وما استطعت أن أعلمه هو أنه لاتزال هناك سبع فصائل محصورة فى مثلث الحديدة ـ صنعاء ـ اللحية ، وعدد معين من المدافع (حوالى ٢٠ مدفع ميدان وجبل) والذخائر . وهذا ما تم تقديره أن يكون هناك .

وطالما أن الإدريسى ظل على عداوته للأتراك والإمام فإنه من المحتمل أن يحتفظ بهذه الكتائب فى الشمال ، وأبعد من ذلك ـ أصبح لدى الانطباع أن الإدريسى لا ينوى القيام بأى عمل أخر فى الوقت الحاضر ما عدا أن يبقى فى استعداد نسبى .

Dated the 22nd DilHijja 1335 (8th October 1917).

P.S. We expected xx you to send us an agent on Monday the 25th Dil Hajja (11/10/17) to supply us with arms and ammunition. Now we desire you to send us at once 1000 rifles and an indefinite quantity of ammunition because fighting is raging both during day and night. Do not shorten the quantity of the ammunition. The arms and the ammunition may be sent at once. Fighting is going on prior to the Id festival and upto the present moment it is vehement. The same may be sent by the messengers who should come to us with our requirements.

Dated 25th Dil Hajja 1335 (11th October 1917)

(الوثيقة رقم ١١)

الحالة الاقتصادية في اليمن
والعمليات العسكرية الإدريسية مع العثمانيين
حول اللحية أثناء الحرب العالمية الأولى

(ترجمة الوثيقة)

F.O. : 371 / 3394

No. : 5896

مـــن : اللواء ، جـ . م . ستيوارت ـ المقيم السياسى فى عدن

إلـــى : السيد ريجنالد وينجت ـ المندوب السامى البريطانى فى مصر

التاريخ : ٨ ديسمبر ١٩١٧م عدن .

الخطاب الاسبوعى الثالث والثلاثون (٣٣) .

السيد الإدريسى مبتهج وفخور بانتصاراتنا فى فلسطين ، وحمل تهانيه عنه السيد مصطفى قبل عدة أيام . أفادنا الأخير أن بلاغاتنا الرسمية التى صدرت عن الموضوع قد انتشرت بشكل واسع فى إقليم الإدريسى . كما وزعت وأذيعت فى كل المناطق الخاضعة لنفوذ الأتراك ، وكان من رأيه أنه كان يمكن أن تكون لهذه البلاغات آثار إلى أبعد مدى فى مناطق اليمن عموماً .

وقد استدل بعد مقابلتين مع السيد مصطفى منذ وصوله إلى هنا ، أن السيد الإدريسى شاكر ومقدر للمساعدات المالية والإمدادات التى زودته بها الحكومة البريطانية ، ويؤكد السيد مصطفى الإدريسى أن الاستعدادات تجرى بهمة وعلى قدم وساق للهجوم القادم على اللحية ، ولهذا الهدف فقد رؤى ، وتم تمركز القوات فى مواقع مختلفة فى مناطق المسارحة وبنى مروان .

تمت الإفادة عن وصول ألفين من المحاربين من قبائل حاشد وبكيل إلى جازان ، كما يتوقع وصول عدد مماثل قريباً ، وقام (ناصر مبخوت الأحمر) برسم خريطة لعمليات الهجوم ضد الجنوب ، وهو لا يزال مقيماً فى جازان .

(الوثيقة رقم ٩)

القوات الادريسية وتوزيعها من خلال تقرير (برادشـــو)

(نص الوثيقة)

Extract from a Report by Major C. R. Bradshaw, General Staff, Aden.

o o o o

Regarding the Idrissi.

When at Gaizan, not knowing Arabic, I was unable to understand the conversation with him at the meeting, but from the answers to questions, which were asked at my request, and from enquiries I made through the other means available, I came away with the following impressions from a military point of view :—

That military operations were not uppermost in the mind of the Idrissi or of his Prime Minister. He appears to have withdrawn his tribesmen within his own sphere of influence to the south, that is approximately along the Wadi Ain. His own fighting men seem to be back on the line Buhais-Kidf-al-Butri, and the guns and the bulk of his own men, other than tribesmen, in the Medi district.

The Turks or the Turkish Arabs do not seem to have followed up the Idrissi force when it retired in November 1915 from Jhanda and Wayidat, but to have remained in their former positions, having received somewhat of a severe check from the Idrissi force, sufficient probably to discourage any offensive against them.

jhand H

The main route from the north to the south is that from Medi *via* Bughtha, Kidf-al-Butri, and thence to Baigha and to Zohra and Lahiya. The Turks and Turkish Arabs have not outposts further north than the general line Der Shuma-Jarb, and are disposed at the important junctions in Wadilat and along the Wadi Maur. That is in their former positions.

Bughitha

The Idrissi and his Prime Minister appeared to have no notion of the number (titular) of the Turkish battalions or regiments. The only facts that appeared to be impressed on their minds, were that the Turks were much stronger than they are in artillery, and that the Turks had about 3,000 fighting men available. These were not collected, but dispersed as stated above. They also said that the Turks had no really senior officer anywhere up in their direction, and that the senior officer—Lieutenant-Colonel Ragib Bey—is a very poor commander, whom they did not fear in the least. Some Turks were acknowledged to be still with the Imam at Sanaa. The proportion of Syrian Arabs in the Turkish battalions is great, in most cases as much as fifty per centum. The Arab portion are discontented with the Turks judging by the remarks of an Arab deserter, who was handed over* with an Asiatic Turk. He said they received no pay and the Turks got everything first and they last. He said they were longing to get rid of them.

* At our request by the Idrissi.

The Imam and the Turkish commander at Abha appear to be able to correspond occasionally by the inland route Sadah-Abha, but this can only be done when a trustworthy Bedouin can be got to take the letter. Otherwise, this route is still closed to the movement of troops, supplies, or consignments in any appreciable amount.

My general impression is that there is "nothing doing" in the military line in Asir now, that is nothing of an offensive character against the Turks, but the mere fact that the Idrissi is hostile to the Turk, and an enemy of the Imam, has a military advantage for us. From what I could gather,

there are still seven battalions locked up in the triangle Hodeidah-Sanaa-Loheiyah, with a certain number of guns* and ammunition. This is what has been estimated to be there. As long as the Idrissi retains his hostility to the Turks and to the Imam this number of battalions is likely to be retained in the north.

* About 20 (Field and Mountain).

I further got the impression that the Idrissi does not intend to do anything more for the present, except to remain in comparative readiness. His attitude is attributable to two main reasons:—

(1) He is not at all sure who is going to win the war, and like all smaller potentates, he does not want to commit himself further before he is reasonably sure.

(2) He really is not in a position to take on the Turks with any certainty of success, as although he has a great many rifles and an equal or even greater number of guns than the Turks on his southern frontier, yet he has a limited number of rounds for the Italian guns and rifles, and, what is more, he sees no prospect of obtaining any further supplies for these.

His guns, except for five captured from the Turks, are all Italian, and he states that he has only 100 to 150 rounds per gun left. He intimated that he could not do anything with this amount. This is quite natural, for these rounds are all that really stand between him and the possibility (military) of all his tribesmen being subdued by the Turks. The Turks have subdued and hold the Yemen by their guns; they are usually much inferior in rifle power to the Arabs, that is in the number of riflemen they can send out with their guns, the Arab being an equally good (or bad) shot as compared with the Turk. The Idrissi cannot be really expected, therefore, to do any more unless he can be assured of an ammunition supply for his guns. The following is the number of guns he acknowledges as having:—

4 heavy, Italian.
10 field, Italian.
16 mountain, Italian.
5 mountain, Turkish (captured) 50 rounds per gun only.

His position as regards rifles is almost as unsatisfactory. He states that by far the greater number of his rifles are also Italian, the number quoted being 30,000. For these he has only 600 boxes of 1,600, *i.e.*, 32 rounds per rifle.

If he had all these rifles in his own hand this would enable him to equip 3,200 men with 300 rounds, which is not much, when there is no reserve behind them. (The Arab is apt also to waste ammunition in feu-de-joies, &c.) Besides this I believe that the majority of these rifles have already been distributed among his tribesmen, who must all be given some ammunition, if any of them are going out to fight.

He stated that he had got two to three thousand Mausers (Turkish) and four thousand Le Gras rifles. It is only for the latter that he has a good supply of ammunition owing to the arrangements made by Government. He has also a few hundred Martini and some ammunition. He seems to thoroughly realise how unsound his admixture of rifles is, and the difficulties of ammunition supply of such a mixture, but as long as we cannot help him

to get Weterli ammunition, or give him a large number of rifles with ammunition we can supply, his position must remain unsound.

The Idrissi has about one-third of his forces and guns disposed on his northern border, and two-thirds in the southern. He is slightly stronger than the Turks on his northern border, and with enough gun ammunition would probably try and regain ground towards Abha and Kunfidah.

Although he cannot do much just now he is still of military value as an ally, by the mere fact of his unfriendliness to the Turk and Imam, rather than by any action he can take. He cannot in his present situation be relied to draw any Turks northwards from Lahej, as the threat he creates is not sufficient.

I have brought patterns of the shell he needs most, that is field and mountain.

o o o o

(الوثيقة رقم ١٠)

خطاب من قبائل رجال ألمع إلى السيد الإدريسى

(ترجمة الوثيقة)

F.O. : 371 / 3056

مـــن : قبائل رجال ألمع ، إلـــى : أمير المؤمنين السيد محمد بن على بن إدريس .

بتاريخ : ٢٥ ذى الحجة ١٣٣٥هـ / ١١ أكتوبر ١٩١٧م

مرفقة : بتقرير رايلى مساعد المقيم السياسى فى عدن الذى أرسله إلى المساعد الأول للمقيم فى عدن . وتاريخ : ٢٦ أكتوبر ١٩١٧م .

مـــن :

١ ـ جبر بن أحمد بن مرعى

٢ ـ جبر بن عبده على بن محمد

٣ ـ محدث بن محمد

٤ ـ السيد على بن محمد

٥ ـ ناصر بن ابراهيم

٦ ـ يحيى بن على

٧ ـ على بن حسن

٨ ـ أحمد بن زايد

٩ ـ ابراهيمَ بن أحمد

١٠ ـ أحمد بن ابراهيم

من : قبيلة رجال ألمع ،

إلى : أمير المؤمنين : السيد محمد بن على الإدريسى

لقد منح الله سبحانه وتعالى الحياة فى قلوب رجال ألمع فى صباح يوم الاثنين ٨ استيقظ الشيخ أحمد بن ابراهيم وكتب هذا الخطاب :

إن القتال يجرى فى كل اتجاه ، قتل الكثير من الأتراك والعرب ، ولولا (أسور) لأصبح الأتراك فى موقف ضعيف .

أسور بن حامد ، وابن حمود فى قاع المشكلة . لقد عرفنا أن مجموعة من بنى قطبه قد نقلوا ٩ بنادق ، و ٩ صناديق من الكركون ، من مركزالشرطة فى (رأس الشرف) على حدود ربيعة ، فى مساء الثلاثاء قتل ٥ أتراك وجرح كثيرون ولقد اضطروا إلى الرجوع إلى معسكرهم . وفى (جبل ثات) قتل ثلاثة من (الشوكة) واثنان من الأتراك ، وجرح ٦ . قتل (قيس) ٧ أتراك وعرب فى وقت واحد ، وخمسة فى وقت آخر ، وقد قتل (بن جونا) وكل قطاع من رجال ألمع يعطى قصة عن نفسه ويحيطون بأعداء الله من كل مكان ، ولولا (الشوكة) لما كان هناك أتراك متبقيين ، إننا نود أن نخبركم بكل ما يحدث .

إننا ندرك أننا سببنا لكم القلق بخصوص الأسلحة والذخائر ، يجب أن تدركوا أنه لو أرسل ١٠٠ صندوق إلى رجال ألمع فى وقت ما ، فإن نفس الكمية لن تكون كافية بالنسبة للقتال مع الأتراك ، إننا نطلب منكم إرسال كمية من كل نوع من الذخيرة (مارت، نبوت ، ماوزر) ونفس الكمية يمكن توزيعها بين المحاربين عن طريق الشيخ أحمد بن إبراهيم .

ونرجو ملاحظة أننا لم نطلب أى مقدم يأتى إلينا منكم ، إن محاربينا لديهم طبيعة لا يمكن تفسيرها أو وصفها ، فلو وجد أحدهم مقدماً أو أى شخص آخر يسير أمامه فإنه سوف يؤذى الآخرين ، ولو خرج أى مقدم فإن رجال ألمع سوف يسببون له الإزعاج ، إننا فى وقت عصيب لو أن مقدماً خلافنا وصل إلى الموقع فإنه سيكون عرضة للمشاكل والقلق والمخاطرة .

إن أحمد زايد وابن حمود وشيوخ القبائل يستطيعون القيام بما نحتاج إليه وبعد انتهاء الحرب إن شاء الله فإن الأمر سوف يناقش بطريقة مرضية ، والآن نرغب من سيادتكم أن تمدونا بعدد كاف من الأسلحة ، وكمية كافية من العتاد ، ولا تؤجلوا ارسال كمية الذخيرة لوقت الحاجة ، إننى أقسم أن أحداث ليلة الاثنين كان لها صداها فى السراة وتهامة ، ففى الليل والنهار نقتلهم ونغير عليهم ، ونعلمكم أن الذين يقومون بالعمليات منهم فى حالة سيئة ، وإننا نرجو إظهار حسن النوايا معنا حتى نستطيع إحراز النصر

والاستقرار لصالح الإسلام والمسلمين ، والأمر لكم لتقرروا مدى جدوى تعيين وكيل فى الدرب أو الشقيق للإشراف على توزيع الأسلحة والذخيرة ، ولا تسمحوا لأحد أن يظهر سوء النية نحونا حفظكم الله .

إننا نتوقع ارسال الوكيل يوم الاثنين ٢٥ ذى الحجة لكى يمدنا بالأسلحة والذخيرة . والآن نرغب منكم ارسال حوالى ١٠٠٠ بندقية ، وكمية غير محدودة من الذخيرة لأن القتال مستمر ليلاً ونهاراً . ونرجو عدم إنقاص كمية الذخيرة ، ويمكن إرسال الأسلحة والذخيرة حالاً . إن القتال مستمر وحتى اللحظة الحالية مازال شديداً ، ويمكن إرسال نفس الكمية عن طريق الرسل الذين يأتون إلينا بطلباتنا .

٢٥ ذى الحجة ١٣٣٥هـ ، ١١ أكتوبر ١٩١٧م

(الوثيقة رقم ١٠)

خطاب من قبائل رجال ألمع الى السيد الادريسي (نص الوثيقة)

From,

1. Kubar bin Ahmad bin Nuri
2. Kubar bin Abu Ali bin Mohamed bin Zugloor
3. Mu-'idth bin Muhomed
4. Saiyid Ali bin Muhamed
5. Naser bin Ibrahim
6. Yahia bin Ali
7. Ali bin Hasan
8. Ahmad bin Said
9. Ibrahim bin Ahmed
10. Ahmad bin Ibrahim

of the tribe of Rijal el Ma'

To,

Ameer-ul-Mumineen (The Amir of the faithful)
Saiyid Muhammad bin Ali bin Idris.

A.C.

God has given life to the hearts of the Rigal el Ma'a on the morning of Monday night Sheikh Ahmad bin Ibrahim got up and penned this letter. Fighting is going on in every direction. Of the Turks and Arabs many have been slain. Had it not been for Aseer the Turks would have been weak. Aseer bin Hamod and the son of Hamoed are at the bottom of the trouble. We have learnt that a party of Buni Katbn have carried away nine rifles and nine boxes from a Karakoon (Police station) in Ash Sharaf on the border of Ruben. On Tuesday night (previous 5 Turks were killed and there were many wounded. They had to go back to their Camp. On Jubal Thut, Three of Ash Shaiku and two Turks have been killed and 6 wounded. Kais killed 7 Turks and Arabs at one time and 5 at the other. Bain Gunu have been killed. Every section of Rigal el Ma'a has given a good account of itself. Rigal el Ma'a are surrounding the enemies of God everywhere. If it were not the Shaikh there would not have been a Turk left. We desire to let you know of what transpired.

We are [illegible] that we have [illegible] you for arms and ammunition. You must consider that if one hundred boxes are sent to Rigal el Ma'a at one time the same would not be enough if distributed amongst those who carry arms. The same would not be enough in proportion to the fight with the Turks. We request you to send a quantity of every kind of ammunition i.e. Mart and Nab-boot and Magiaza and Mauser. The same may be distributed amongst the warriors through Sheikh Ahmad bin Ibrahim. And please note that we have made no demand for a Muccadum to come to us from you. Our tribesmen have got such a nature as cannot be explained. If any one finds a Muccadum or any other person go before him he would corrupt the others. If any Muccadum goes about he would be disturbed by the Rigal el Ma'a. This is a critical time. If a Muccadum other than us arrives on the spot he would be subject to trouble, worry and risk. Ahmad, the Saiyid, the son of Masood and the Sheikhs of the tribes can do the needful. After the war is over the matter, God willing, will be discussed in a satisfactory manner. Now we desire your honour to supply us with a sufficient number of arms and a sufficient quantity of ammunition Do not ~~[illegible]~~ curtail the quantity of ammunition as this is the time of need. We swear that the occurance of the Monday night has echoed in Sura and Tihama. Both during day and night they are being killed & plundered by us as usual and still [illegible]. We announce to you the good news that those who co-operate with them are in deplorable condition. We expect you to shower well wishes on us so that we may win victory and stability for the welfare of Islam and Moslems. It is for you to consider the advisability of appointing an Agent in Ad Durb or Shukaik for the purpose of superintending the distribution of arms and ammunition. Do not let any one shower ill wishes against us. May you be preserved

7A.

ويمكن عزو اتجاهه إلى سببين رئيسيين هما :

١ ـ أنه ليس واثقاً تماماً عمن سيكسب الحرب ، ومثل كل الحكام الصغار لا يريد أن يلزم نفسه أكثر قبل أن يكون متأكداً بصورة معقولة .

٢ ـ حقيقة أنه ليس فى موقف للقيام بالهجوم على الأتراك قبل أن يكون هناك أدنى شك من النجاح بالرغم من أن لديه عدداً كبيراً من البنادق وعدداً مساوياً أو ربما أكثر من مدافع الأتراك على حدوده الجنوبية ، علاوة على ذلك فإنه لديه عدد محدود من القذائف للمدافع والبنادق الإيطالية ، وأكثر من ذلك فإنه لا يرى أى توقعات للحصول على المزيد من هذه الذخائر .

كل مدافعة إيطالية الصنع ، ماعدا خمسة تم الاستيلاء عليها من الأتراك وهو يؤكد أن لديه ما بين (١٠٠ ، ١٥٠) مائة ومائة وخمسين قذيفة بقيت لكل مدفع . كما صرح بأنه لا يستطيع فعل شئ بمثل هذه الكمية ، وهذا طبيعى جداً ، لأن هذه الكمية ـ حقيقة ـ هى كل ما يمكن أن يقف بينه وبين الإمكانية الحربية لوقوع كل رجال القبائل الموالين له تحت سيطرة الأتراك والخضوع لهم . والأتراك قد أخضعوا وسيطروا على اليمن بمدافعهم ، وهم أقل بكثير من العرب من ناحية تسليحهم بالبنادق أى بمعنى عدد الرجال الذين يمكن إرسالهم مسلحين بالبنادق ويمكن اعتبار العرب بنفس المستوى أو أرقى من ناحية التصويب عند مقارنتهم بالأتراك ولذا لا يمكن فى الواقع أن يتوقع من الإدريسى أن يفعل أكثر من ذلك ما لم يجد من التأكيدات لتزويده بالإمدادات الكافية من الذخيرة وأسلحتة .

كما أعلن الإدريسى أن المدافع التى بحوزته :

٤ مدافع إيطالى ثقيل ، ١٠ مدافع ميدان إيطالية ، ١٦ مدفع جبلى إيطالى ، ٥ مدافع جبلية تركية (وتم الاستيلاء عليها) (٥٠) قذيفة لكل مدفع .

وبالنسبة للبنادق فهى تقريباً أيضاً غير كافية ، ويوضح أن أغلبية البنادق المتوفرة لديه إيطالية الصنع ، والعدد الذى أورده هو (٣٠٫٠٠٠) ثلاثون ألف طلقة ، لأن لديه ٦٠٠ صندوق وبكل صندوق ١٫٦٠٠ أى بمعدل ٣٢ قذيفة لكل بندقية .

وإذا توفرت لديه كل هذه البنادق فى يديه ، فإن هذا سيمكنه من تسليح ٣٫٢٠٠ (ثلاث آلاف ومائتين رجل) ولكل واحد ٣٠٠ طلقة ، وهذا ليس بالكثير حينما لا يكون هناك احتياطى يعودون إليه (والعربى قابل لتبديد الذخيرة فى الاستمتاع والمرح).. الخ . بخلاف هذه فإننى أعتقد أن أغلبية هذه البنادق قد تم توزيعها بين رجال القبائل الموالين له ، ويجب أن يعطى جميعهم بعض الذخيرة إذا كان أى منهم سيخرج للقتال .

وأوضح أن لديه ما بين اثنين إلى ثلاثة آلاف بندقية (موزر) تركية ، وأربع آلاف بندقية (ليجراس) ، وأن لديه فقط إمدادات كافية من الذخيرة للبنادق الأخيرة نتيجة للترتيبات التى قامت بها الحكومة . كما أن لديه مئات قليلة من (المارتينى) وبعض الذخيرة وهو يدرك جيداً عدم مفعولية هذا الخليط العجيب من البنادق والصعوبات التى تنتج من إمكانية الحصول على الذخيرة اللازمة لمثل هذا الخليط ، ولكن طالما أننا لا نستطيع مساعدته بإمداده بذخيرة (وترلى) أو إعطائه كمية كبيرة من البنادق مع تزويده بالذخيرة اللازمة لها فإن موقفه سيظل غير سليم .

ثلث قواته من المدافع موزعة على حدوده الشمالية وثلثان فى الحدود الجنوبية وهو فى مركز أقوى قليلاً من الأتراك فى حدوده الشمالية ولديه كميات كافية من الذخيرة للمدافع ربما مكنته من استعادة موقعه صوب أبها والقنفذة .

بالرغم من أنه لا يستطيع فعل الكثير فى الوقت الحاضر فإنه لا يزال ذا قيمة حربية كحليف ، للحقيقة المجردة وهى كونه عدواً للأتراك والإمام أكثر من إمكانه القيام بأى عمل وهو لا يستطيع فى موقعه الحالى أن يعتمد عليه فى سحب الأتراك شمالاً من لحج لأن التهديدات التى يختلقها غير كافية .

لقد أحضرت عينة من القنابل التى يحتاج لها أكثر تلك لمدافع الميدان والجبل .

السيد الإدريسى قام بنقل مقر رئاسته إلى (مضايا) وهى مكان فى منتصف الطريق بين (جازان وميدى) حيث يشرف شخصياً على الترتيبات للحملة القادمة .

يبدو السيد مصطفى متفائلاً بالنسبة لخطط العمليات المنتظرة ، وهناك اعتقاد عام فى معسكر الإدريسى أنه لن تكون هناك أى صعوبة فى الاستيلاء على (اللحية) ودحر جناح القوات التركية والتقدم إلى الزيدية) .

ويقال إن ارتداد السيد أحمد باشا من قبيلة (بنى جماع) عن تأييده للأتراك ، لا رجعة فيه وأنه لا يستبعد أن يتحول (ابن الهيج) وأفراد عشيرته (الواعظات) إلى جانب الإدريسى ، بعد سقوط (اللحية) والمعلوم أن عرب (البعاجيه) و (الزعالية) القاطنين فى الإقليم الواقع جنوب (اللحية) موالين للسيد الإدريسى .

وقد قدم السيد مصطفى تفاصيل عن أربعة اشتباكات حدثت فى الفترة من ٢٥ أكتوبر إلى يوم ٢٧ نوفمبر الماضى بين القوتين المتصارعتين فى جبهة بنى عبس ، وهذا يدل على أن قوات الإدريسى لا تقف مكتوفة الأيدى ، وأنها توقع خسائر فادحة بين قوات العقيد (غالب بك) و (ابن ثواب) .

وصل فى الأسبوع الماضى إلى عدن تاجر يهودى مشهور يسمى (يوسف فانهوس) من صنعاء عن طريق (هيفار ولحج) ويروى عن وجود كميات وفيرة من الغلال فى مرتفعات اليمن حيث إن أسعار الحبوب المنتجة حديثاً والانتاج المحلى فى أدنى مستوى مقارنة بالأسعار فى ربع القرن الأخير ، وبالرغم من ذلك فإن شراء الطعام والضروريات الأخرى ليس من السهولة بمكان الحصول عليها ، وفى الجانب الآخر فإن السلع المستوردة من الخارج فى حالة تواجدها مكلفة للغاية ، نتيجة لرسوم المواصلات المحظورة والمكوس العالية التى تفرض عند العبور .

هذا التاجر يرسم صورة كئيبة للموقف السياسى والاقتصادى الحالى فى العاصمة (صنعاء) طالما وجدت الإدارة التركية فالخزينة خالية بدون وجود أى توقعات للتحسن فى الميزانية ، وعلى وجه التحديد فقد رفضت قبائل (الزيدية) والمناطق المجاورة دفع الضرائب لضعف التسلط التركى وترنحه ، وعدم التمييز بين الموظفين العسكريين والمدنيين . وقيمة

خسمة جنيهات تركية تساوى ٩ أو ١٠ دولارات (١٨ - ٢٠ روبيه) فى أسواق المدن الكبرى فى اليمن .

هناك اعتقاد عام ينتشر فى صنعاء بتفاؤل ، أن الأتراك قد قرروا التراجع والتقهقر إلى تهامة إذا لم يحدث تحسن فى الأحوال فى ظروف الثلاثة شهور القادمة .

يوصف الإمام يحيى بأنه صاحب النفوذ الأقوى فى صنعاء والأقليم الواقع إلى الشمال ، وأن نفوذه لا يمتد جنوبياً أبعد من (بريم) و (دمت) فى منطقة (الحبيشية) .

ومما لا شك فيه أن الإمام يحيى - بالرغم من إظهار الحياد الودى ، وانتظاره بصبر لليوم المحتوم - فإنه لم يقدم للأتراك أى مساعدات مالية سوى هدية معينة من أكياس الشعير القديم المخزونة منذ فترة طويلة تقدر قيمتها بمبلغ ١٠٫٠٠٠ دولار ، وهذه الكمية وزعت بواسطة السلطات التركية بين الجندرمه العرب لتقابل طلباتهم الملحة لتسديد مرتباتهم المتأخرة .

يقال إن مجموعة المستعمرة اليهودية فى صنعاء فى حالة محتملة ، ويشكرون ما يقدمه الإمام من حماية لها من ابتزاز وتسلط الأتراك . والشئ الذى يفرح أن نعلم أن أسرى الحرب البريطانيين بخير ويعاملون معاملة جيدة .

وصلنا التأكيد من عدة مصادر عن وصول الوالى (إلياس بك) والرائد (حسين حسنى) إلى صنعاء وهما المذنبان الرئيسيان المتورطان فى مقتل الشيخ (أبو راس) . كما تأكد فى نفس لوقت أن الشيخ (ناصر مقبل) قد فشل فى الاستجابة لنداءات الإمام ، ولكنه أرسل وكيلاً لينوب عنه فى المحاكمة .

لا تزال تصلنا تفاصيل عن عراك متقطع فى منطقة (جبل امبراشا) ، وتفيد التقارير الأولية أن القوات التركية العربية قد تكبدت خسائر جسيمة نسبياً هنا ومن تقرير وصل حديثاً يتضح أن أتباع الشيخ محمد حسن كانوا يهاجمون مكاناً يسمى (..............) بالقرب من (تعز) وأنهم أثناء تراجعهم شمالاً اصطدموا بشيخ (هجده) (محمد حقشى) الموالى للأتراك والذى قتلوه أثناء العراك الذى حدث .

الأحوال فى إقليم عسير هادئة وفقاً لما ذكره (حسين عبد القادر مكاوى) وتكافح السلطات التركية لكى تكسب إلى جانبها أنصار الإدريسى من عشيرة قبائل (رجال ألمع) ويقال أن الندرة وانعدام الموارد تنتشر فى سناجق عسير نتيجة لاتلاف الجراد للمحصولات .

أخبار موثوقة عن عدة مصادر متنوعة تشير إلى بوادر تذمر مستمر فى (لحج) وأن (سعيد باشا) يحاول جاهداً أن يكسب عطف وتأييد الزعماء ورجال القبائل فى المناطق المجاورة ليضمن مؤازرتهم وتعاونهم فى حالة أى تقدم بريطانى ضده ولكن محاولاته باءت بالفشل ولم تصادف أى نجاح .

الشيخ (سعيد عبد الله الرشيدى) من قبيلة (بالحاف) من إقليم (وحيدى) زار لحج ويقال إنه قد أعطى مدفعاً صغيراً وبعض البنادق والذخيرة عندما وعد بمحاربة سلطان (عكالى العليا) (صالح بن عبد الله) الذى رفض الاستجابة لعروض واغراءات القائد التركى .

التاجر اليهودى (فانهوسى) المشار إليه فى هذا الخطاب كان يقوم بتحويل ممتلكاته وأشيائه الثمينة إلى تعز .

الأخبار التى تسلمناها بالأمس من الشيخ (يحيى ناصر بن عمر شيبين) توضح أن السيد (محمد درويش) قد وصل إلى (دمت) بالقرب من (رداع) ومعه ٥٠٠ من الأتباع .

وكما أوضح سابقاً يقال إنه يقوم بتصرف الأمور بالنيابة عن الإمام ، وقيل إنه يتحرك للهجوم على (مريسى) و (الشعيب) و (كثاب) .

(الوثيقة رقم ١١)

الحالة الاقتصادية فى اليمن، والعمليات العسكرية الادريسية مع العثمانيين حول اللحيه اثناء الحرب العالمية الاولى

SECRET.

(نص الوثيقة)

33rd Weekly Letter.

Dated Aden Residency, the 6th December 1917.

From—Major-General J. M. Stewart, C.B., Political Resident at Aden,

To—His Excellency General Sir Reginald Wingate, G.C.B., G.C.V.O., K.C.M.G., D.S.O., His Britannic Majesty's High Commissioner, Cairo.

Sayed Idrisi is elated over our successes in Palestine and conveyed his congratulations through Sayed Mustapha a few days ago. The latter informed us that our communiqués issued on the subject had been given the widest publicity in the Idrisi country and were also being circulated broadcast throughout Turkish districts. He was of opinion that they would have far-reaching effects in the Yemen generally.

It was inferred from two interviews with Sayed Mustapha since his arrival here that the Idrisi is very grateful for the financial assistance and supplies given to him by the British Government. Mustapha assures us that preparations are proceeding actively for the coming offensive against Lohiya, and with this object in view troops are being concentrated in various centres in the Masariha and Bani Marwan districts.

Two thousand Hashid and Bakil warriors are reported to have arrived at Jizan already and a similar number is expected shortly. The plan of operations against the south is being drawn up by Nasir Mabkhut Al-Ahmar who is still at Jizan.

The Sayed Idrisi has transferred his headquarters to Madaya, a place mid-way between Jizan and Meedi, where he is personally supervising the arrangements for the coming campaign.

Sayed Mustapha seems very optimistic about the projected operations. It is generally believed in the Idrisi Camp that there will be no great difficulty in capturing Lohiya and turning the Turkish flank thereafter by an advance on Zaidyia.

The defection of Sayed Ahmed Pasha of the Bani Jama tribe from the Turkish cause is said to have been definitely secured and it is not unlikely in the event of Lohiya falling that Ibn El Haig and the Wayidat clansmen will come over to the Idrisi. The Bo'ajia and Za'alyia Arabs inhabiting the country to the south of Lohiya are friendly to Sayed Idrisi.

Sayed Mustapha furnished details of four engagements which took place between October 23th and November 27th last between the two forces opposed to each other on the Bani Abs front, from which it would appear that the Idrisi troops are not inactive and are inflicting severe losses on Colonel Ghalib Bey's and Ibn Thawwab's forces.

Last week a well known Jewish merchant Yusuf Fauhaus arrived in Aden from Sana *via* Tavia and Lahej. He reports the existence of abundant crops in the Yemen Highlands, where the price of grain fresh supplies and local produce is the lowest on record during the past quarter of a century. Nevertheless the wherewithal to purchase food and other necessaries is not easily obtainable. On the other hand, commodities imported from abroad whilst available are extremely expensive owing to the prohibitive transport rates and the heavy tolls levied during transit.

This merchant paints a dismal picture of the political and economic situation obtaining at the capital in so far as the Turkish administration is concerned—an empty treasury with no prospect of raising funds—the refusal of the Zaidi population there and in the surrounding districts nominally under Ottoman sway, to pay taxes—and discord between the civil and military officials of the vilayet.

A five-pound Turkish note can barely fetch 9 or 10 dollars (Rs. 18 to Rs. 20) in the markets of the bigger cities in the Yemen.

1918.

There is a popular belief prevailing at Sana that the Turks have decided on a retirement to the Tehama if there is no improvement in the present state of affairs within the next three months.

The Imam Yahya is described as all powerful at Sana and in the country lying to the North. His influence, however, does not extend further south than Yerim and Damt in the Hubeshiya district.

Whilst exhibiting a friendly neutrality towards the Turks and patiently awaiting the inevitable day—there is no evidence of the Imam having rendered any great financial aid to the Turks other than a gift of certain sacks of very old stocked barley valued at 10,000 dollars. This was distributed by the authorities amongst the Arab gendarmes to meet their persistent demands for long standing arrears of pay.

The lot of the Jewish colony in Sana is said to be tolerable, thanks to the protection afforded them by the Imam from the exactions of the Turks.

It is gratifying to learn that British war prisoners at Sana are all right and are being well treated.

Confirmation has now been received from several sources of the arrival at Sana of Governor Ilias Bey and Major Hussain Husni, the two principal offenders implicated in the murder of Sheikh Aboo Ras.

It is ascertained at the same time that Sheikh Nasir Mukbil has failed to respond to the Imam's summons but has sent an agent to represent him at the trial.

Accounts of desultory fighting in the Jebel Ambarasha quarter continue to reach us. Perim reports that the Turco-Arabs have suffered comparatively heavy casualties here. A more recent report states that Sheikh Mahomed Hassan's followers have been attacking a place near Taiz called Ordhu and that during their retirement northwards they came into collision with the pro-Turk Sheikh of Hejda—Mahomed Huggash—whom they killed in the fight that ensued.

Affairs in Assir are quiet just at present according to Hussain Abdul Kadir Mackawi. The Turkish authorities are striving to win over the pro-Idrisi factions of the Hijal-el-Ma clans. It is said that scarcity prevails in the Assir Sandjak owing to the destruction of crops by locusts.

Reliable news gleaned from miscellaneous sources points to signs of continued nervousness at Lahej. Sayed Pasha is trying hard to enlist the sympathies of the neighbouring chiefs and tribesmen and to secure their co-operation in the event of a British advance against him, but has met with no success.

Sheikh Sayed Abdulla Rushidi of Balahaf in the Wahidi country recently visited Lahej and is said to have been given a small gun and some rifles and ammunition on his promising to fight the Upper Aulaki Sultan, Saleh bin Abdulla, who refused to respond to the overtures of the Turkish Commander.

The Jewish merchant Fanhans referred to in this letter, during his stay at Lahej, heard that General Sayed Pasha was removing his property and valuables to Taiz.

News received yesterday from Sheikh Yahia Naser bin Omer Shibeen shows that Sayed Mahomed Darwish has arrived at Damt near Rada with 1,500 followers. As already reported, he is now said to be acting on behalf of the Imam. He is reported to be moving against Mariz, Sha'aib and Kataba.

No. C.-523, dated Aden Residency, the 10th (received the 29th) December 1917.

Endorsed by the Political Resident, Aden.

Copy forwarded, with compliments, to the Foreign Secretary to the Government of India, in the Foreign and Political Department, Delhi.

Aden, Jan: (Secret) Political Evidence

Last Paper 5401 (Print.) (How disposed of)

G. M. Press, Simla.—No. C 521 FD—3-1-18—16—M.H.G.

المصادر والمراجع

أولاً : وثائق غير منشورة .

ثانياً : وثائق منشورة .

ثالثاً : المخطوطات .

رابعاً : المراجع العربية والمترجمة .

خامساً : الدوريات .

سادساً : المراجع الأجنبية .

المصـــادر والمراجـــع

أولاً : وثائق غير منشورة :

١ ـ الوثائق البريطانية :

أ ـ مجموعة وثائق من سجلات حكومة بريطانيا فى الهند (وزارة الهند) :
India Office

ب ـ مجموعة وثائق من سجلات وزارة الخارجية :
Foreign Office

ثانياً : وثائـــق منشـــورة :

١ ـ الوثائق العثمانية :

أ ـ مجموعة من وثائق شبه الجزيرة العربية فى عصر محمد على والمنشورة فى كتاب ، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، المجلد الأول .

٢ ـ الوثائق المحلية (إدريسية) :

أ ـ مجموعة من المراسلات والمنشورات التى كان يصدرها السيد محمد على الإدريسى ، والمنشورة فى كتاب ، محمد أحمد العقيلى : المخلاف السليمانى . جـ ٢ .

٣ ـ الوثائق اليمنية :

أ ـ مجموعة من الوثائق اليمنية المنشورة فى كتاب :

السيد مصطفى سالم : وثائق يمنية .

ثالثاً : المخطوطات :

- الجنداري ، أحمد عبد الله : (ت ١٣٣٧هـ) . الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز . صنعاء : الجامع الكبير ، المكتبة الغربية ، رقم ٦٥ تاريخ .

- الحداد ، يحيى بن على ناجي : (ت ١٣٧٥هـ) . عمدة القاري في سيرة إمام زماننا سيف الباري المتوكل على الله الإمام يحيى ابن الإمام محمد بن حميد الدين . صنعاء : الجامع الكبير ، المكتبة الغربية ، رقم ١٤٥ تاريخ .

- الضمدي ، أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز : (ت ١٢٢٢ هـ) : الذهب المسبوك في ذكر من ظهر في المخلاف السليماني من الملوك ، صنعاء : الجامع الكبير ، المكتبة الغربية ، رقم ١٦٢ تاريخ .

- عاكش ، حسن بن أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز : (ت ١٢٨٩هـ) عقود الدرر بتراجم علماء القرن الرابع عشر . صنعاء : الجامع الكبير ، المكتبة الغربية ، رقم ١٢٧ تاريخ .

- مطهر ، عبد الكريم بن أحمد بن عبد الله : (ت ١٣٦٦هـ) . كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة المتوكل على الله يحيى ابن محمد حميد الدين . صنعاء : الجامع الكبير ، المكتبة الغربية ، رقم ١٤٥ تاريخ .

- الوشلي الحسيني ، اسماعيل بن محمد بن أبي القاسم : (ت ١٣٥٦هـ) . نشر الثناء والحسن على بعض أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن وذكر الحوادث الواقعة في هذا الزمن . جازان : المكتبة العقيلية ، رقم ٢٥ ، الجزء الثالث .

رابعاً : المراجع العربية والمترجمة :

- أباظة ، فاروق عثمان : الحكم العثماني فى اليمن ١٨٧٢ ـ ١٩١٨م . الطبعة الثانية ، بيروت : دار العودة ، ١٩٧٩م .

- ــــــــ عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩ - ١٩١٨م. القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٦ .

- ــــــــ سياسة بريطانيا في عسير أثناء الحرب العالمية الأولى . القاهرة : دار المعارف ، (د . ت) .

- ابن بشر ، عثمان بن عبد الله : عنوان المجد في تاريخ نجد . تحقيق وتعليق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ . الطبعة الثانية ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م ، الجزء الأول .

- أبو زهرة ، محمد : الإمام زيد ، حياته وعصره ، آراؤه وفقهه . بيروت : المكتبة الإسلامية ، (د . ت) .

- أبو العلا ، محمود طه : جغرافية شبه جزيرة العرب . الطبعة الأولى ، القاهرة : مطبعة لجنة البيان العربى ، ١٩٦٥م ، الجزء الأول .

- أنطونيوس ، چورچ : يقظة العرب . ترجمة ناصر الدين الأسد واحسان عباس . الطبعة السادسة ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٠م .

- أنيس ، محمد : الدولة العثمانية والشرق العربى ١٥١٤ ـ ١٩١٤م . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨١م .

- الأهدل ، عبد الرحمن بن سليمان . النفس اليماني . صنعاء : مركز الدراسات اليمنية ، ١٩٧٩م .

- بالدرى ، چون : القوى والامتيازات فى إمامة الإدريسى فى عسير . ترجمة مركز دراسات الخليج العربى . البصرة : جامعة البصرة ، ١٩٨٠م .

- العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن ابان الحكم التركي ١٩١٤ ـ ١٩١٩م. ترجمة وتقديم الدكتور السيد مصطفى سالم ، القاهرة : المطبعة الفنية (د . ت) .

- البركاتي ، شرف عبد المحسن : الرحلة اليمانية ، مصر : مطبعة السعادة ، ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م .

- برو ، توفيق على : العرب والترك فى العهد الدستورى ١٩٠٨ ـ ١٩١٤م . القاهرة : معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٠م .

- الجرافى اليمنى ، عبد الله عبد الكريم : المقتطف من تاريخ اليمن . القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه ، ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م .

- الحبشى ، عبد الله محمد : مصادر الفكر الإسلامي في اليمن . صنعاء : مركز الدراسات اليمنية ، (د . ت) .

- الحداد ، محمد يحيى : تاريخ اليمن السياسى . دار الهنا للطباعة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

- حراز ، السيد رجب : الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ١٨٤٠ ـ ١٩٠٩م . القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٠م .

- حسن ، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي . الطبعة السابعة ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤م . الجزء الأول والثانى .

- الحصرى ، ساطع : البلاد العربية والدولة العثمانية . الطبعة الثانية ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٦٠م .

- حمزة ، فؤاد : قلب جزيرة العرب . الطبعة الثانية ، الرياض : مكتبة النصر الحديثة ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

- الدباغ ، مصطفى مراد : جزيرة العرب ، موطن العرب ومهد الإسلام . الطبعة الأولى ، بيروت : منشورات دار الطليعة ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م . الجزء الأول .

- الدسوقى ، محمد كمال : تاريخ أوربا الحديث ١٨٠٠ ـ ١٩١٨م . القاهرة : مطبعة النهضة الجديدة ، (د . ت) .

- رفيع ، محمد عمر : في ربوع عسير . القاهرة : دار العهد الجديد للطباعة ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .

- رنوفن ، بيير : تاريخ القرن العشرين . ترجمة الدكتور نور الدين حاطوم . لبنان : دار الفكر الحديث ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .

- الريحانى ، أمين : ملوك العرب . الطبعة الخامسة ، بيروت : دار الريحانى للطباعة والنشر ، ١٩٧٦م ، الجزء الأول .

- زبارة ، محمد بن محمد بن يحيى : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر (سيرة الفاتح الشهيد أمير المؤمنين الإمام يحيى) . القاهرة : المطبعة السلفية ومكتبتها ، القسم الأول .

- نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر . تحقيق مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، الطبعة الأولى ، صنعاء : مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، ١٩٧٩م ، الجزء الأول والثانى .

- نيل الوطر من تراجم رجال اليمن فى القرن الثالث عشر . القاهرة : المطبعة السلفية ومكتبتها ، ١٣٢٨هـ . الجزء الأول والثانى .

- الزاوى ، الطاهر أحمد : جهاد الأبطال في طرابلس الغرب . الطبعة الثانية ، بيروت : دار الفتح للطباعة والنشر ، ١٣٩٢هـ .

- الزركلى ، خير الدين : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز . الطبعة الأولى ، بيروت : مطابع دار القلم ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م الجزء الثانى .

- سالم ، السيد مصطفى : الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨ ـ ١٦٣٥م . الطبعة الثانية ، القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٤ .

- تكوين اليمن الحديث (اليمن والإمام يحيى) . الطبعة الثانية ، القاهرة : مكتبة سعيد رأفت ، جامعة عين شمس ، ١٩٧١م .

- وثائق يمنية . القاهرة : المطبعة الفنية ، ١٩٨٢م .

- سعيد ، أمين محمد : الدولة العربية المتحدة . مصر : مطبعة البابى الحلبى وشركاه ، (د . ت) ، الجزء الثالث .

- اليمن ، تاريخه السياسي منذ استقلاله في القرن الثالث الهجرى . القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه ، (د . ت) .

- ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم . مصر : مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، (د . ت) .

- شاكر ، محمود : شبه جزيرة العرب ـ عسير ـ . بيروت : المكتب الإسلامى ، (د . ت) .

- الشتيوى ، منصور عمر : الغزو الإيطالي لليبيا . الطبعة الأولى ، طرابلس : مؤسسة الفرجانى ، ١٩٧٠م .

- شرف الدين ، أحمد حسين : اليمن عبر التاريخ . الطبعة الثانية ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

- الشناوى ، عبد العزيز محمد : أوربا فى مطلع العصور الحديثة . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٩م . الجزء الأول .

- طه ، جاد : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن . القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٦٩م . الجزء الأول .

- عبد الرحيم ، عبد الرحيم عبد الرحمن : من وثائق شبه الجزيرة العربية فى عصر محمد على ١٢٣٤ - ١٢٥٦هـ / ١٨١٩ - ١٨٤٠م . الدوحة . قطر : دار المتنبى للنشر والتوزيع ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، المجلد الأول .

- العبدلى ، أحمد فضل : هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن . الطبعة الثانية ، بيروت : دار العودة ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

- العربى ، اسماعيل : دولة الأدارسة ، ملوك تلمسان وفاس وقرطبة . بيروت : دار الغرب الإسلامى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

- العرشى ، حسن أحمد : بلوغ المرام فى شرح مسك الختام . مصر : مطبعة البرتيرى ، ١٩٣٩م .

- العقيلى ، محمد بن أحمد : تاريخ المخلاف السليمانى . الطبعة الثانية ، الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م الجزء الأول والثانى.

- المعجم الجغرافى لبلاد العربية السعودية ، مقاطعة جازان - المخلاف السليمانى . الطبعة الثانية ، جازان : النادى الأدبى بجازان ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٧م .

- الفلاحى ، عبد المنعم : جغرافية جزيرة العرب . بغداد : دار منشورات البصرى ، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م .

- لقمان ، حمزة على : معارك حاسمة من تاريخ اليمن . الطبعة الأولى ، صنعاء : مركز الدراسات اليمنية ، ١٩٧٨م .

- مسفر ، عبد الله بن على : أخبار عسير . الطبعة الأولى ، بيروت : المكتب الإسلامى ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

- منسى ، محمود حسن صالح : حركة اليقظة العربية فى الشرق الأسيوى . القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٧٨م .

- الحملة الإيطالية على ليبيا - دارسة وثائقية في استراتيجية الاستعمار والعلاقات الدولية . القاهرة : دار الطباعة الحديثة ، ١٩٨٠م .

- نصيف ، حسين محمد : ماضي الحجاز وحاضره . الطبعة الأولى ، ١٣٤٩هـ ، الجزء الأول .

- النعمى ، هاشم سعيد : تاريخ عسير في الماضي والحاضر . مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ، (د . ت) .

- النهراوالى المكى ، محمد بن أحمد : البرق اليماني في الفتح العثماني . تحقيق حمد الجاسر ، الطبعة الأولى ، الرياض : دار اليمامة للترجمة والبحث والنشر ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

- هلفريتز ، هانز : اليمن من الباب الخلفي . تعريب خيرى حماد ، بيروت : المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، (د . ت) .

- الواسعى اليمانى ، عبد الواسع بن يحيى : تاريخ اليمن ، المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن . الطبعة الثالثة ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

- الوزير ، زيد بن على : محاولة لفهم المشكلة اليمنية . (د . ت) .

- وهبة ، حافظ : جزيرة العرب فى القرن العشرين . الطبعة الخامسة ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

- يعقوب ، هارولد . ف . ك . س . أى : ملوك شبه الجزيرة العربية . ترجمة أحمد المضواحى . صنعاء : مركز الدراسات والبحوث اليمنى ، ١٩٨٣م .

خامساً : الدوريات :

- مجلة العرب : الرياض الشيخ حمد الجاسر :

المجلد الثانى	جـ ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢	سنة ١٣٩١هـ	السنة الخامسة
المجلد الاول	جـ ١ ـ جـ ٦	سنة ١٣٩١هـ	السنة السادسة
المجلد الثانى	جـ ٨ ـ جـ ١٢	سنة ١٣٩٢هـ	السنة السادسة
المجلد الاول	جـ ١ ـ جـ ٦	سنة ١٣٩٢هـ	السنة السابعة
المجلد الثانى	جـ ٧ ـ جـ ١٠	سنة ١٣٩٣هـ	السنة السابعة

- مجلة المنار : القاهرة الشيخ رشيد رضا :

المجلد ١٥ جـ ٢ ، جـ ٦ سنة ١٣٣٠ / ١٣٣١هـ ــــــ ١٩١٢ / ١٩١٣م

المجلد ١٦ جـ ٤ ، جـ ٥ ، جـ ٦ سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٣م .

مجلة الحكمة : صنعاء

العدد ٧٨ السنة التاسعة ١٩٧٩م .

جريدة المؤيد : القاهرة جبرائيل بشارة تقلا :

العدد ٦٩٦٦ سنة ١٩١٣م .

جريدة اللواء : القاهرة على كامل فهمى وشركاه :

العدد ٣٧٧٩ سنة ١٩١٢م .

جريدة الثورة : صنعـــاء

العدد ١٣ ١٩٨٠/٧/٣١م .

سادساً : المراجع الأجنبية :

BIBLIOGRAPHY

— Aitchison : Acollection of Treaties, Engagements and Sanads. Relating to India and Neighbouring Countries, Vol, XI. Delhi, 1933, Kraus Thompson, 1973.

— Bury, G. Wyman : Arabia Infelix, or The Turks In Yemen. Macmillan and Co. Limited. London, 1915.

— Cornwallis, Kinahan : Asir before World War I. (A Hand book), Oleander Falcon, U.S.A. Cambridg, England, 1976.

— Hurewitz, J.C. : Diplomacy in The Near and Middle East-A. Documetary Record, Vol. II (1914 - 1956), Octagon Books, N.Y., 1972.

— Playfair, R.L. : A history of Arabia Felix or Yemen from the Commencement of The Christian Era to the Present time. Bombay, 1859.

— Wavell, A.J.B. : Modern Pilgrim In Mecca, and a Siege in Sanaa. Constable and Co. Ltd., London, 1912.

— Wenner, Manfred, W. : Modern Yemen 1918 - 1966, Johons Hopkins, Paltimore, 1968.

* * *

الفهارس

أولا : فهرس الأعلام

(أسماء الأشخاص - الأماكن)

(ن)

ثانياً : فهرس المحتويات

ثالثاً : فهرس الخرائط

رابعاً : فهرس الملاحق

SUMMARY OF THESSIS

TITLE OF THESTS :

The Ottomans and the Idrissi Governmend
in Asir 1325 - 1337 H. / 1907 - 1918 A. D.

A Research prepared and written by student Yousif Hassan El Arif and forwarded to the Departmend of History, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Jeddah, as a part of the requirements of M.A. degree in Modern Arab History under the guidance and supervision of Dr. Mahamoud Hassan Salih Mansi, Professor of Modern Arab History .

SUBJECT OF THSIS :

A political study dealing with Asir area and the (Sulimani Mikhlaf), the rise of the Idrissi Government. Its relation with the Ottoman State which was dominating this area, and what accompanied this of side relations with the Imam of Yemen and the Sherif of Hijaz, as two Arab powers, and with Italy and Britain as external powers.

IMPORTANT RESOURCES AND REFERENCES :

This study depends upon some contemporary resources for the period of the research. As the manuscripts and local Asiri and Yemeni decoments, some British documents, also depends upon a lot of Arabic and foreign references and some Arabic periodicals.

IMPORTANT CONTENTS OF THESIS :

The thesis comprises one hundred and ninety pages besides those of

the introduction, the conclusion and the supplements which in all complete three hundred pages. It is divided into four chapters .

According to the chronological curriculum, the researcher has divided the period of study into four chapters. Each for a certain period.

The first chapter dealt with the first period prior to 1326 H. / 1908 A.D. under the title : Asir before the Indrissi rule. This covered the Ottoman rule in Yemen and Asir, and the struggle that accompanied it, between the rulers of the area and the Ottomans till the Idrissi government appeared in Sabia, and also traced the Idrissi family, and how Sayed Mohammed Ali Idrissi was able to establich the Idrissi government in Tihama of Asir.

The second chapter was assigned for the second period, from 1326 to 1329 H. / 1908 to 1911 A.D. This discusses the relations between to Ottomans and the Ifdrissi government. Where it shows clearly, the attitude of the Ottomans towards the increasing Idrissi influence in the area which led to Hafair agreement between the two parties, and hence the Ottomans recognized the religious leadership for the Idrissi whom they awarded the rank of deputy in the area . Meanwhile the Idrissi acknowledged the Ottoman sovereignty. But the Idrissi got the opportunity of these circumstances togain new liabilities , which led him to announce the revolution against the Ottoman ruler in Asir and besieged with his troops the Ottoman headquarters in Abha. Leatly this chapter discusses the Idrissi attitude towqrds the Ottoman-Yemeni relations, whereas it became clear that there was and alliance and cooperation between the Idrissi in Asir and the Yemeni against the Ottoman occupation in both areas.

The Third period lies between 1329 - 1333 H. / 1911 - 1914 A.D., and for which designed the third chapter of the study Was assigned. It disscusses (Daan peace) between the Ottomans and thd Imam of Yemen, and the effect of this reconciliation on the Ottomn - Idrissi relations. It was evident that the Ottomans sught this peace to separate the leadership in Asir from that in Yemen, which united against them. This peace affected the Yemeni-Idrissi relations, and the past alliance and co-operation turned into enmity, and wars. Thus the Ottomans led the war against the Idrissis in Asir, and were joined by their new ally the Imam of Yemen. That pushed the Idrissi to make alliance with the Italians. Here the research clarifies the Idrissi-Italian relations which was based on the mutual interests, and the Italians were planning to conquer Tripoli-west, which was one of the Ottoman possessions. They were in great need of the Idrissi aid in such distant part of the Ottoman possessions - that is in Asir. The Idrissis were desirous to fight against the Ottomans so as to have Their full independence, and they were in need of the Italian aid as money or arms and ammunition to fulfil this purpose.

The alliance continued on this principle between 1911 - 1912 A.D. The Idrissi gained some sites in Tihama-Asir during this period, and more of the Italian arms and money. Meantime Tripoli west fell in the hands of the Italian forces, that compelled the Ottoman State to make several trials for peace with the Idrissi. But was not sincere in these, and so did not lead to any positive results.

The fourth period in between 1329 - 1337 H. / 1914 - 1918 A.D., which was confined to thed fourith chapter, which discussed the relation

between the Ottomans and the Idrissis during the first world war. It explained the general situation in the South of Arab Peninsula, before the outbreak of war, and the attitude of the local and foreign powers, and what come across these relations, which led to the outbreak of war in the area, chiefly between tbe British in Aden and the Ottomans in Sanaa. then he reviewed the part played by the Idrissis during the war when theey joined the Allies, after they had signed with the British the agreement of 1333 H. / 1915 A.D. Britain provided them with money and arms to fight against the Ottomans forces in Asir and the coasts of Yemen. The research followed here, the development of this relation and its effect on the economics of the area. Moreover the research referred to the military operations in which the Idrissis shared against the Ottomans. Pointing out the role played by both the Idrissi and British forces, and the benefits which the Idrissis gained during these operations. As they conquered Qunfada, Luhiya, Seleif and Farasan Islanda, which were recognized by the British Government, as a part of the Idrissi possessions, in a new agreement signed between them in 1335 H. / 1917 A.D. This Chapter s finished with the end of the First world war, and its aftermath on this area, and the attitude of the powers especially the Idrissis and the benefits they got from it such as the spoils of Ottoman machinery. besides they seized new lands handed by Britain, most important of which was the Yemeni port of Hudeida. Then the chapter was concluded with a brief glimpse about the situations in Asir after the First World War, and the departure of the Ottomans.

The conclusion falls in two parts :

The first period : 1337 - 1341 H. / 1818 - 1923 A.D. during which

Sayed Mohamed Idrissi was trying to strengthen his independence, among the leaders of the Arab Peninsula, after the departure of the Ottomans. But he died in 1341 H. / 1923 A.D. So he did not attain goal.

The second period : 1341 - 1352 H. / 1923 - 1933 A.D. during which Sayed Ali Bin Mohamed Idrissi became head of the Idrissi Government. Riots and internal revolutions rose in his reign and he was deposed. His uncle Syed Hassan Idrissi took overthe leaderhip of the Idrissi Government. so the Imam of yemen expolited the opportunity of such unsteady conditions, and recaptured the coastal areas wich were confiscated by the Idrissis during and after the Firs World War. This led to interference of Sultan Abdul Aziz Bin Suad, due to a request from the Idrissi leader . They both concluded Makkah treaty in 1345 H. / 1926 A. D. After almost seven years, that is in 1352 H. / 1933 A.D. the Idrissis joined the Saudi rule, and their country became a part of the Saudi State. And here the research comes to an end.

RESULTS OF THE STUDY :

Out of this historical study, the researcher has come to some results, by which he concluded the research as follows :

first : Pointing out Asir Area and the Sulimani Mikhlaf as a separate area, historically and politically, from yemen area during the period of the study.

Secondly : Figurating the role which the Idrissi Government played in the area. Having restored the spirit of Islam, which have been wane before the rise of the Government. Besides it struggled against the

Ottoman existence, till it was driven out of the area. Moreover it unified the tribes of the area, who were living in wars and differences.

Thirdly : The relation of the Idrissi with the foreign powers was a means in the struggle against the ottomans. They benefited from the influencial and military aids, without offering anything, as political rights or economical concession to these powers in return till they came under the Saudi rule.

Fourthly : The Idrissis in this area, and in the South of the Arab Peninsula generally, had contacts with the Arab Nationalists in Syria, Iraq and Egypt. Syed Mohamed Idrissi himself was affected by the Arab Nationalist thought, which the Arabs called out for salvation from the Ottoman rule, edpecially when be demandes in his conditions for peace, that Arabic should be the official language, even when addressing the Ottoman State. This was one of the most imposrtant demends of the Arab Societies, and Arab Nationalists.

Lastly, the researcher has provided at the end of the thesis a supplement of some Arabic and English documents, which he referred to in his research.

The Researcher

Yousif Hassan Arif

رقم الإيداع ٩٦/١٩٥٠
977-19-0112-5

دار (أبو المجد) للطباعة

هذا الكتاب

الفكرة التى يقوم عليها هذا الكتاب هى محاولة للقيام بدراسة تاريخية خاصة ومستقلة لمنطقة عسير والمخلاف السليمانى، وقيام حكومة الأدارسة فيها، والعلاقة بين هذه الحكومة وبين الدولة العثمانية التى كانت -آنذاك- مسيطرة على هذه المنطقة وذلك خلال الفترة من ١٣٢٥-١٣٣٧هـ/ ١٩٠٧- ١٩١٨م.

ولاشك أن هذه الدراسة تستوجب من الباحث أن يتناول العلاقات التى كانت قائمة بين هذه الحكومة وبين القوى ذات الاهتمام بمنطقة عسير والمخلاف السليمانى، سواء أكانت قوى خارجية، مثل إيطاليا وبريطانيا، أم قوى داخلية كالإمامة فى اليمن، وشرافة الحجاز، وهذا يتطلب إبراز الدور الذى مارسته هذه القوى، وأثر ذلك على الحكومة الإدريسية!! (من مقدمة المؤلف)

وفى الحقيقة، فإن البحث فى موضوع "العثمانيون وحكومة الأدارسة فى عسير ١٣٢٥-١٣٣٧هـ/ ١٩٠٧- ١٩١٨م" شأنه شأن البحوث التى تناولت العلاقة بين الحكومة العثمانية وأى من الأقاليم العربية الأخرى، تكشف عما يمكن أن نسميه "أزمة ثقة" فى العلاقات العثمانية العربية، فالأقطار العربية -وبخاصة فى القرن التاسع عشر للميلاد- قرن اليقظة، تحاول أن يكون لها شخصيتها العربية داخل نطاق الدولة العثمانية، حفاظاً على الرابطة الدينية، واعتبر العرب أن العصر -الذى كانت حكومة الأستانة ترسل فيه إلى الولايات العربية الباشوات الولاة وكبار الموظفين الترك الذين لا يفهمون لغتها ولا يعرفون مصالحها وعاداتها- قد انتهى، ولابد أن تمنح هذه الأقطار قدراً من الصلاحيات حتى تستطيع أن تسير فى طريق التقدم الذى سار فيه العالم فى الوقت الذى كانت فيه الحكومة العثمانية المركزية تخشى أن يؤدى ذلك القدر من الصلاحيات إلى استقلال الأقطار العربية وانفصالها عن الدولة العثمانية وبذلك تتفسخ وتنهار.

(من تقديم الدكتور محمود صالح منسى)



تقريظ!!

الباحث يوسف العارف باحث ممتاز، ويشهد بذلك بحثه، فمنذ أن تعاملت معه كمشرف على رسالة الماجستير لمست فيه صفات الباحث من صبر ورغبة صادقة فى الوصول إلى الحقيقة أو ما يقرب منها، لا يترك مكاناً يعلم أن فيه مادة علمية تفيد بحثه إلا ويذهب إليه مهما بعدت الشقة وكثرت الشواغل، يفعل ذلك بإحساس الباحث الصادق مع نفسه ومع قارئه.

وبدون تحيز أقول: إن الباحث شخصية تبشر بمستقبل زاهر فى الدراسات التاريخية، والحق أن الباحث يشرف أى قسم من أقسام التاريخ بجامعات المملكة العربية السعودية، وإننى أدعو له بالتوفيق.

المؤلف فى سطور

الحياة الدراسية

- الدكتور يوسف حسن محمد العارف.
- من مواليد مدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية سنة ١٣٧٥هـ.
- حصل على الشهادة المتوسطة والثانوية من مدارس دار التوحيد بالطائف عامى ٨٩/ ٩٠ و٩٢/ ١٣٩٣هـ.
- حصل على شهادة البكالوريوس فى "التاريخ والحضارة الإسلامية" من فرع جامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة (سابقا)، جامعة أم القرى (حاليا)، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية الشريعة، عام ٩٦/ ١٣٩٧هـ.
- حصل على الدبلوم فى الإدارة المدرسية من كلية التربية، جامعة أم القرى، عام ١٤٠٥هـ.
- حصل على درجة الماجستير فى التاريخ الحديث من كلية الآداب بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة عام ١٤٠٥هـ.
- حصل على درجة الدكتوراه فى التاريخ الحديث من كلية الآداب بجامعة عين شمس بالقاهرة عام ١٤١٢هـ.

الإنتاج المطبوع

- أضواء على مذكرات سليمان شفيق كمالى باشا (متصرف عسير) ١٩٠٨- ١٩١٢م، نشره عام ١٤١٢هـ نادى أبها الأدبى.
- العديد من المقالات الفكرية والأدبية فى الصحف المحلية.
- العديد من القصائد الشعرية فى الصحف المحلية.
- ديوان "الرمل ذاكرة والريح أسئلة"، نشر عام ١٤١٥هـ.

الإنتاج المخطوط

- العلاقات العثمانية البريطانية قبيل الحرب العالمية الأولى.
- أوراق الربيع، مقالات فى الأدب والنقد.
- الغربة والانتماء الثقافى، مقالات ودراسات.